رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

سلسلة الكراسي العلمية
بجامع القرويين
(٢)

كرسي صحيح الإمام البخاري
بجامع القرويين بمدينة فاس

تأليف
الدكتور محمد بن عزوز

ويليه

عون الباري على فهم آخر تراجم صحيح الإمام البخاري

لأحد أبرز أساتذة هذا الكرسي
العلامة أحمد بن الطالب ابن سودة الفاسي
المتوفى سنة ١٣٤١ هـ

تحقيق
الدكتور محمد بن عزوز

مركز التراث الثقافي المغربي
الدار البيضاء

دار ابن حزم

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

حُقُوقُ الطَّبْعِ مَحْفُوظَةٌ

الطَّبْعَةُ الأُولَى

١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

ISBN 978-9953-81-992-1

الكتب والدراسات التي تصدرها الدار
تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها

مركز التراث الثقافي المغربي
الدار البيضاء - 52 شارع القسطلاني - الأحباس
هاتف: 442931 - 022/ فاكس: 442935 - 022
المملكة المغربية

دار ابن حزم
بيروت - لبنان - ص.ب : 14/6366
هاتف وفاكس : 701974 - 300227 (009611)
البريد الإلكتروني : ibnhazim@cyberia.net.lb
الموقع الإلكتروني : www.daribnhazm.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

قيل في كرسي صحيح الإمام البخاري بجامع القرويين بفاس

«..وَهُو كُرسِيٌّ مُبَارَكٌ جَلِيلٌ يَعْلَمُ ذَلِكَ كُلُّ النَّاسِ جِيلاً بَعْدَ جِيلٍ، فَقَد جَلَسَ عَلَيهِ مِنَ العُلَمَاءِ العَامِلِينَ، وَالأَوْلِيَاءِ الصَّالِحِينَ، مَا يكِلُّ النَّاسُ عَنْ حَصْرِهِم، وَتَعْجِزُ القَرِيحَةُ عَنْ عَدِّ مَآثِرِهِم وَفَخْرِهِم».

(الروضة المقصودة ١/٢٠٧)

يقول الدكتور عبدالهادي التازي:

«والواقع أنه يُعد بحسب الروايات التاريخية من أهم الكراسي التي توالت عليها كبار الشخصيات، وكان هدفاً لكثير من المنازعات».

(جامع القرويين ٢/٣٧٣)

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدي الكتاب

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وعلى من تبعه واهتدى بهديه إلى يوم الدين.

أما بعد، فإن التراث الذي يتوفر عليه المغرب ومن حقه أن يفتخر به، ينبغي الالتفات إليه على أنه التعبير الصادق الأمين للعصور الزاهية الأولى، وإذا كان هناك في بلاد الدنيا من يريد الوقوف على ملامح المجتمع الإسلامي في بهائها وجمالها، ومعالم الحضارة العربية في رونقها وأصالتها فلينتقل إلى هذه الديار في المغرب ليشاهد كل ما قرأه عن ذلك الماضي المجيد. فلينتقل إلى تلك المغارب ليتزود من أنفاس الأعراس التي كانت تتأرج بنسماتها، وتتضوع بعطورها هذه المشارق الفيحاء[1].

وإن في صدر ذلك الرصيد الضخم الذي ينعم به المغرب من تراثنا المجيد هذه المدينة الخالدة ـ مدينة فاس ـ فإذا كانت الفسطاط والقيروان نفحتين زكيتين من الصحابة والتابعين، فإن الله آثر مدينة فاس بأن تكون من تأسيس آل البيت الأقربين وأن تضفي عليها هذه النسبة من قبسها، ونورها،

(١) جامع القرويين، للدكتور عبدالهادي التازي ٢/٣٧٠.

وفيضها، وإشراقها، الأمر الذي يفسر ما تواتر الناس على ترديده من أنها المدينة الإسلامية الرابعة بعد الحرمين الشريفين وبيت المقدس ـ طهَّره الله من الرجس ـ.

يقول علي بن ميمون المغربي المالكي[1]: «ما رأيت مثلها ومثل علمائها في حفظ ظاهر الشرع بالقول والفعل وغزر الحفظ لنصوص إمامهم الإمام مالك، وحفظ سائر العلوم الظاهرة من الفقه والحديث والتفسير، وحفظ نصوص كل علم مثل النحو والفرائض والحساب والتوقيت والتعديل والتوحيد والمنطق والبيان والطب وسائر العلوم العقلية، كل ذلك لا بد فيه عندهم من حفظ نص ذلك الفن، ومن لم يستحضر النص على مسألة مَّا في علم مَّا إن تكلم فيه لا يلتفت إلى كلامه، ولا يعبأ به، ولا يحسبونه من طلبة العلم، إلى أن قال: «فمنذ خرجت من فاس وذلك سنة ٩٠١هـ إلى تاريخه ما رأيت مثلها ومثل علمائها فيما ذكر ليس ذلك في مدن المغرب فقط لا في تلمسان ولا بجاية ولا تونس ولا إقليم الشام بأسره ولا بلاد الحجاز، فإني رأيت ذلك كله بالمشاهدة، ولا بمصر على ما تقرر عندي من العلم اليقيني بمشاهدة أناس من أهلها، وبرؤيتي لبعض كتب أرباب الوقت الآن وأحوالهم واشتغالهم في العلم، عرفت ذلك بينهم وبين من ذكر بون بعيد، ومن شاهد عَلِم، ومن ذَاقَ ذَرَى، وليس الخبر كالعيان».

ثم وصف بعض علماء الشرق ممن اشتهر بالإمامة في العلم ثم قال: «ومع هذه الصفة فبينه وبين من ذكر من علماء مدينة فاس ما بين المبتدى والمنتهى».

ومن عرف أخبار هذا الإمام، واهتبال الشرق به، وما كتبه عنه مؤرخو عصره فمن بعدهم إلى الآن عرف قيمة هذه الشهادة لعلماء هذه المدينة الخالدة.

---

(١) هو أبو الحسن علي بن ميمون الإدريسي الغماري (ت٩١٧هـ) درس بالقرويين بفاس. رحل إلى بلاد الشام وتركيا. واستقر به المقام بصالحية دمشق. واشتغل بالتدريس فكوّن أتباعاً ومريدين. وقد خصه تلميذه علي بن علوان الحموي الشافعي (ت٩٣٦هـ) بمؤلف سماه: (مجلى الحزن عن المحزون في مناقب الشيخ علي بن ميمون).

ولذلك هوت إليها الأفئدة، وتاقت إليها النفوس، فقصدها الناس متناسين أوطارهم وأوطانهم، وتآخى على جنباتها هواة لها وردوها من القيروان، وآخرون نزلوها من الأندلس، وسمع بهؤلاء وأولئك أقوام من أقصى المشرق فتنافسوا على امتلاك شبر على أرضها...

وكل ما قيل عنها إنما يقرب الصورة وإلا فإن دعوة القدرة على صوغ محاسنها ومفاتنها باطلة الأساس، زائفة القسطاس، لقد صاغ الهواة محاسنها في نظمهم ونثرهم، كل التفت إلى ناحية، وكل أخذ بناصية حتى ليخيل إلى المرء أنه أمام فاسات عديدة وليست فاساً واحدة.

وفي مدينة فاس على العدوة الغربية التي تنتسب للوافدين عليها من القيروان، قلب المدينة النابض ـ جامع القرويين ـ الذي تبلورت فيه الشخصية المغربية على أتم وأكمل ما يمكن أن نتصوره من مفهوم الشخصية، وهكذا كان قلعة لحماية المذهب المالكي ونشره على أوسع مدى، والأمر كذلك فيما يتعلق بالعقيدة الأشعرية، واختيارهم لرواية ورش في تلاوة القرآن، ولرواية ابن سعادة في صحيح البخاري[1]...

وإلى جامع القرويين يرجع الفضل في استمرار الوجود الإسلامي بهذه الديار، فإن دوره لم يقتصر على استقبال المؤمنين صباح مساء لأداء صلواتهم ومناسكهم، ولكنه تجاوزه إلى المركز الذي كان مصدر إشعاع فياض على مختلف جهات المغرب. وعلى بعض بلاد المشرق ومدن الأندلس. وعندما قال المؤرخون: **(إنه أقدم جامعة في العالم)** فإنهم كانوا يقصدون إلى أنه المعهد الوحيد الذي استمر في أداء رسالته العلمية دون ما أن يتعثر فيما تعثر فيه جامع الزيتونة من أزمات، وما حل بالأزهر الشريف من نكسات، وما نال الجامعة المستنصرية في بغداد من نكبات.

واشتهر جامع القرويين بمجالسه العلمية وتعني وجود كرسي يصعد عليه الأستاذ ليتمكن من تبليغ رسالته، وخاصة منها المجالس التي يناهز عدد

---

(١) القرويين الهوية المغربية: ١٣٩.

الحضور فيها المئتين والثلاثمئة من الطلبة[1] وبين أيدينا عدد لا يحصى من الوثائق يؤكد أن الطلاب كانوا لا يعرفون الراحة في كل ساعات النهار، فمن درس إلى درس، ومن مجلس إلى مجلس، ومن نصاب إلى نصاب.

وقد كثرت هذه الكراسي حتى أصبح يطلق على مدينة فاس **(كرسي المملكة)**.

وكانت ولاية الكرسي بالقرويين أمراً ذا بال، وبالغ الأهمية، لأنه كان بمثابة ولاية حكومية لا تقل عن منصب القضاء والفتيا والوزارة. ولذلك كان الحصول عليه يستدعي عدة مؤهلات.

يقول شيخي العلامة المؤرخ محمد المنوني رحمه الله تعالى:

«إن ولاية كرسي التدريس بالقرويين تعتبر منصباً سامياً، ولهذا كانت لا تصدر إلا عن السلطان أو ولي عهده خاصة»[2].

كما اشتهرت بعض الكراسي العلمية بأسماء الكتب التي كانت تدرس عليها، كما هو الشأن في كرسي صحيح الإمام البخاري ـ موضوع دراستنا ـ.

قال عن هذا الكرسي العلامة سليمان الحوات:

«وهو كرسي مبارك جليل يعلم ذلك كل الناس جيلاً بعد جيل، فقد جلس عليه من العلماء العاملين، والأولياء الصالحين، ما يكل الناس عن حصرهم، وتعجز القريحة عن عدّ مآثرهم وفخرهم»[3].

ويقول عنه المؤرخ الدكتور عبدالهادي التازي:

«والواقع أنه يعد بحسب الروايات التاريخية من أهم الكراسي التي

---

(١) في ترجمة عبدالرحمٰن الجزولي من «الجذوة» و«السلوة» أنه كان يحضر مجلسه أكثر من ألف فقيه معظمهم يستظهر «المدونة» حفظاً. وفي ترجمة الحسن بن منديل المغيلي من «الجذوة» أنه كان يحضر مجلسه بالقرويين نحو ثلاثة آلاف.

(٢) كراسي الأساتذة بجامع القرويين، مجلة دعوة الحق، السنة ٩، عدد ٢، ١٩٦٥، ص١٠١.

(٣) الروضة المقصودة ٢٠٧/١.

توالت عليها كبار الشخصيات، وكان هدفاً لكثير من المنازعات»[1].

وإذا كان كرسي الحديث بظهر خصة العين[2] قد تعاقب عليه علماء أسرة ابن الحاج السلمي المرداسي الفاسي، فإن هذا الكرسي قد تعاقب عليه علماء أسرة بني سودة من القرن العاشر إلى أوائل القرن الرابع عشر الهجري فأول من درس صحيح الإمام البخاري من أسرة بني سودة: أبو القاسم بن سودة المتوفى سنة ١٠٠٤هـ، ثم أولاده وأحفاده منهم:

ـ أبو عبدالله محمد بن القاسم بن أبي القاسم المتوفى سنة ١٠١٥هـ، ومحمد بن محمد بن أبي القاسم المتوفى سنة ١٠٧٦هـ، وشيخ الإسلام التاودي ابن سودة المتوفى سنة ١٢٠٩هـ، وولده أحمد ابن التاودي ابن سودة المتوفى سنة ١٢٣٥هـ، والمهدي ابن سودة المتوفى سنة ١٢٩٤هـ.

وخاتمة المدرسين لصحيح الإمام البخاري من هذه الأسرة المباركة: أبو العباس أحمد ابن الطالب ابن سودة المتوفى سنة ١٣٢١هـ.

ولقد كنت أقرأ في كتب تراجم علماء المغرب أن العالم الفلاني تولى تدريس صحيح الإمام البخاري بهذا الكرسي بجامع القرويين فأزداد تشوقاً إلى معرفة تراجم وأخبار هؤلاء المدرسين الأفاضل، وتساءلت هل جمع أحد من أهل العلم أخبارهم وسيرهم في كتاب؟

لقد جاءت تراجمهم مفرقة بين كتب التراجم والمناقب والفهارس... ولم أر من جمعهم في كتاب وعرَّف بهم وبأحوالهم.

فاستخرت الله تعالى وحمدته على توفيقه فجمعت ما جاء مفرقاً في كتب التراجم والتواريخ والفهارس، معرفاً بهؤلاء العلماء الذين كانوا كواكب العلم المشرقة بجامع القرويين.

وقد جعلت هذه الدراسة المتواضعة في مدخل وفصلين.

---

(١) جامع القرويين ٢/٣٧٣.

(٢) أفردت هذا الكرسي بكتاب نشرته دار ابن حزم في بيروت عام ١٤٢٤هـ /٢٠٠٣م.

أما المدخل فقد خصصته لبحث نفيس وجوهرة فريدة لعلامة المغرب الكبير شيخي محمد المنوني رحمه الله تعالى ـ عنوانه (كراسي الأساتذة بجامعة القرويين) ـ وهو في ثلاث مقالات نشرها في مجلة دعوة الحق (السنة التاسعة ـ ١٩٦٥م) وهذه المقالات عبارة عن تكملة لمقال سبق أن نشره في المجلة المذكورة عنوانه (مدخل إلى تاريخ القرويين الفكري) سنة ١٩٦٠م.

أما الفصل الأول: فيتضمن التعريف بأوائل من ارتبط تاريخهم بتدريس صحيح البخاري بهذا الكرسي.

وأما الفصل الثاني: تعاقب علماء أسرة بني سودة على تدريس صحيح البخاري بهذا الكرسي.

كما ألحقت في نهاية هذا البحث، تحقيق كتاب (عون الباري على فهم آخر تراجم صحيح الإمام البخاري) لأحد أبرز المدرسين بهذا الكرسي وهو العلامة أحمد ابن الطالب ابن سودة المتوفى سنة ١٣٢١هـ، مطبوع بفاس طبعة حجرية. فقمت بتحقيقه والتعليق عليه.

وأسأل الله العظيم أن يعيد لجامع القرويين ما اندرس من دروس صحيح الإمام البخاري ـ آمين ـ.

فيا علماء الغد، لا يحطمن جهودكم بهذه الجامعة الإسلامية ما يعترض طريقكم من اهتمام بالمستقبل وتفكير، فبهذا المعهد العظيم ساد أسلافكم، ومنه كانوا يرحلون فتخضع لمعارفهم المجالس العلمية، وتهتز لجلالهم المحافل والأندية، فأعيدوا إلى مهد عزكم، ومعهد دروسكم جلال الأمس، ولتكونوا صورة كاملة للكمالات النفسية التي بها أسلافكم يتحلون، فإن العلم والسيادة والزهد والعبادة والصرامة في الدين والبطولة. كل ذلك من أسلافكم انحدر إلى مجرى العزة والإباء والشمم في عروقكم. لكي يستعيد هذا المعهد بفضل اجتهادكم عظمته بالأمس.

وكتبه محمد بن عزوز

ـ سلا ـ ٢٩ رمضان المعظم ١٤٣٠هـ

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

مدخل
كراسي الأساتذة بجامِعَة القرويين

بقلم أستاذي العلامة محمد المنوني ـ رحمه الله تعالى ـ

مقدمة[1]:

وهذه ظاهرة أخرى من مظاهر جامعة القرويين في العصرين: الوسيط والحديث، وتتمثل في وفرة عدد هذه الكراسي المخصصة بجامع القرويين وفروعه لكبار الأساتذة، والموقوفة لتدريس أمهات المصنفات في مختلف العلوم.

وهو تقليد علمي وجد في الشرق أيضاً، ومن هذا ما يحدث به ابن بطوطة[2] عن (المدرسة المستنصرية) ببغداد حيث يقول:

«... وبها المذاهب الأربعة، لكل مذهب إيوان فيه المسجد وموضع التدريس، وجلوس المدرس في قبة من خشب صغيرة على كرسي عليه البسط».

(١) هذا المقال تابع لموضوع (مدخل إلى تاريخ القرويين الفكري) المنشور ضمن (الكتاب الذهبي لجامعة القرويين) سنة ١٣٧٩هـ /١٩٦٠م، ص١٨٢ ـ ١٨٧.

(٢) «تحفة النظار، في غرائب الأمصار، وعجائب الأسفار» ط.مكتبة الحاج مصطفى محمد بمصر عام ١٣٧٧هـ، ج١، ص١٤١.

ونذكر ـ أولاً ـ أن ولاية كرسي التدريس بالقرويين تعتبر منصباً سامياً، ولهذا كانت لا تصدر إلا عن السلطان، أو ولي عهده خاصة، كما سنرى هذا في العصر السعدي وأكثر العصر العلوي.

كما كان لهذه الكراسي أوقاف خاصة صادرة عن السلاطين أو الأفراد، وتوجد في حوالات القرويين عدة لوائح فيها أوقاف كراسي التدريس بجامع القرويين وغيره، وهذه واحدة منها تخص جامع القرويين، وقد وردت تراجمها هكذا:

أوقاف كراسي جامع القرويين:

ـ كرسي بالبلاط الثاني عن يمين الداخل من باب الكتبيين، للنحو.

ـ كرسي التدريس قرب مصرية المفتي.

ـ آخر بظهر الصومعة.

ـ كرسي التدريس بظهر خصة العين.

ـ كرسي التفسير.

ـ كرسي التدريس بمستودع باب الحفاة.

ـ كرسي الرسالة بمستودع باب الحفاة أيام الشتاء.

ـ كرسي بمستودع ابن عباد.

ـ كرسي البخاري للتدريس بأعلى باب الرواح بالقرويين أسفل الأسبوع الأعلى[1].

ومن الكراسي الأخرى التي لها أوقاف: كرسي صحيح البخاري بشرحه فتح الباري (وهو غير المتقدم في اللائحة)، وسنتحدث عن هذا

(١) «الحوالة السليمانية» خ.ع. ورقم ٢٣ ص٢٤٤ ـ ٢٤٩ (فيلم).

ووقفه بعد، وجاء في (فهرسة) أبي العباس المنجور[1] لدى ترجمة عبدالرحمٰن سقين:

(وكان يلازم إقراء العمدة والموطأ عند باب مصرية الخطيب بالجامع المذكور: «جامع الأندلس»، وهما من أوقاف الشيخ الخطيب الصالح أبي فارس عبدالعزيز الورياغلي خطيب القرويين[2]، وحبس - أيضاً - مثل ذلك بالقرويين).

وفي «تنبيه الصغير من الولدان»[3] لما ذكر درس أستاذه أبي العباس أحمد بن علي الزموري في التفسير قال: (وكانت قراءته للتفسير المذكور بتفسير الإمام الفخر «الرازي»، لكون الحبس عليه كذلك).

وقد تساوق وجود هذه الكراسي مع جامعية القرويين، حيث يبتدئ ظهورها في العصر المريني الذي اكتملت به جامعية هذا المعهد، ويلاحظ أننا لا نظفر في هذا العصر بالوفرة التي صارت لهذه الكراسي بعد، ولعل مرد هذه القلة إلى زهد بعض علماء العصر المريني في مثل هذه المظاهر، وقد جاء في (المدخل)[4] لابن الحاج ضمن أحد فصول آداب الدرس: (وما رأيت أحداً من علماء المغرب وفضلائهم يقعدون على حائل دون جلسائهم)، وفي (المعيار)[5] للونشريسي يذكر أن اتخاذ الكراسي وإحداثها في المساجد للإقراء من عظم البدع.

ويظهر أن من ترخص من العلماء في الجلوس على هذه الكراسي راعى رغبة المحبسين عليها، ورأى أن هذه البدعة لا تصل إلى حد

---

(١) نسخة خاصة.

(٢) ترجمته في «سلوة الأنفاس» ج٢ ص٨٠، ٨١، وسأكتفي استقبالاً بهذا المصدر في التراجم الآتية، حيث أنه في الغالب بديل الترجمة بأسماء المراجع الأخرى.

(٣) سيرد التعريف بهذا المصدر في التعليق رقم ٢٨.

(٤) المطبعة الوطنية بالإسكندرية عام ١٢٩٣هـ، ج١، ص١٦٤.

(٥) ج٢، ص٣٨٠.

التحريم، مع ما في ذلك من المعونة على أداء الدرس للطالبين والمستفيدين، وقد تغلب هذا الموقف مع مر الزمن، فكثرت كراسي التدريس، وتوافرت أحباسها، وهذا ما سنلاحظه ابتداء من العصر الوطاسي.

وكما رأينا في لائحة حوالة القرويين فقد كانت هذه الكراسي تضاف للفن أو الكتاب المعني بالأمر، كما يلقب بعضها بكرسي التدريس، وهذه ـ فيما يظهر ـ لم تخصص لتدريس فن أو كتاب معين، وهناك كراسي تنسب لأفراد من مشاهير العلماء: مثل ما سيذكر من كرسي ابن غازي، وكرسي الونشريسي، وكرسي العبسي.

وكان للكراسي مواضع قارة بالمعاهد التي تنسب إليها، فمثلاً في جامع القرويين ـ أثناء العصر السعدي ـ كان توزيع الكراسي حسب الأماكن التالية:

ـ مستودع باب الحفاة يمنة الداخل من هذا الباب.

ـ خلف الناحية التي تحمل اسم (ظهر الصومعة).

ـ يسرة الداخل من باب الموثقين.

ـ قرب باب الكتبيين.

ـ يمنة الداخل من باب عقبة السبطريين.

ـ بالصف الأول يسرة الداخل من باب مسجد الجنائز.

ـ يسرة الداخل من الباب المقابل لدرب ابن حيون بانحراف يسير.

ـ الناحية المعروفة بـ«ظهر الخصة».

ـ مستودع ابن عباد[1].

---

(١) هذا مأخوذ من رسالة «تنبيه الصغير من الولدان» التي سيرد التعريف بها في التعليق رقم ٢٨.

وبعد هذا فإن الدروس الوقفية بما فيها ذات الكراسي، كانت مدة القراءة فيها هي زمن الشتاء وأول الربيع، قال في «مرآة المحاسن»[1] أثناء كلام: (وكانت القراءة على العادة في المغرب الأقصى في فصل الشتاء وأول فصل الربيع، وقد حلل هذه العادة الإمام محمد بن يوسف السنوسي[2] هكذا:

(وجرت عوائد الشيوخ قديماً وحديثاً أن يجتهدوا في فصل الشتاء بسرد القليل من المسائل، وإفراغ الوسع في نقل ما للعلماء فيها، وتحقيق ما يخصها من مباحث وأنظار، ولا يسمحون لأنفسهم في هذا الفصل بشيء من البطالة، فإذا انصرم هذا الفصل أجموا أنفسهم بعض الإجمام، ثم شرعوا في إقراء الطلبة والمبالغة في نصيحتهم بقدر الإمكان، لا سيما طلبة المدرسة التي تضاف إليهم.

وعادتهم في سائر فصول السنة غير فصل الشتاء أن تسرد عليهم كثرة المسائل، ويقتصرون على بيان صورة كل مسألة، مع نقل ما لا بد منه عليها من المباحث والأقوال، وحل ما يعرض في ذلك من نظر وأشكال).

والآن ـ بعد هذه المقدمة ـ ها هي كراسي التدريس بجامعة القرويين نستعرضها ابتداء من العصر المريني.

في عصر بني مرين:

إذا استثنينا أواخر هذا العصر، واعتمدنا المصادر القليلة جداً في هذا الموضوع ـ فإننا لا نعثر في هذه الفترة إلا على ثلاثة كراسي للتدريس، وهي:

١) كرسي الونشريسي:

وهو أبو الربيع سليمان الونشريسي ثم الفاسي المتوفى بها عام

---

(١) ص٢٣٥.

(٢) «المعيار» للونشريسي، ج٧، ص٢٣٨.

٧٠٥هـ[١] /١٣٠٥ ـ ١٣٠٦م[٢]، وكان ـ حسب جذوة الاقتباس[٣] ـ يقرئ بجامع الأندلس، ويقوم على التفريع والمدونة.

٢) كرسي أبي الحسن الصغير:

كان يدرس فيه «تهذيب البراذعي» في اختصار المدونة بجامع الأزدع[٤] الذي يعرف الآن الحي الواقع فيه بفندق اليهودي.

أما أستاذ الكرسي فهو أبو الحسن علي بن محمد ابن عبدالحق الزرويلي ثم الفاسي، المعروف بأبي الحسن الصغير، المتوفى بفاس عام ٧١٩هـ[٥] /١٣١٩ ـ ١٣٢٠م.

٣) كرسي التهذيب بالمدرسة العنانية:

أنشأه أبو عنان المريني بهذه المدرسة بفاس ورشح للتدريس به أبا الحسن عليا الصرصري[٦].

وهذا آخر الكراسي المرينية الثلاث التي لا يعرف عنها تفصيلات أكثر، وهناك كرسيان أنشئا أواخر هذا العصر، وصارا ينسبان لابن غازي وعبدالواحد الونشريسي، وسيذكران في العصر التالي.

---

(١) ترجمته مع ذكر الكرسي في «جذوة الاقتباس» ص٣٢٠، ٣٢١، و«نيل الابتهاج» مطبعة المعاهد بمصر سنة ١٣٥١هـ، ص١١٩، ١٢٠، وسلوة الأنفاس، ج٣، ص٣١٦، ٣١٧.

(٢) هذه الموافقة مع الموافقات التالية مأخوذة من:

Tables de concordance des ères; chrétienne elhégirienne - Troisième édition - Editions techniques nord-africaines - 22, zankat Zakonne - Rabat, 1961.

(٣) ص٣٢٠.

(٤) «الديباج المذهب» مطبعة المعاهد بمصر سنة ١٣٥١هـ، ص٢١٢، «جذوة الاقتباس» ص٢٩٩.

(٥) ترجمته في «سلوة الأنفاس» ج٣، ص١٤٧ ـ ١٤٩.

(٦) «أزهار الرياض» ج٣، ص٧، وقد أبهم في هذا المصدر اسم الصرصري وتعيينه مأخوذ من فهرسة انسراج نسخة المكتبة التطوانية بسلا.

في عصر بني وطاس:

إن فهرسة المنجور هي المرجع الأول لهذا العصر، حيث أورد فيها مؤلفها عدداً من الكراسي التي كان يدرس عليها أساتذته بفاس، وهي التالية:

٤) كرسي ابن غازي:

وهو ـ فيما يظهر ـ من أوقاف أبي فارس الورياغلي السالفة الذكر بجامع القرويين، وقد تداول الدراسة به:

أ ـ أبو عبدالله محمد بن أحمد بن محمد بن غازي العثماني المختاري المكناسي نزيل فاس والمتوفى بها عشية الأربعاء ٩ جمادى الأولى عام ٩١٩هـ[١] /١٥١٣م.

ب ـ محمد بن عبدالواحد الغزال تلميذ ابن غازي[٢].

ج ـ أحمد بن محمد بن محمد المعروف بابن جيدة المديوني الوهراني نزيل فاس، والمتوفى بها في رجب عام ٩٥١هـ[٣] /١٥٤٧م، وقد كان يدرس به العمدة في الحديث والرسالة القيروانية.

٥) كرسي البخاري بشرحه فتح الباري:

أنشأه السلطان أبو العباس أحمد بن محمد بن الشيخ الوطاسي، ليدرس به «الجامع الصحيح» للبخاري بشرحه «فتح الباري» لابن حجر

---

(١) ترجمته في «سلوة الأنفاس» ج٢، ص٧٣ ـ ٧٧.

(٢) لم أقف على ترجمته، وإنما ورد ذكره في فهرسة المنجور لدى الحديث عن هذا الكرسي أثناء ترجمة أبي جيدة الوهراني حيث سمي بأبي عبدالله الغزال، وجاء ذكره ـ أيضاً ـ عند ابن غازي في الإجازة التي كتبها بخطه له ولغيره أول فهرسته المكتوبة بخطه أيضاً والمحفوظة في المكتبة الزيدانية بمكناس وقد سمي فيها بمحمد بن عبدالواحد. انظر: «إتحاف أعلام الناس»، ج٤، ص١١.

(٣) ترجمته في «سلوة الأنفاس» ج٣، ص٢٤٩، ٢٥٠.

العسقلاني، وقد حبس عليه لهذه الغاية نسخة من الشرح المذكور عام ٨٤٧هـ /١٤٤٣ ـ ١٤٤٤م، وهي مكتوبة بخط الحافظ محمد بن عبدالله بن عبدالجليل التنسي ومنقولة من خط ابن حجر نفسه.

أما موضع هذا الكرسي فقد كان عن يسار الطالع من الباب الذي بشرقي جامع القرويين والموالي للفندق الأكبر هناك على حد تعبير وثيقة التحبيس المكتوبة على أجزاء نسخة فتح الباري الآنفة الذكر، والتي لا تزال محفوظة بخزانة القرويين بفاس تحت رقم ١٠٠[١].

وقد كان يدرس في هذا الكرسي الإمام الشهيد عبدالواحد بن أحمد بن يحيى الونشريسي ثم الفاسي المتوفى ليلة الاثنين ٢٧ حجة عام ٩٥٥هـ[٢] ١٥٤٩م، قال المنجور في «فهرسته» أثناء ترجمة أستاذه هذا:

(وحضرت عنده ليالي كثيرة في مجلس البخاري بين المغرب والعشاء بالقرويين، ينقل عليه كلام فتح الباري ويستوفيه، لأنه شرط المحبس).

ومن فوق هذا الكرسي قبض على الونشريسي ثم أخرج من القرويين من باب الكتبيين حيث قتل أيام قيام السعديين، وقد جاء في تاريخ الدولة السعدية لمؤلف مجهول[٣]: أن موضع هذا الكرسي كان في ناحية باب الكتبيين.

٦) كرسي الونشريسي:

وهو كرسي آخر كان يدرس فيه ـ أيضاً ـ أبو محمد عبدالواحد الونشريسي بالغداة في القرويين، ويقرأ عليه تفسير القرآن الكريم ومختصر ابن الحاجب الفقهي، وقد ذكره المنجور في فهرسته دون أن يحدد موقعه، وتحدث عنه في ترجمة الونشريسي هكذا:

---

(١) «الخزانة العلمية بالمغرب للأستاذ الكبير محمد العابد الفاسي» ص٣٦.

(٢) ترجمته في «سلوة الأنفاس» ج٢، ص١٤٦ ـ ١٤٨.

(٣) ص١٣.

(وقد حضرت على شيخنا أبي محمد هذا دولاً من فرعي ابن الحاجب: واحدة من باب القضاء إلى آخره بكرسي الغداة بالقرويين).

ثم ذكر في ترجمة أبي عمر عثمان اللمطي: أنه كان ملازماً لكرسي التفسير وابن الحاجب للونشريسي.

وقد يكون هذا هو الذي صار يسمى كرسي الونشريسي بعد، وكان يدرس فيه الفقيه محمد بن أحمد الوهراني نزيل فاس والمتوفى بها عام ١٠١٣هـ[١] /١٦٠٤م.

٧) كرسي التهذيب بالمدرسة المصباحية:

وأستاذه ـ أيضاً ـ هو الإمام عبدالواحد الونشريسي الذي صار يدرس فيه هذا الكتاب بعد وفاة والده أبو العباس أحمد بن يحيى صاحب المعيار، والظاهر أن هذا الكرسي صار بعد للقاضي عبدالواحد الحميدي آتي الذكر، والذي كان يقرئ بهذه المدرسة تهذيب البراذعي قبيل صلاة الظهر[٢].

٩/٨) كرسيان للرسالة القيروانية:

وأستاذهما ـ معاً ـ هو أبو محمد عبدالرحمٰن بن محمد بن إبراهيم الدكالي المشترائي الفاسي المتوفى أول عام ٩٦٢هـ[٣] /١٥٥٤م، جاء في ترجمته من فهرسة المنجور:

(حضرت عند هذا الشيخ دولاً من رسالة الشيخ أبي محمد ـ وكان له المزية فيها على سائر أهل عصره ـ مدة طويلة بكرسيه بين المغرب والعشاء بجامع القرويين... وبكرسي الخميس والجمعة بعد صلاة الصبح به أيضاً).

---

(١) انظر رسالة «تنبيه الصغير من الولدان» النسخة الآتية الذكر ص٢١، وعن ترجمة الوهراني ارجع إلى «ابتهاج القلوب» (نسخة خاصة)، و(نشر المثاني) ج١، ص٨٩.

(٢) تدريس الحميدي للتهذيب بهذه المدرسة وارد في «تنبيه الصغير من الولدان» النسخة الآتية الذكر، ص١٨.

(٣) ترجمته في «سلوة الأنفاس» ج٢، ص١٣٠، ١٣١.

١٠) كرسي العبسي بجامع الأندلس:

وهو محمد بن أحمد بن عبدالله العبسي الفاسي المتوفى عام ٩٦٥هـ[١] /١٥٥٧ ـ ١٥٥٨م، قال المنجور في الفهرسة:

(حضرت عنده مجالس يعرب فيها القرآن، ويقرئ الألفية بنقل المرادي، ومختصر خليل، وشيئاً من التفسير، ومن الدرر اللوامع: بكرسيه بجامع الأندلس).

العصر السعدي:

وسيكون مصدرنا الأساسي في هذا العهد هو الفصلة الدفينة داخل رسالة (تنبيه الصغير من الولدان...)[٢]، حيث تحدث فيها مؤلف الرسالة أبو سالم إبراهيم الكيلالي عن طائفة من الكراسي التي كانت بفاس وقت دراسته بها إبان المنصور السعدي، وهو ـ في هذا الصدد ـ يدقق أكثر من المنجور، ويقدم لائحة أطول، وسيقع تقديم هذه الكراسي مرتبة حسب وضعها في جامع القرويين، ثم يذكر الموجود منها بمعاهد فاس الأخرى:

في جامع القرويين:

١١) كرسي مستودع باب الحفاة:

موقعه يمنة الصاعد للمستودع الواقع عن يمين الداخل للقرويين من باب الحفاة، وقد تولى التدريس فيه:

---

(١) ترجمته في «جذوة الاقتباس» ص١٥٣، و«درة الحجال» رقم ٦٣٦.

(٢) اسمها الكامل: «تنبيه الصغير من الولدان، على ما وقع في مسألة الهارب مع الهاربة من الهذيان لمدعي استحقاق الفتوى آجليان» ومؤلفها هو أبو سالم إبراهيم بن عبدالرحمٰن بن عيسى الشهير بالكلالي المزياتي الأصل الورياكلي النشأة نزيل فاس ودفينها سنة ١٠٤٧هـ /١٦٣٧م. توجد من هذه الرسالة نسخة واحدة بالخزانة العامة بالرباط أول مجموع يحمل رقم ك٥٧١ من ص١ إلى ص٣٠، أما الفصلة المعنية بالأمر فهي تشغل من هذه الرسالة من ص١٥ إلى ص٢٢.
توجد ترجمة هذا المؤلف ومراجعها في «سلوة الأنفاس» ج٣، ص٢٥٦.

أ ـ أبو العباس أحمد بن علي بن عبدالرحمٰن المنجور الفاسي المتوفى ليلة الاثنين ١٦ قعدة عام ٩٩٥هـ[١] /١٥٨٧م، وكان يقرئ فيه التوحيد بقصيدة ابن زكري التلمساني: (محصل المقاصد) صبيحة يومي الخميس والجمعة.

ب ـ أبو القاسم بن محمد بن أبي النعيم الغساني الغرناطي ثم الفاسي المتوفى خامس قعدة عام ١٠٣٢هـ[٢] /١٦٢٣م، بتولية من المنصور السعدي بعد وفاة المنجور، وكان يدرس فيه ـ بين المغرب والعشاء ـ صغرى السنوسي وبعض الرسالة القيروانية، وبعد صلاة صبح يومي الخميس والجمعة قصيدة ابن زكري الآنفة الذكر.

١٢) كرسي السير:

موضعه خلف ظهر الصومعة، وأستاذه هو أبو العباس أحمد بن علي الزموري ثم الفاسي المتوفى ليلة السبت أول يوم من رجب عام ١٠٠١هـ[٣] ١٥٩٣م، ثم تنازل عنه لتلميذه أبي الحسن علي بن عبدالرحمٰن بن أحمد بن عمران السلاسي ثم الفاسي المتوفى في شهر ربيع الثاني عام ١٠١٨هـ[٤] ١٦٠٩م.

١٣) كرسي التفسير:

وكان موضعه يسار الداخل للقرويين من باب الموثقين، ولم يحدد مرجع هذا الموضوع وقت الدراسة به، وقد تداول القراءة عليه:

أ ـ أبو العباس أحمد المنجور الآنف الذكر.

ب ـ أبو زكرياء يحيى بن محمد السراج الحميري النفزي الفاسي

---

(١) ترجمته في سلوة الأنفاس، ج٣، ص٦٠ ـ ٦٢.
(٢) ترجمته في سلوة الأنفاس، ج٢، ص١٠٤، ١٠٥.
(٣) ترجمته في سلوة الأنفاس، ج١، ص٢٧٠، ٢٧١.
(٤) ترجمته في سلوة الأنفاس، ج٣، ص٣١٢.

المتوفى في ١٨ جمادى الأولى عام ١٠٠٧هـ[١] /١٥٩٨م، بتولية من محمد الشيخ ولي عهد أحمد المنصور السعدي ونائبه بفاس بعد وفاة المنجور.

ج ـ محمد بن قاسم بن محمد بن علي القصار القيسي الأندلسي الغرناطي ثم الفاسي المتوفى في رمضان عام ١٠١٢هـ[٢] /١٦٠٤م، بتولية من المنصور السعدي بعد وفاة السراج.

١٤) كرسي صحيح مسلم:

كان قرب باب الكتبيين، وكان يقرئ فيه:

أ ـ أبو العباس المنجور بين المغرب والعشاء، وقد وصف طريقته في تدريس هذا الكتاب ابن أبي محلى في الأصليت[٣] في القولة التالية:

(... وأما علم الحديث: فقد وقفت ليلة واحدة بجامع القرويين، والإمام المنجور ـ رحمه الله ـ يومئذ على كرسيه بين المغرب والعشاء في الشتاء، يقرر في سند من أسانيد متونه، ويعرف برجاله، أما في مسلم «وهو الواقع» أو البخاري، لصغر سني وقلة علمي ساعتئذ، فما وعيت منه إلا صفة الأقراء، وكيفية ترتيب المقال، والبحث في أحوال السند بمعرفة رجاله علماً وديناً وحفظاً وبلداً وزماناً وغير ذلك مما يتعلق بالسند، حتى تتحقق براءته من قوادح الريبة، ثم يخوض بعدها فيما يخص المتن لفظاً أولاً، ومعنى ثانياً، وما فيه من الروايات، ومن يوافقه أو يخالفه في أهل الصحاح على ذلك عموماً أو خصوصاً، ثم يأتي بما يعين على فهمه من غيرها كالحسان وما قاربها من الأحاديث، لتقييد أو تعميم أو جمع بين متعارضين أو ترجيح أو تزييف أو تبيين أو نسخ، مما يشهد لمذهب من المذاهب

---

(١) ترجمته في سلوة الأنفاس، ج٢، ص٥٧، ٥٨.

(٢) ترجمته في «الإعلام بما حل بمراكش وأغمات من الأعلام» ج٤، ص٢٢٧ ـ ٢٣٣، وقد خلت من تاريخ وفاته وهي مذكورة في عدد من المراجع الواردة بهذا المصدر.

(٣) نسخة المكتبة الملكية بالرباط رقم ١٠٠.

بأرجحية أو ضدها، إلى غير ذلك من فوائد الفن بعد الإعراب واللغة واستنباط الأحكام).

ب ـ القاضي عبدالواحد بن أحمد الحميدي الفاسي المتوفى يوم السبت ١٨ ربيع الثاني عام ١٠٠٣هـ[١] /١٥٩٤م، وقد صار إليه بعد وفاة المنجور بتولية من طرف ولي العهد محمد الشيخ بن المنصور السعدي.

١٥) كرسي ثاني للتفسير:

موضعه يمنة الداخل للقرويين من باب عقبة السبطريين وهو باب الصفر «الواقع في فسحة الكتبيين سابقاً» وأستاذه هو أبو زكرياء يحيى السراج ثم تنازل عنه لأبي القاسم بن أبي النعيم، وقد مر ذكرهما معاً، وكانت الدراسة في الصباح.

١٦) كرسي أسفل الأسبوع الأعلى[٢]:

وهو الواقع بالصف الأول يسرة الخارج من باب مسجد الجنائز، وقد تداول الدراسة فيه:

أ ـ أبو العباس المنجور سابق الذكر والذي كان يقرئ فيه بعد صلاة الظهر درساً لم يعينه مصدر هذا الموضوع.

ب ـ أبو القاسم بن أبي محمد قاسم بن محمد ابن سودة المري الغرناطي ثم الفاسي المتوفى يوم الجمعة ٢٥ شوال عام ١٠٠٤هـ[٣] ١٥٩٦م، صار إليه بعد وفاة المنجور بتولية من المنصور السعدي، وقد كان يقرئ فيه ـ بعد صلاة الظهر ـ مختصر ابن الحاجب[٤] وصغرى السنوسي.

---

(١) ترجمته في سلوة الأنفاس، ج٢، ص٦٠، ٦١.
(٢) يقصد بالأسبوع الأعلى ما صار بعد يسمى: (مصرية المفتي).
(٣) ترجمته في سلوة الأنفاس، ج٢، ص٦١، ٦٢.
(٤) لم يوضح مصدر هذا الموضوع هل هو الأصلي أو الفرعي.

ج ـ ولما تولى هذا قضاء مراكش نفذه المنصور السعدي لولده أبي عبدالله محمد المتوفى عام ١٠١٥هـ[١] /١٦٠٦ ـ ١٦٠٧م، قال في «الروضة المقصودة»[٢]: (ووقفت على ظهير السلطان أبي العباس المنصور، نفذ ما بيد والده من الأحباس، كراسي وغيرها، لما ولي والده قضاء مراكش في آخر عمره سنة ثلاث وألف).

د ـ وبعد وفاة هذا صار الكرسي لولده القاضي العدل أبي عبدالله محمد المتوفى ضحوة الأحد ٢٥ قعدة عام ١٠٧٦هـ[٣] /١٦٦٦م، قال في «الروضة المقصودة» أيضاً: (وكان عالماً متبحراً يدرس على كرسي والده وجده بمسجد القرويين في المعقول والمنقول والتفسير والحديث والفقه وفروع الأحكام ونوازل الفتوى والتصوف).

هذا كلام «الروضة المقصودة» الذي يفيد أن هذا الكرسي لم يكن ـ آنذاك ـ مخصصاً بفن معين، ويظهر أنه خصص بعد بالحديث، حيث تسميه الحوالة السليمانية[٤]: «كرسي البخاري»، وسنعود للحديث عن هذا الكرسي في العصر العلوي بحول الله سبحانه.

١٧) الكرسي الشتوي للتفسير:

وكان موقعه يسرة الداخل للقرويين من الباب المقابل لدرب ابن حيون بانحراف يسير، وأستاذه هو القاضي عبدالواحد الحميدي سابق الذكر، الذي كان يقرئ عليه التفسير في فصل الشتاء.

١٨) كرسي ظهر الخصة:

وهي الناحية التي تحمل هذا الاسم شرقي صحن القرويين، وأستاذ

---

(١) ترجمته في سلوة الأنفاس، ج٣، ص٨٠، ٨١.
(٢) نسخة المكتبة الأحمدية.
(٣) ترجمته في «سلوة الأنفاس» ج٣، ص٧٦، ٧٧.
(٤) انظر ص٢ من هذا المقال.

هذا الكرسي هو أبو عبدالله محمد بن علي بن محمد بن علي الشريف الحسني المري الأندلسي ثم التلمساني ثم الفاسي المتوفى عام ١٠١٨هـ[١] ١٦٠٩ ـ ١٦١٠م، وقد كان يدرس فيه الرسالة القيروانية بعد صلاة الصبح كل يوم.

١٩) كرسي المدونة:

وهو يقابل وجه الداخل لقبة هذه المدرسة، وكانت القراءة به في فصل الشتاء، وأستاذاه هما:

أ ـ أبو زكرياء يحيى السراج المتقدم.

ب ـ محمد بن القاسم القصار السالف الذكر.

٢٠) كرسي المرادي على الخلاصة:

ولا ندري هل هو نفس الكرسي السابق أو هو كرسي آخر وكانت الدراسة فيه بعد صلاة العصر، وأستاذاه هما:

أ ـ أبو العباس أحمد بن علي الزموري السابق الذكر.

ب ـ محمد بن قاسم القصار الذي تخلى عنه بعد هذا لغيره.

٢١) كرسي التفسير بجامع الأندلس:

وكان حسب «تنبيه الصغير من الولدان»[٢] مسنداً إلى الحائط الواقع يمين الداخل لجامع الأندلس من الباب المقابلة لمدرسة الوادي، وعن يسار الداخل من الباب المقابلة للمدرسة الصغرى، وأستاذاه هما:

---

(١) ترجمته في «سلوة الأنفاس» ج٣، ص٢٨٦.

(٢) ص١٧ من النسخة السالفة الذكر مع نشر المثاني، ج١، ص٢٠ حيث ورد فيها نقل هذه الفقرة ببعض زيادة على النسخة المشار لها.

أ ـ أبو العباس الزموري المتكرر الذكر، وكانت قراءته بتفسير الفخر الرازي وقوفاً مع رغبة المحبس، وقد أطال المصدر الآنف الذكر في وصف درس هذا الأستاذ، وذكر يوم ختمه للتفسير.

ب ـ محمد بن قاسم القصار، ثم تنازل عنه لغيره.

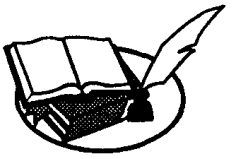

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

كراسي الأساتذة بجامعة القرويين

العصر العلوي

إن أول ما يلاحظ بصدد هذا الموضوع أننا لا نعثر - في العصر العلوي - على لائحة وافية لكراسي الأساتذة، كما كان الواقع في كل من فترتي الوطاسيين والسعديين، وتبدو هذه الظاهرة جلية بالنسبة لجامع القرويين وأكثر في جامع الأندلس الذي جاءت الإشارة لكراسي الدراسة به في إحدى تراجم «حوالة المساجد الصغار»[1] بفاس، ثم لا نظفر بعد بتوضيحات جديدة في هذا الصدد.

وفي هذا العصر كان حظ المساجد الصغار أحسن، حيث تقدم نفس الحوالة، لائحة مطولة بكراسي مساجد فاس عدا القرويين والأندلس ومسجد الشرفاء.

وهذا المسجد الأخير يعنى به مدفن الفاتح المغربي الإمام إدريس الثاني، بما في ذلك مشهده والجامع المتصل به، وقد تضاعف - في هذا العهد وما قاربه - الاهتمام بهذا المقام بالتجديد والتوسعة بالنسبة للمشهد والمسجد معاً، ومنذ أواخر عام ١١٣٢هـ /١٧٢٠م أحدثت به

(١) خ.ع - رقم ٢٢، ص٢٣٧ «فيلم».

خطبة الجمعة[1]، وابتداء من العصر السعدي صارت تلقى به دروس متعددة[2]، كما وقفت أوقاف على قراءة الحديث والفقه والتوحيد بالمشهد والمسجد معاً[3]، وبهذا صار هذا المقام في مقدمة مراكز التدريس بفاس في هذا العهد، ويأتي في الترتيب بعد جامعي القرويين والأندلس، وبهذا ـ أيضاً ـ صارت مراكز التدريس بجامعة القرويين تشمل ـ في هذه الفترة ـ: جامع القرويين ـ جامع الأندلس ـ جامع الأشراف ـ المساجد الصغار.

وبما أننا لا نزال لم نقف على تعيين كرسي أو كراسي للتدريس بجامع الأندلس، فسنسقطه ـ مؤقتاً ـ من الحساب، ونتناول كراسي باقي المراكز الأخرى التي سيكون ترقيمها تابعاً لأرقام سابقاتها في القسم الأول من هذا المقال.

جامع القرويين:

وقد استمر به إلى هذا العهد بعض الكراسي التي أنشئت من قبل، كما ظهرت به كراسي جديدة، ونستعرض ـ هنا ـ ما وقفت عليه من هذه الكراسي الجديدة:

٢٢) كرسي الحديث:

أنشئ أول هذه الفترة عند الموضع المعروف بـ«ظهر خصة العين»

---

(١) «الأزهار العاطرة الأنفاس...» لمحمد بن جعفر الكتاني ط.ف: ١٣٠٧هـ، ص١٦٦ ـ ١٧٣.

(٢) من أساتذته الأولين: ١) أبو الحسن علي بن عيسى الراشدي التلمساني نزيل فاس والمتوفى بها آخر عام ٩٦١هـ، أو أوائل الذي بعده «فهرسة المنجور» نسخة خاصة، وهو مترجم في «سلوة الأنفاس» ج٣، ص٣١١، ٣١٢. ٢) أبو عبدالله محمد بن أحمد بن مجبر المساري ثم الفاسي المتوفى بها يوم الجمعة ١٦ محرم عام ٩٨٥هـ، «سلوة الأنفاس»، ج٣، ص١٢٨.

(٣) «الأزهار العاطرة الأنفاس»، ص١٦٦، ١٦٧.

شرقي هذا الجامع وحسب «رياض الورد»[1]، فقد حبس على أبي الفضل أحمد بن العربي ابن الحاج آتي الذكر وعلى عقبه من بعده، وقصر الواقف عليهم النظر في هذا الكرسي، وفي تنفيذه حسب رغبتهم، وهذه أسماء زمرة ممن تولى التدريس به:

أ ـ أبو الفضل أحمد بن العربي بن محمد بن الحاج السلمي المرداسي ثم الفاسي المتوفى ضحوة الأربعاء فاتح ربيع الأول عام ١١٠٩هـ/ ١٦٩٧م[2].

ب ـ ولده أبو عبدالله محمد «فتحا» المتوفى ليلة الأربعاء ١٦ حجة ١١٢٨هـ /١٧١٧م[3].

ج ـ حفيده وسميه أبو العباس أحمد المدعو الحفيد والمتوفى صبيحة السبت ١٨ ربيع الثاني عام ١١٣٣هـ /١٧٢١م[4].

د ـ محمد «فتحا» بن محمد الخياط بن أبي القاسم الدكالي المشترائي المعروف قبيله بابن إبراهيم الفاسي المتوفى في جمادى الأولى عام ١١٨٤هـ /١٧٧٠م[5].

هـ ـ أبو الفيض حمدون بن عبدالرحمٰن بن حمدون بن الحاج السلمي المرداسي ثم الفاسي المتوفى عشية الاثنين ٧ ربيع الثاني عام ١٢٣٢هـ/ ١٨١٧م[6]، وقد جاء في «رياض الورد» في هذا الصدد: أن السلطان

---

(١) نسخة الخزانة العامة بالرباط، رقم د ١١١، واسمه الكامل «رياض الورد، إلى ما انتهى إليه هذا الجوهر الفرد» وضعه محمد الطالب ابن حمدون ابن الحاج في التعريف بوالده أبي الفيض حمدون المذكور، وذكر فيه أفراد عائلته، ومن تتبع تراجمه تستفاد لائحة الذين تعاقبوا على هذا الكرسي حتى عصر المؤلف.

(٢) ترجمته ومراجعها في «سلوة الأنفاس» ج١، ص١٥٣ ـ ١٥٥.

(٣) ترجمته في المصدر الأخير، ج١، ص١٥٥، ١٥٦.

(٤) ترجمته في نفس المصدر، ج١، ص١٥٦ ـ ١٥٧.

(٥) ترجمته في «السلوة»، ج٢، ص٧٨، ٧٩.

(٦) ترجمته في السلوة، ج٣، ص٤، ٥.

سليمان العلوي أسند لأبي الفيض هذا تدريس علم الحديث بجامع القرويين، وولاه هذا الكرسي، حيث درس به الصحيحين وغيرهما من الكتب الستة، كما أقرأ به التفسير أيضاً، ولحسن الحظ فإننا ـ في هذه المرة ـ نظفر بوصف لبعض دروس أبي الفيض التي كان يلقيها على هذا الكرسي، وقد سجل هذا ابنه محمد الطالب في «رياض الورد»:

وهو يذكر أن والده ثابر على تدريس صحيح البخاري أكثر من غيره، لا سيما في شهر رمضان، وكان ـ في إقرائه لهذا الكتاب ـ يأتي من التحقيق بما يشفي الغليل، فيهتم بالكشف عن المفردات: معنًى، واشتقاقاً، وتصريفاً، وبالإعراب في المركبات، مع تخصيص العموم، وتقييد الإطلاق، وتفصيل الإجمال، وبيان محل الخلاف والاتفاق، واعتبار مقتضيات الأحوال، والاقتدار على استخراج جوامع التشبيهات البيانية، إلى البراعة في بيان الناسخ من المنسوخ، واستنتاج الحكم في علل الأقيسة، يضرب بسهام صائبة في رد شبهات أهل الأهواء والبدع لحسم مادة اعتقادهم، ويرد الفرع إلى أصله، ويبرهن على المطالب باعتبار كل المذاهب، ثم يبين ما به الفتوى من مذهب مالك، ويبالغ في البحث مع ابن حجر والعيني والقسطلاني ومن فوقهم بالقبول والرد، هذا بعد القيام بالتعريف بالرجال، وتمييز اللقب الواقع في الحديث مثل الوقف والإرسال، وكثيراً ما كان ينتزع مضمن أحاديثه من الآيات القرآنية، ويبين في كل ترجمة أصلها من الكتاب.

وبعد هذا يذكر أن عادته في إقراء التفسير: التحري من نقص عما يحتاج إليه في إيضاح المعنى، أو زيادة لا تليق بالغرض، وكان يراعي المعنى الحقيقي، والمجازي، والتأليف، والغرض الذي سيق الكلام له، ويواخي بين المفردات: فيبتدي بتحقيق الألفاظ المفردة: ويتكلم عليها من جهة اللغة ثم التصريف ثم الاشتقاق، ثم يتكلم عليها بحسب التركيب: فيبتدي بالإعراب ثم ما يتعلق بالمعاني ثم البيان ثم البديع، ثم يبين المعنى المراد، ثم أسباب النزول، ثم علم الحديث والأثر، ثم علم المناسبة، ثم الاستنباط ثم الإشارات... ثم لا يبقى ولا يدع من الاستدلال ضد أهل الأهواء والبدع.

و ـ ولده أبو عبدالله محمد المتوفى بعد غروب ١٧ شوال عام ١٢٧٤هـ /١٨٥٨م، وقد حل في هذا الكرسي محل والده بعد وفاته بتوليته من السلطان العلوي[١].

٢٣) كرسي النحو:

كان موقعه بالبلاط الثاني يمين الداخل لهذا الجامع من باب الكتبيين، ومن أساتذته:

أ ـ أبو عبدالله محمد «فتحا» بن إدريس ابن أحمد المدعو حمدون الحسيني العراقي ثم الفاسي، ورد في ترجمته[٢]: أنه أسند إليه تدريس النحو بهذا الكرسي أزماناً إلى أن توفي في ٢٠ ربيع الثاني عام ١١٤٢هـ/ ١٧٢٩م، وفي فهرسة[٣] ولده أبي العلاء الحافظ لدى استعراض مسموعاته على والده: «وسمعت عليه ـ أيضاً ـ لامية الأفعال لابن مالك بكرسيه بالقرويين».

ب ـ أبو الحسن علي زين العابدين المدعو زيانا بن هشام بن عبدالرحمٰن الحسيني العراقي ثم الفاسي المتوفى يوم السبت ٢٩ جمادى الأولى عام ١١٩٤هـ /١٧٨٠م[٤].

قرأ عليه محمد بن عبدالصادق ابن ريسون العلمي لامية الأفعال لابن مالك بكرسيه المعلوم له على حد تعبير فهرسة[٥] هذا الأخير، ويترجح أن

---

(١) فهرسة أبي عيسى المهدي ابن سودة نسخة المكتبة الأحمدية وانظر عن ترجمة صاحب هذا الكرسي السلوة، ج١، ص١٥٦، ١٥٧.

(٢) جاء هذا في «المورد الهني...» لمحمد بن أحمد الفاسي، خ.ع. ضمن مجموع يحمل رقم ك ١٢٣٤، ونقله عنه في الدر النفيس لعبدالله الوليد العراقي: نسخة المكتبة الملكية بالرباط رقم ١١١٩، وفي سلوة الأنفاس، ج٢، ص٢٨، ٢٩، حيث توجد ترجمة المذكور بمراجعها.

(٣) نسخة خاصة منقولة عن نسخة المكتبة الأحمدية.

(٤) ترجمته في السلوة، ج٣، ص١١٤، ١١٥.

(٥) نسخة خاصة مأخوذة من نسخة المكتبة الأحمدية.

هذا الكرسي هو المتحدث عنه، حيث أنه كان مشهوراً بتدريس مادة النحو به.

٢٤) كرسي التفسير:

وموقعه قبالة صومعة القرويين بين بابي الموثقين والشماعين، وكان يقرئ فيه:

أ ـ أبو الفضل أحمد بن الحاج سالف الذكر[١].

ب ـ أبو عبدالله محمد التاودي بن محمد الطالب بن محمد ابن سودة المري الفاسي المتوفى عصر يوم الخميس **٢٩** حجة عام **١٢٠٩**هـ/ **١٧٩٥**م[٢]، وكان يقرئ به بين العشاءين في أشهر الشتاء خاصة وربما زاد عليها، على حد تعبير الروضة المقصودة[٣].

ومن الكراسي القديمة ـ بجامع القرويين ـ التي صار لها شأن في هذا العهد، الكرسي الواقع يسرة الداخل من باب الجنائز، وهو المذكور في القسم الأول من هذا المقال تحت رقم ١٦، وقد خصص أثناء هذا العصر لتدريس علم الحديث، وممن تداول الدراسة به:

أ ـ أبو عبدالله محمد بن أحمد القسنطيني الحسني المعروف بالكماد، نزيل فاس، والمتوفى بها غروب يوم الجمعة ٤ محرم عام **١١١٦**هـ/ **١٧٠٤**م[٤].

ب ـ بعض أبناء المذكور قبله يليه حسب «الروضة المقصودة» التي لم توضح اسم المعني بالأمر.

---

(١) هذا مأخوذ من «رياض الورد».

(٢) ترجمته ومراجعها في السلوة، ج١، ص١١٢ ـ ١١٥.

(٣) نسخة خاصة مأخوذة من نسخة المكتبة الأحمدية.

(٤) الروضة المقصودة في باب العلوم التي درسها الشيخ التاودي ابن سودة، وتوجد ترجمة الكماد ومراجعها في السلوة، ج٢، ص٣٠، ٣١.

ج ـ محمد التاودي ابن سودة آنف الذكر، بتولية من السلطان العلوي أبي الحسن علي بن السلطان مولاي إسماعيل عام ١١٦٧هـ /١٧٥٣ ـ ١٧٥٤م[١].

د ـ ولده أبو العباس أحمد المتوفى سنة ١٢٣٥هـ /١٨١٩ ـ ١٨٢٠م[٢]، قال في الروضة المقصودة[٣] عن هذا الكرسي: «وهو كرسي مبارك جليل، يعلم ذلك كل الناس جيلاً بعد جيل، فقد جلس عليه من العلماء العاملين، والأولياء الصالحين، ما يكل الناس عن حصرهم، وتعجز القريحة عن عد مآثرهم وفخرهم...».

هـ ـ حفيده أبو الفضل العباس المتوفى ليلة الجمعة ٢٦ جمادى الأولى عام ١٢٤١هـ /١٨٢٦م.

و ـ القاضي محمد المهدي بن محمد الطالب ابن سودة المري المتوفى عشية الخميس ٤ رمضان عام ١٢٩٤هـ /١٨٧٧م.

استفدت تولية هذا وسابقه للتدريس بهذا الكرسي من الأنباء المنشودة في شمائل رجال بيت بني سودة» تأليف العلامة الشهير أبي عبدالله محمد العابد بن القاضي أبي العباس أحمد ابن سودة، نسخة المكتبة الأحمدية، ج١، ص١٨١، مع تنصيص هذا المصدر على أن هذا الكرسي هو نفس كرسي ابن غازي، وبهذا يتسلسل أمامنا أساتذة هذا الكرسي من أوائل القرن العاشر حتى أواخر القرن الثالث عشر هجري، كما سيتداخل هذا مع كرسي ابن غازي المذكور في القسم الأول رقم ٤.

انظر عن ترجمة أبي الفضل العباس ولاحقه «سلوة الأنفاس» ج١ ص١١٦ ـ ١١٧ مع ص٣٠٣ ـ ٣٠٤.

---

(١) «الروضة المقصودة» في الباب الآنف الذكر.

(٢) المصدر الأخير في باب تلامذة الشيخ التاودي ابن سودة، وانظر عن ترجمة أبي العباس ابن سودة ومراجعها «سلوة الأنفاس»، ج١، ص١١٥، ١١٦.

(٣) في باب تلامذة الشيخ التاودي ابن سودة، ٢٧٠ ـ ٢٧٢.

جامع الأشراف:

إن حوالة الأشراف[1] تذكر وقفيات أربعة كراسي للتدريس بهذا المعهد، وهي: كرسيان لصحيح البخاري، وثالث للرسالة القيروانية، ورابع للتوحيد، والظاهر أن هذه الكراسي كان وجودها متعاقباً، ولم تكن كلها في زمن واحد، كما تسجل نفس الحوالة أن كرسي التوحيد كان بيد أبي عبدالله محمد القسنطيني المعروف بالكماد آنف الذكر، والغالب أن الذي أنشأ هذا الكرسي هو السلطان الرشيد العلوي، حيث كان أوقف أوقافاً على من يقرئ في الروضة الإدريسية العقيدة السنوسية الصغرى[2] وتوجد ـ في هذه الحوالة أيضاً ـ وقفية على من يقرأ الرسالة القيروانية بين العشاءين في ثلاثة أشهر الشتوة من كل عام، وذلك بالكرسي الواقع قرب الضريح الإدريسي.

وقد تعاقب على التدريس بجامع الشرفاء في هذا العهد زمرة من الأعلام، كان منهم أبو عبدالله محمد المدعو الكبير بن محمد السرغيني العنبري نزيل فاس والمتوفى بها يوم الجمعة ٥ جمادى الآخرة عام ١١٦٤هـ/ ١٧٥١م[3]، وكما يؤخذ من «نشر المثاني»[4] فقد كان يلقي بهذا المركز الدروس التالية: وكان بعد صلاة الصبح وتوابعها يقرأ تفسير القرآن العظيم ويفتتح تقرير الآية بإعرابها ونقل كلام المعربين وشواهد كلام العرب، ثم يقرر ما ورد في تفسير الآية من الحديث، ويذكر ما تيسر من النكت البيانية، ثم يقرأ درس المختصر الخليلي: نحو ثمن الحزب أو يزيد عليه وينقل شيئاً

---

(١) خ.ع. رقم ٢٤ «فيلم».

(٢) ورد ذكر هذه الأوقاف الرشيدية في «الأزهار العاطرة الأنفاس» ص١٦٧.

(٣) ترجمته في السلوة، ج٢، ص١٤٠ ـ ٣٤٣.

(٤) ج٢، ص٢٥٩، ٢٦٠... ثم بعد هذا وقفت في «سلوك الطريق الوارية» لمحمد الزبادي على ترجمة أبي عبدالله محمد الكبير السرغيني، وفيها يذكر أنه كان إماماً خطيباً بجامع الأشراف، ثم يقول: «وكان رضي الله عنه يدرس بكرسي القبة سيدي خليل وتفسير القرآن والبخاري، كنت أحضره بعض الأحيان...» فدل هذا على وجود هذا الكرسي قبل عهد الشيخ محمد بن الحسن بناني آتي الذكر، والذي صار هذا الكرسي ينسب إليه، كما أكد وجوده بداخل قبة جامع الأشراف.

من كلام الحطاب والمواق، وفي غالب أحواله يدرس بعد صلاة الظهر صحيح البخاري وبعد صلاة المغرب وتوابعها يقرأ إما المرشد المعين أو الرسالة القيروانية، قال صاحب «نشر المثاني»: «وقد رأيته دام على هذه الحالة لا يتزحزح عنها ساعة، وهو إمام وخطيب بجامع الشرفاء نحو اثنتي عشرة سنة آخرها سنة موته».

ومن أساتذته ـ أيضاً ـ أبو زيد عبدالرحمٰن ابن إدريس بن محمد المنجرة الحسني الإدريسي التلمساني ثم الفاسي المتوفى يوم الأربعاء ٥ حجة عام ١١٧٩هـ /١٧٦٦م، تولى الإمامة والخطابة والتدريس بهذا المركز عام ١١٦٤هـ، إثر وفاة السرغيني المذكور قبله، واستمر نحو الخمسة عشر عاماً، وكان يجلس أول النهار بعد صلاة الصبح وتوابعها بالمشهد الإدريسي لتدريس صحيح البخاري والتفسير، ثم يجلس ـ خفيفاً ـ بعد طلوع الشمس لقراءة المختصر الخليلي[1].

أما أساتذة هذا المركز الذين تذكر لهم المصادر كرسياً، فسنذكر طائفة منهم مع كرسيهم فيما يلي:

٢٥) كرسي الشيخ بناني:

وقد تولى التدريس به:

أ ـ أبو عبدالله محمد بن الحسن بن مسعود البناني الفاسي الذي أضيف له هذا الكرسي[2] والمتوفى غروب يوم الخميس الآخر من ربيع الثاني عام ١١٩٤هـ /١٦٨٠م، وكان يدرس بهذا المعهد التفسير وصحيح البخاري والمختصر الخليلي في مثل أوقات سابقه، ثم بعد الظهر يقرأ الألفية لابن مالك وغيرها، وبين العشاءين الرسالة وغيرها[3].

---

(١) السلوة حيث توجد ترجمته ومراجعها ج٢، ص٢٧٠ ـ ٢٧٢.

(٢) جاءت إضافة هذا الكرسي للمذكور في فهرسة أبي عيسى المهدي ابن سودة لدى ترجمة محمد الطالب ابن الحاج.

(٣) «السلوة» حيث توجد ترجمته ومراجعها ج١، ص١٦١ ـ ١٦٥.

ب ـ ولده أبو عبدالله محمد المتوفى ثالث ربيع النبوي عام ١٢٤٥هـ/ ١٨٢٩م[١].

ج ـ محمد الطالب بن حمدون بن عبدالرحمٰن ابن الحاج الفاسي المتوفى بعد عصر الجمعة ٩ حجة عام ١٢٧٣هـ /١٨٥٧م، بتولية من السلطان عبدالرحمٰن ابن هشام[٢].

٢٦) كرسي الرسالة:

وموقعه يسار الداخل للمشهد الإدريسي من الصحن، ومن أساتذته:

أ ـ عبدالقادر بن أحمد بن أبي جيدة الكوهن الفاسي المتوفى بالمدينة المنورة ودفين بقيعها في صفر عام ١٢٥٤هـ /١٨٣٨م[٣].

ب ـ محمد الطالب ابن الحاج آنف الذكر بتولية من السلطان المذكور[٤].

ج ـ أبو حفص عمر بن محمد الطالب ابن سودة المري الفاسي المتوفى متم ربيع الأول عام ١٢٨٥هـ /١٨٦٧م بتنفيذ من السلطان عبدالرحمٰن بن هشام أيضاً[٥].

---

(١) فهرسة أبي عيسى المهدي ابن سودة لدى ترجمة محمد الطالب ابن الحاج، وانظر عن ترجمة بناني الابن «السلوة» ج١، ص١٦٥.

(٢) فهرسة ابن سودة الآنفة الذكر لدى ترجمة محمد الطالب ابن الحاج الذي توجد ترجمته ـ أيضاً ـ في السلوة، ج١، ص١٥٧، ١٥٨.

(٣) فهرسة ابن سودة الآنفة الذكر لدى ترجمة محمد الطالب ابن الحاج، وانظر عن ترجمة الكوهن، «فهرس الفهارس» ج١، ص٣٦٨ ـ ٣٧١، أما تاريخ وفاته فقد اعتمدت فيه على ما ورد في «عقد الدر واللآل» ـ نسبة خاصة ـ وعلى ما جاء ـ عرضاً ـ في السلوة، ج٢، ص١٦٩.

(٤) فهرسة ابن سودة المتكررة الذكر في ترجمته أيضاً.

(٥) المصدر الأخير لدى ترجمة أبي حفص المذكور الذي توجد ترجمته ـ أيضاً ـ في السلوة، ج٢، ص١٠٩، ١١٠.

المساجد الصغار:

كما ذكر سابقاً فقد كان حظ هذه المساجد الصغار أحسن، حيث تقدم «حوالة المساجد الصغار» بفاس[1]، لائحة مطولة بأعيان الكراسي المبثوثة في هذه المساجد للتدريس وللوعظ، ويبلغ مجموعها ٥٣، وبما أن الذي يهم هذا الموضوع هو الصنف الأول، فسنقتطف من هذه اللائحة كراسي التدريس بهذه المراكز، وستذكر مجردة عن أسماء المدرسين بها حسب ورودها في هذه الحوالة التي كان وضعها بتاريخ أوائل رجب عام ١٢٤٥هـ/ ١٨٢٩م:

٢٧ ـ كرسي مسجد الميزاب[2] قديماً المعروف الآن لمولاي عمر بالاقواس ـ لتدريس الرسالة القيروانية والمرشد المعين والتوريق.

٢٨ ـ كرسي مسجد سيدي عبدالرحمٰن المليلي ـ لتدريس الرسالة.

٢٩ ـ كرسي مسجد درب الخطار[3] ـ الرسالة.

٣٠ ـ كرسي ضريح سيدي نوار داخل سيدي العواد[4] ـ الرسالة.

٣١ ـ كرسي مسجد الخل[5] بجزاء ابن برقوقة ـ الرسالة.

٣٢ ـ كرسي زاوية سيدي يوسف الفاسي بالمخفية ـ الرسالة[6].

---

(١) ص٢٣٧ ـ ٢٤٠.

(٢) يظهر أن هذا المسجد هو الذي جدده أبو الحسن علي بن أحمد بن أبي بكر الكناني القرطبي الطليطلي الأصل، مستوطن مدينة فاس المعروف بابن حنين والمتوفى في عقب رجب عام ٥٦٩هـ، وهو مذكور في ترجمته من «الذيل والتكملة» السفر الرابع، مصور الخزانة العامة بالرباط، رقم د ٢٦٤٦.

(٣) موقعة بالعدوة.

(٤) يعرف الآن بمسجد درب سيدي العواد، قال في السلوة، ج١، ص٣٠٧: «وهذا المسجد كان يقال له: «جامع الأنوار»، وبه كان يجتمع أهل الخواطر»، وانظر: «مرآة المحاسن» ص٢٣٦.

(٥) هو مسجد سيدي خليل وقد عرف به في السلوة، ج١، ص٣٣٦.

(٦) هذا باعتبار هذا التاريخ، وقبل هذا ـ أوائل القرن ١١هـ ـ كان يدرس بها كتب أخرى مذكورة في مرآة المحاسن، ص٤١.

٣٣ ـ كرسي زاوية سيدي محمد بن عبدالله بالمخفية أيضاً ـ السير.

٣٤ ـ كرسي مسجد السمارين بالرصيف ـ الرسالة والتوريق.

٣٥ ـ كرسي مسجد رأس الجنان الأعلى ـ الرسالة.

٣٦ ـ كرسي مسجد جزاء ابن عامر ـ الرسالة.

٣٧ ـ كرسي المسجد الأكبر الجديد بالرصيف ـ الرسالة والتوريق.

٣٨ ـ كرسي مسجد ابن سمعون بالعيون ـ الرسالة.

٣٩ ـ كرسي ضريح سيدي أحمد الشاوي ـ الرسالة والتوريق.

٤٠ ـ كرسي مسجد ابن عمران[١] بعقبة ابن صوال ـ البخاري والشمائل.

٤١ ـ كرسي زاوية بني المعادي[٢] ـ الرسالة.

٤٢ ـ كرسي مسجد العقبة الزرقاء الأسفل ـ الرسالة.

٤٣ ـ كرسي زاوية الغازيين بالشراطين ـ الرسالة.

٤٤ ـ كرسي مسجد درب البواق من جرنيز ـ الرسالة.

٤٥ ـ كرسي مسجد سيدي تميم بدرب الغرباء[٣] ـ الرسالة.

٤٦ ـ كرسي مسجد سيدي موسى ـ الرسالة.

٤٧ ـ كرسي بزاوية سيدي الخياط الرقعي بالشرشور؟

٤٨ ـ كرسي مسجد الشرابليين ـ الرسالة.

٤٩ ـ كرسي مسجد سويقة ابن صافي ـ الرسالة والتوريق.

---

(١) هو الواقع أعلى هذه الزنقة.

(٢) هي زاوية الشيخ التاودي ابن سودة.

(٣) بزنقة جرنيز أيضاً.

٥٠ ـ كرسي مسجد زقاق الماء[1] ـ التدريس والتوريق.

٥١ ـ كرسي زاوية سيدي قاسم بن رحمون ـ التدريس والتوريق.

٥٢ ـ كرسي مسجد ما شان بزقاق الحجر ـ الرسالة.

٥٣ ـ كرسي مسجد الأبارين ـ البخاري والتوريق.

٥٤ ـ كرسي مسجد الديوان ـ الرسالة.

٥٥ ـ كرسي مسجد سيدي أحمد بن يحيى ـ البخاري.

٥٦ ـ كرسي مسجد عجيسة ـ التدريس والتوريق.

٥٧ ـ كرسي مسجد الدرب الطويل من حومة البليدة ـ الرسالة.

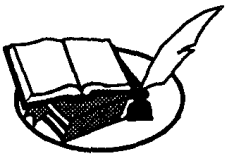

(١) من المساجد القديمة بفاس، وممن كان يقرئ به الفقيه أبو بكر بن عثمان بن مالك الفاسي من أساتذة أبي الحسن علي بن حرزهم انظر «جذوة الاقتباس»، ص١٠٣.
وبه كان يؤم ويتعبد الشيخ الشهير أبو عبدالله محمد بن يعلى الفاسي الشهير بالتاودي المتوفى بفاس عام ٥٨٠هـ، وترجمته مبسوطة في «سلوة الأنفاس» ج ، ص١٣ ـ ١٠٠، وجاء فيها بعد ذكر هذا المسجد: «وخلوته التي كان يتعبد بها فيه قبلة منه لا زالت مصونة عن كثرة الدخول لها...».

أوقاف بدون كرسي[1]

على مَواضِع معينة بجامعي القرويين وَالأندلس

كما كان لكراسي التدريس أوقاف خاصة، كذلك أنشئت أوقاف - بدون كرسي - لمواضع معينة في كل من جامعي القرويين والأندلس، وهذا تقليد وجد بمصر والشام أيضاً، فقد كان بالجامع الأموي بدمشق حسب رحلة ابن جبير: سارية - وهي الواقعة بين المقصورتين القديمة والحديثة - لها وقف معلوم يأخذه المستند إليها للمذاكرة والتدريس، ويذكر المقريزي في الخطط: ثمانية من زوايا جامع عمرو بالقاهرة التي كانت تقام بها حلقات تعليمية، ويشير إلى الأوقاف التي وقفت على كل من هذه الزوايا[2].

والمعروف في هذا الصدد - في إطار جامعة القرويين - هو ثمانية مواضع: سبعة بجامع القرويين، وواحد بجامع الأندلس: ستة منها لتجويد القرآن الكريم - عملياً - باللسان، واثنان لتدريس الرسالة القيروانية، وهذا تفصيلها:

---

(١) ارجع إلى مجلة «دعوة الحق» السنة التاسعة، العدد الرابع، ص٩١ - ٩٧، من العدد الخامس ص٩١ - ٩٧.

(٢) انظر «تاريخ التربية الإسلامية» للدكتور أحمد شلبي، ص٩١ - ٣٦٥.

في جامع القرويين:

١) سارية لتجويد القرآن الكريم:

لم يعين موقعها بالقرويين، وقد ذكر أستاذها مؤلف «فهرسة تنوير الزمان»[١] وسماه: «سيد يعيش»، بدون أن يذكر اسم والده أو نسبه، مع التنصيص على أنه توفي حدود عام ٩٨٠هـ /١٥٧٢ ـ ١٥٧٣م وحسب نفس المصدر فقد كان يجود للطلبة بهذه السارية.

٢) سارية أخرى لتجويد القرآن الكريم:

وهي الواقعة يمنة عنزة هذا الجامع، وحسب الوثيقة الآتية فإن الذي أنشأ وقف هذه السارية هو الشيخ الجليل أبو العباس أحمد بن محمد الشاوي المتوفى في المحرم عام ١٠١٤هـ /١٦٠٥م[٢]، وصاحب المشهد بالسياج من فاس القرويين، وقد عين المحبس لهذا الوقف الأستاذ أبا العباس أحمد بن علي بن شعيب الفاسي المتوفى عام ١٠١٥هـ /١٦٠٦ ـ ١٦٠٧م[٣] ثم من يأتي بعده، وفي «النهج المتدارك»[٤] تحدث عن هذا الأستاذ وذكر الوقفية هكذا:

«. . .يحكى عنه ـ رحمه الله ـ أنه كان متصدراً للأخذ بجامع القرويين من فاس، وكان يجود مع الطلبة بلسانه، ويلازمه الشيخ الصالح سيدي أحمد الشاوي دفين السياج من فاس، وأوقف عليه ومن يقفوه أرضاً بلمطة يقال لها: «الضويات» وفي آخر عمره تأخر عن القرويين لكبر سنه، فيجود

---

(١) اسمها الكامل: «فهرسة تنوير الزمان، بقدوم مولاي زيدان» تأليف قاسم بن محمد بن محمد ابن أبي العافية الشهير بابن القاضي، تقع ضمن مجموع بالمكتبة الملكية بالرباط رقم ٢٥٥.

(٢) ترجمته ومراجعها في «سلوة الأنفاس» ج١، ص٢٧٤ ـ ٢٧٩.

(٣) له ترجمة وجيزة في «شرح المثاني» ج١، ص٩٩.

(٤) اسمه الكامل «النهج المتدارك في شرح دالية ابن المبارك»، تأليف أبي العلاء المنجرة، خ ع ٩٩٤ك.

مع الطلبة بداره في «الكدان» أو بمسجد قربها كان إمامه، ويوم الجمعة يحمله الطلبة بين أيديهم إلى جامع الأندلس، ويجلس فيها بباب الحفا، ويقرأ مع الطلبة بلسانه، ويسمع صوته ـ تبييناً للحروف والحركات وإفرازاً للكلمات ـ من قنطرة بين المدن[1]، رحم الله الجميع...».

هذا ومن حسن الحظ أن تحتفظ «الحوالة السليمانية»[2] لأحباس القرويين بنسخة الوقف المشار له، وفيها الإحالة على وثيقة أخرى، ونص المعنية بالأمر:

الحمد لله: حبس المرابط أعلاه: الأجل، السيد الأكمل، البركة، أبو العباس أحمد بن المرحوم أبي عبدالله محمد الشاوي: جميع الستة فدادين، وهي: عين العرب، وفدان ابن فيلو الصغير، وفدان الغدائر، وفدان ركية العلك، وفدان الغرس، وفدان الكوشة. المحتوى «كذا» على حراثة أربعة أزواج، المذكورة والمحدودة أعلى المنتسخ منه، بمنافعها ومرافقها وكافة حقوقها كلها: على الفقيه الأجل، النحوي، اللغوي، الأستاذ، المجود، المشارك السيد أبي العباس أحمد بن السيد المرحوم أبي الحسن علي شعيب به عرف، ينتفع بها، على أن يجود للطلبة بالسارية التي عن يمين العنزة بجامع القرويين، شرفها «كذا» الله بدوام الذكر فيه من زوال الشمس إلى البريح على الدوام والاستمرار، عدا يوم الخميس ويوم الجمعة، حبساً مؤبداً، ووقفاً مخلداً، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين، ومن بدل أو غير فالله حسيبه وسائله، ومتولي الانتقام منه، فإن مات يرجع للأستاذ مثله على الصفة المذكورة إلى انقراض الدنيا، قاصداً بذلك وجه الله العظيم والدار الآخرة، والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً، وبسط يده على حوزه، وتوجه صحبة شهيديه إلى الفدادين المذكورة وحازها حوزاً تاماً كما يجب معاينة، وعرفا قدره، شهد به عليهما بحال كمال الأشهاد، وعرفهما، في أواخر صفر عشرة وألف...».

---

(١) هكذا.

(٢) خ.ع. رقم ٢٣ ص٢٤٧ «فيلم».

٣) في عنزة القرويين:

كان يجود فيها للطلبة ـ من طلوع الشمس إلى صحوة النهار ـ:

أ ـ أبو العلاء إدريس بن محمد بن أحمد المنجرة الحسني الإدريسي التلمساني ثم الفاسي المتوفى يوم الثلاثاء ٢٢ محرم عام ١١٣٧هـ/ ١٧٢٤م[١].

ب ـ ابنه أبو زيد عبدالرحمٰن سابق الذكر في القسم الثاني[٢].

٤) في صدر جامع القرويين:

وهو مجلس لم يحدد مكانه بالضبط، وأستاذه هو أبو محمد عبدالله بن محمد المدعو ابن يخلف الأنصاري الأندلسي ثم الفاسي المتوفى في ٢٧ قعدة عام ١١٦٢هـ /١٧٤٩م، قال في ترجمته من «نشر المثاني» المخطوط[٣]: وكان محل جلوسه لتجويد الطلبة عليه بصدر مسجد القرويين.

٥) في ظهر الصومعة:

وبها كان يجود ـ عند الأذان الثاني للظهر ـ أبو العلاء إدريس بن عبدالله ابن عبدالقادر الحسني الإدريسي الودغيري الملقب بالبدراوي المتوفى ليلة الأربعاء ١٦ محرم عام ١٢٥٧هـ /١٨٤١م[٤].

---

(١) «سلوة الأنفاس» حيث توجد ترجمة المذكور، ج٢، ص٢٧٢، ٢٧٣.

(٢) نفس المصدر، ج٢، ص٢٧٢.

(٣) نسخة المكتبة الأحمدية، ورقة ٣١٧ب.

(٤) سلوة الأنفاس، ج١، ص٣٢٧، أما ترجمته فتوجد بنفس المصدر، ج٢، ص٣٤ ـ ٣٤٣، هذا ويلاحظ أن المصادر التي رجعت لها في هذا الصدد لم تعين مجلس أستاذ كبير في هذه الفترة بجامع القرويين، وهو محمد بن عبدالسلام الفاسي الفهري المتوفى يوم الأربعاء ١٢ رجب عام ١٢١٤هـ وهو بدون شك إغفال من المصادر المشار لها على أنه من المتوقع أن يكون هذا مذكوراً في بعض المصادر التي لم أستطع الوقوف عليها.

٦) **سارية لتدريس الرسالة القيروانية:**

لم يعين موقعها بهذا الجامع، وقد تعاقب عليها:

أ ـ محمد بن قاسم بن علي بن عبدالرحمٰن ابن أبي العافية المكناسي الشهير بابن القاضي المتوفى عام ٩٦١هـ /١٥٥٣ ـ ١٥٥٤م[١].

ب ـ ولده أبو عبدالله محمد المتوفى عام ٩٦٥هـ /١٥٥٧ ـ ١٥٥٨م[٢].

٧) **موضع آخر لتدريس الرسالة القيروانية:**

وكان ـ حسب النشر المخطوط[٣] ـ بالمستودع الذي عن يسار الداخل للقرويين من باب الكتبيين، والظاهر أنه يقصد البقعة المرتفعة يساراً لصف هذا الباب، ويبعد أن يريد المستودع الواقع خلف الصومعة، ولو قصد هذا لكان المنطق أن يقول يسار الداخل من باب الموثقين، أو يمنة الداخل من باب الحفاة، وقد تولى التدريس بهذا الموضع جماعة وهم:

أ ـ محمد بن حمدون الشديد الأندلسي ثم الفاسي المتوفى في ربيع الثاني ١١١٠هـ /١٦٩٨ ـ ١٦٩٩م[٤].

ب ـ ولده أحمد المتوفى في العشرة السابعة من المائة ١٢[٥].

ج ـ حفيده حمدون الذي لم يحدد تاريخ وفاته[٦].

د ـ عبدالكريم بن علي الزهني اليازغي المتوفى في ٢٧ قعدة عام

---

(١) فهرسة تنوير الزمان التي حددت تاريخ وفاته وله ترجمة في سلوة الأنفاس، ج٣، ص٢٨٠، ٢٨١.

(٢) فهرسة تنوير الزمان.

(٣) النسخة السالفة الذكر، ورقة ٢٤٢أ.

(٤) النشر المخطوط: نفس النسخة والورقة.

(٥) نفس المصدر، ورقة ٣٤٢أ.

(٦) نفس المصدر ورقة ٣٤٢ب.

١١٩٩هـ /١٧٨٥م، نفذه له السلطان محمد الثالث لما أهمل سابقه التدريس بهذا الموضع[١].

في جامع الأندلس:

٨) سارية الأستاذ سيدي محمد الصغير:

هكذا سميت في «الحوالة السليمانية»[٢] دون أن يحدد موقعها، وظاهر أنه يعني بأستاذها: أبو عبدالله محمد بن الحسين بن محمد بن حمامة الأوربي النيجي ثم الفاسي الشهير بالصغير، والمتوفى ليلة الجمعة ٦ شعبان عام ٨٨٧هـ /١٤٨٢م[٣]، وقد جاء في ترجمة هذا الأستاذ أنه ختم عليه القرآن بالقراءات السبع ٣٠٠ طالب[٤]، ولا شك أن هؤلاء أو بعضهم على الأقل قرأوا عليه بهذه السارية.

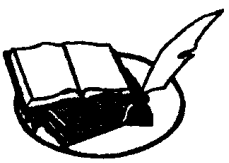

(١) نفس المصدر والورقة، أما ترجمة هذا الأستاذ فهي في سلوة الأنفاس ٢، ص١١٥.
(٢) الفيلم السابق الذكر، ص٢٦٩.
(٣) ترجمته في «سلوة الأنفاس» ج٢، ص٦٥ ـ ٦٧.
(٤) هذا في «فهرسة المنجور» ونقله عنها في «سلوة الأنفاس» ج٢، ص٦٥.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

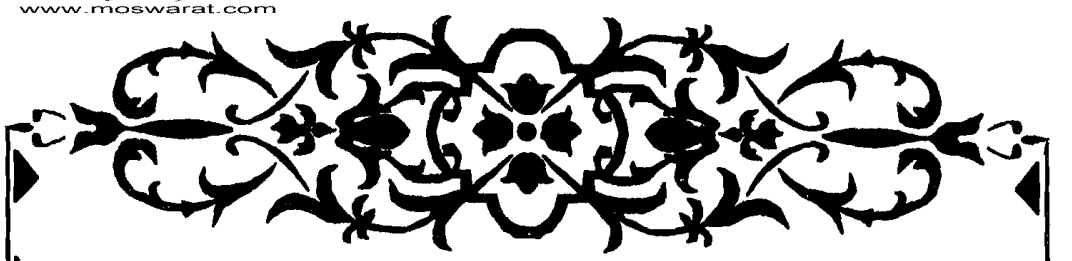

الفصل الأول

التعريف بأوائل من ارتبط تاريخهم بتدريس صحيح الإمام البخاري بهذا الكرسي

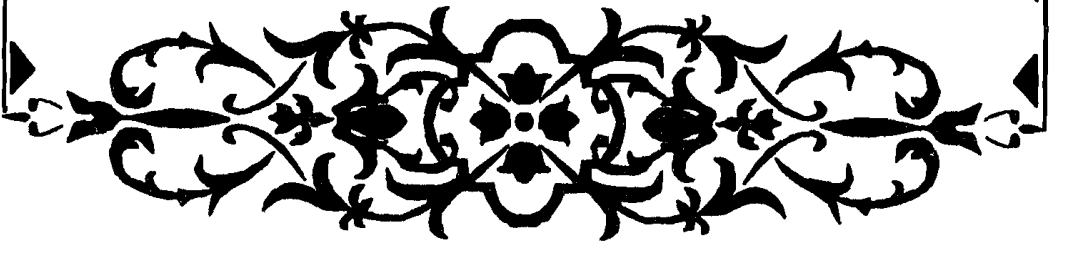

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

توطئة

موقعه:

يوجد هذا الكرسي عن يسار الداخل من باب الرواح الأعلى المجاور لباب الخلفاء وعن يمين الداخل من باب الصفر الأعلى أو باب السِبْطرِيِّين في الركن الجنوبي الغربي في قاعة الصلاة.

وهذا الكرسي هو نفس كرسي ابن غازي[1]، ويستفاد من الوثائق التي بين أيدينا أن هذا الكرسي الجليل لم يكن مخصصاً بفن معين في الزمن القديم، ولهذا نعرف أن نعته من لدن الحوالة السليمانية بأنه (كرسي البخاري) إنما هو نعت لاحق.

تنافس العلماء على التدريس بهذا الكرسي:

يقول الدكتور عبدالهادي التازي[2]: «وبعد وفاة هذا ـ أي: المنجور ـ اتفق أن كان في مدينة مراكش ـ وهي آنذاك عاصمة السعديين ـ أبو القاسم بن أبي النعيم (ت١٠٣٢هـ) وأبو القاسم ابن سودة (ت١٠٠٤هـ) فوزع السلطان بينهما ما كان لشيخهما المنجور، وكان ولي عهده بفاس الأمير محمد الشيخ

(١) الأنباء المنشودة ١/١٨١.

(٢) جامع القرويين ٢/٣٧٣.

المأمون قد أعطى ما كان بيد المنجور للقاضي الحميدي (١٠٠٣) والشيخ يحيى السراج (١٠٠٧).

وبعد أن رجع الفقيهان إلى فاس وعرفا ما كان، اتفق المشايخ على أن يأخذ ابن أبي النعيم الكرسي القديم لسيدي يحيى السراج، ويتوزع السراج وابن سودة كرسي الشيخ المنجور...

وكل هذا التنافس يدل على ما يتمتع به هذا الكرسي من مركز لدى رجال القرويين. والواقع أنه يعد بحسب الروايات التاريخية من أهم الكراسي التي توالت عليها كبار الشخصيات، وكان هدفاً لكثير من المنازعات.

وقد تحدث كتاب (الروضة المقصودة) كثيراً عن هذا الكرسي، ففي باب العلوم التي درسها الشيخ محمد التاودي ابن سودة (ت١٢٠٩هـ) جاء ما يلي: «وفي سنة بعد الستين ومئة وألف، ولاه سلطان الوقت أبو الحسن علي المدعو بالأعرج تدريس علم الحديث بجامع القرويين، ونفذ له الكرسي المعين له هناك عند الأسبوع الأعلى يمنة المحراب الجامع لناحية باب الصفر، وهو من جملة ما كان نفذه السلطان الأعظم أبو العباس أحمد المنصور السعدي لجد بني عمه من بني سودة أهل درب القاضي من عدوة فاس القرويين، الشيخ أبي القاسم ابن سودة، واستمر بيد أعقابه يتوارثونه».

الأوقاف المحبسة على هذا الكرسي:

يقول الدكتور عبدالهادي التازي: «ولا تتجلى أهمية هذا الكرسي في الوجوه اللامعة التي عرفها فقط ولكن أيضاً في الأوقاف المهمة التي كانت معينة لمن يستطيع التصدر له. ومن الجدير بالذكر أن نعلم أن سائر البقاع التي كانت محبسة على المرضى القاطنين ببرج الكوكب ـ وعددها ثمان وسبعون بقعة ـ كل ذلك استحال بعد تعطيل البرج... كما أن في جملة الأوقاف عليه نحواً من اثني عشر عقاراً للذين يدرسون في الصباح، ونحواً من سبعة عقارات وبعض الأرحية للذين يتصدرون له في الظهر، وزهاء ست بقاع لمن يتولى التدريس به في العصر والمساء».

١ ـ ابن غازي
(المتوفى سنة ٩١٩هـ)[١]

كان الإمام ابن غازي من أوائل من ارتبط تاريخهم بهذا الكرسي المبارك حيث درس فيه صحيح الإمام البخاري.

فمن هو الإمام ابن غازي؟

هو أبو عبدالله محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن غازي العُثماني المكْناسي؛ أحد علماء المغرب وأساتذته الذين عظُم بهم الانتفاع، وملأ صِيتُهم البقاع. نسبُه في بني عُثْمان قبيلة من كُتَامَة على ما ذكره هو في «الروض الهتون» استناداً إلى ابن خلدون.

وفي «نشر المثاني» أن العَثَامِنة بطن من مُختار حوزَ مَكْناسَةِ الزّيتون. ولا يبعد أن يكون أصلهم من كُتامة واعتبر المترجم الأصل فقط.

وكانت ولادته ببلده مَكْنَاسة عام واحد وأربعين وثمانمائة كما قاله المَنْجُور في «فهرسته»، خلافاً لما عند ابن القاضي من أنها كانت سنة ٥٥٨ قائلاً: إنه هكذا رآها في «الروض الهتون»؛ فالذي في «الروض الهتون» هو أنه رحل إلى فاس لطلب العلم في السنة المذكورة ـ على ما يَظُن ـ فلعله

(١) هذه الترجمة مقتبسة من كتاب (ذكريات مشاهير رجال المغرب) للعلامة عبدالله گنون، ط٣، دار ابن حزم، بيروت ـ بعنايتنا ـ.

وقع لابن القاضي تحريف في نسخته من «الروض» كما قال في «السلوة».

وهذا نص كلامه في «الروض» بآخره: «قال المؤلف محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن غازي العثماني منسوباً لأبي عثمان، وهو من قبيلة كتامة حسبما ذكر ابن خلدون في كتاب «العبر»: نشأت بهذه المدينة «مكناس» كما نشأ بها أسلافي وقرأت بها ثم ارتحلت إلى فاس في طلب العلم، أظنه سنة ثمان وخمسين وثمانمائة. فأقمت بها ما شاء الله تعالى. ولقيت من الأشياخ بالمدينتين جماعة ذكرت مشاهيرهم في «الفهرسة» التي سميتها بالتعلّل برسوم الإسناد، بعد انتقال أهل المنزل والناد. ثم عدت إلى مكناسة فأقمت بها بين أهلي وعشيرتي زماناً، ثم انتقلت إلى فاس، كلأها الله تعالى، فاستوطنتها:

وكان ما كان مما لستُ أذكره فظُنّ خيراً ولا تسأل عن الخبر»

وقد أفادنا في هذه الكلمة القصيرة بعدة أشياء: أولها بيان نسبه. وثانيها نشأته وطلبه العلم ببلده مكناسة ثم رحلته إلى فاس بصدد إكمال دارسته. وثالثها عودته إلى مكناس واستقراره بها بين أهله وعشيرته مدة من الزمان.

وهذه كلها أمور طبَعية لا تلفت نظر الباحث كما يلفته رابعُ تلك الأشياء وهو انتقاله بأَخَرَة إلى فاس متوطناً لها من غير ذكر موجب لذلك، إلا هذا البيت من الشعر الذي أنشده محاولاً صرف نظرنا عن البحث في هذا الأمر فكأنه أغرانا به ووكلنا بالكشف عن سره!...

والواقع أن مترجميه الذين قرأناهم، قد اقتنعوا بهذه الإشارة فلم يُعرّجوا على ذكر السبب في انتقاله إلى فاس، ولم يسألوا «عن الخبر» اليقين في ذلك بل ظنوا خيراً ـ كما أمرهم ـ وقالوا هذه مَؤونة كُفِيت.

وما هي بأول غفلات مؤلفي التراجم عندنا عن العناصر الأصلية التي تتكون منها ترجمة الشخص الذي يعرّفونه كطفولته ونشأته وأخلاقه والأعمال النافعة التي قام بها والأحداث التي وقعت له في حياته وتاريخ ذلك كله،

إلى غير ما ذكر من المعلومات الواضحة التي تُعطينا صورة صحيحة عن الشخص الذي نتعرفه بالترجمة. فأما الألفاظ الجوفاء من الأسجاع المتكلفة والتّحْلِيات المبالغَ فيها ـ وهي ما يجتهد فيه المترجمون غالباً ـ فإنها لا تكاد تفيدنا في هذا الباب شيئاً، وأكثرها مما يتماثل حتى لا يعودَ فرق بين هذه الترجمة وتلك إلا في الاسم والتاريخ.

وعلى كل حال فإن ابن غازي بعد أن كان استقر ببلده مكناس، أزعِجَ عنها إلى فاس في الحالة التي جعلته يتمثل بذلك البيت من الشعر، ومترجموه مع اعترافهم بإمامته في العلم وورعه التام بحيث لا يصدر منه ما يوجب إخراجه من بلده شرعاً، لم يعيروا هذه المسألة أدنى اهتمام، فلننفُض يدنا منهم ولننظر ما تقوله المظان الأخرى عن هذه القضية.

قال المؤرخ ابن القاضي في «درة الحجال» في غير ترجمة ابن غازي بل في ترجمة الأستاذ محمد بن يوسف التّرْغي: «وحدثني أن ابن غازي لما نفاه محمد بن أبي زكرياء يحيى بن عمر الوَطّاسي الملقب بالحلو عن مكناسة، لقيه بَوّابُ مكناسة وهو خارج منها قاصداً المشرق ـ أعني كان في ظنه ذلك ثم حبسه أهل فاس عندهم ـ فقال له البواب يوصيه: يا محمد! عليك بالقراءة فمِنْ بَركتها بلغتُ هذا المنصب وهذه الخطة! يعني خطة الجلوس لحراسة الأبواب، فكان ابن غازي يُسلّي نفسه بعد ذلك بقوله وكان أمير فاس يومئذ محمد بن الشيخ أبي زكرياء».

فهذه الحكاية تفيد أن ابن غازي خرج من مكناسة منفياً، نفاه أميرها محمد الحلو أخو السلطان محمد الشيخ، ولكن العلامة الناصري في «الاستقصا» يقول: «وفي سنة إحدى وتسعين وثمانمائة استدعى السلطان محمد الشيخ الإمام أبا عبدالله ابن غازي من مكناسة إلى فاس فولي الخطابة أولاً بالمسجد الجامع من فاس الجديد ثم ولي الإمامة والخطابة ثانياً بمسجد القَرَوِيّين من فاس وصار شيخ الجماعة بها واستوطنها إلى أن مات رحمه الله» فبماذا يجمع بين هذين الخبرين المتناقضين؟

لا شك أن النفي إن كان لقضية سياسية لا يُجامِعُ الاستدعاءَ الذي يدل

على الكرامة، خصوصاً إذا علمنا أن الأخوين السلطان والأمير لم تكن بينهما خصومة حتى يتعمد السلطان إغاظة أخيه باستدعاء ابن غازي، كيف وقد كان هذا الأخ وزيراً له فضلاً عن إمارته لمكناسة؟...

وأما إذا قلنا إنها خصومة شخصية بين الأستاذ ابن غازي والأمير محمد الحلو لم يجد السلطان معها بدّاً من استدعاء ابن غازي إلى فاس تَلافِياً للضرر الذي يمكن أن ينشأ عنها، فكيف نؤول ما جاء في حكاية ابن القاضي عن التّرْغي من أن ابن غازي لما نفاه محمد الحلو عن مكناسة خرج يريد المشرق ثم حبسه أهلُ فاس عندهم؟... فمقتضاها أنه لم يكن هناك استدعاء من السلطان وأنه خرج من مكناس ناوياً مُغادرة المغرب، وفي طريقه إلى المشرق حبسه أهل فاس عندهم.

وعلى كل حال فكلام ابن غازي نفسِه وإنشادُه للبيت المتقدم يشعر أن هناك خصومة حادة كانت بينه وبين أمير مكناس، وأن العناية التي لقيها من السلطان ومن عامة الناس منعته من الخوض في أسباب تلك الخصومة وما نشأ عنها من النفي والتشريد عن بلده ومَسْقِط رأسه مكناسة الزيتون التي أحبها وكلف بها وكان عازماً على الاستقرار فيها إلى الوفاة كما كانت مقراً لأجداده وسلفه من قبل.

وهذه عبارة له في «الروض» أثناء الكلام على رجالات مكناس من علماءٍ وغيرهم تشعر بأنه كان ينطوي من هذا الأمر على سر لا يرى إفشاءَه تقيةً أو رعياً للذّمام وهي قوله: «وقد كنت أردت أن أجمع من أمكن منهم مرتبين على حروف المعجم، فجمعت منهم جماعة صالحة ثم خمدت القريحة عن ذلك وجمدت الطبيعة وعاقت العوائق وشط المزار... وعدَتْ عوادٍ بيننا وخطوب. وما برز من الغيب فهو المختار، وربك يخلق ما يشاء ويختار».

على أنه فيما يظهر من حاله كان يتجنب الخوْضَ في مثل هذه الشؤون حتى لو لم تتعلق به، فإنا نجده عندما تعرض لذكر شيخيه أحمد بن سعيد الحبّاك وأبي عبدالله القَوْرِي المِكْناسيّين وكان لقيهما بفاس يقول: «وكان

هذان الشيخان قد ارتحلا من مكناسة إلى فاس، وسبب ارتحالهما مشهور عند الناس، فلنَقْبِضْ عنه العِنان، والله المستعان» فهذه من تلك، ولا ريب أن هناك اعتبارات سياسية أو اجتماعية كان يراعيها في تركه للكلام عن سبب انتقال هؤلاء العلماء من مكناسة إلى فاس والله من وراء القصد.

وقد تقدم في آخر الحكاية المنقولة عن درة الحجال أن أمير فاس حين انتقل إليها ابن غازي كان هو محمد بن الشيخ أبي زكرياء وهو خطأ صوابه محمد الشيخ بن أبي زكرياء كما لا يخفى.

هذا ولا نترك الحديث عن هذه الحكاية حتى ننبّه إلى ما فيها من الدلالة على خفة روح ابن غازي ولطف تندّره بقول البواب له وهو خارج من بلده مطروداً: يا محمد عليك بالقراءة فمن بركتها بلغت هذا المنصب!.. ولعل هذا البواب كان لا يرى في ابن غازي حتى ذلك الوقت، وهو قد بلغ الخمسين من عمره وأنهى دراستَه بمكناس وفاس منذ سنين، إلا طالباً ناشئاً لم يُحصّل بعدُ من العلم ما يستحق به أن يكون بواباً مثله فلذلك أوصاه بالقراءة، وهي مشكلة العلماء مع الجهال والشباب مع الشيوخ لم تزل قائمة منذ الأزل ولن تزال إلى يوم الدين.

وبعدُ فلا يفوتنا أن نلاحظ كونَ القراءة هي شرط الولاية ـ كانت ـ في عموم المناصب حتى منصب البواب. وهذا في دولة بني وطاس ولم تكن من الدول العظمى بالمغرب، فما ظنك بدولة الموحدين والمرينيين مثلاً؟...

أولئك قوم إن بنَوْا أحسَنُوا البنا وإن عاهدوا وَفّوا وإن أوثقوا شَدوا

❋ ❋ ❋

ونعود إلى «الروْض الهَتُون» ننخُله فإذا بكلمة أخرى لها أهميتها في معرفة منبت ابن غازي وتربيته البيتية أثناءَ طفولته ومنشأه في حِجْر أمه الصالحة رَحْمَة بنت الجَنّان، من أُسْرة الجنّان الشهيرة بمكناس... وذلك عند كلامه على الشيخ أبي عبدالله محمد بن عزّوز الصنهاجي من علماء

مكناسة، حيث ذكر أنه توفي بالمشرق في حجته الثانية فتزوج والد ابن غازي زوجه رحمة المذكورة قال:

«فهي أمي والحاج المذكور والدُ إخوتي لأمي. وقد كانت أمي حفظت منه حديثاً كثيراً في أيام الصغر فلم أتعب في حفظه بعد الكبر ولله الحمد. وكانت رحمها الله ملازمة لدرس القرآن العزيز في المصحف وكان علّمها كثيراً من تفسير قصصه وأخباره فنفعتنا بذلك في الصغر غايةً برّد اللّهُ ضريحها وحدثتني عنه بحكايات وفوائد يطول جلبها».

فإلى هذه الأم الصالحة يعود الفضل في تكوين هذا الولد وتوجيهه التوجيه الخُلُقي والعِلْمي. وقلّما رأيت رجلاً عظيماً له شأن يذكر ولم يكُن للمرأة في حياته تأثير ملموس لا سيما الأم التي في حجرها يتلقى أول درس في الحياة. فإن كانت امرأة فاضلة مهذبة طبعت ولدَها على غِرار نفسها فنشأ فاضلاً مهذباً وإلا فأول ما يؤتى منه الولد الأم الجاهلة السيئة الخلق. ولقد أثرت هذه السيدة في ولدها تأثيراً بليغاً بقي يذكره لها مدى الحياة، ففضلاً عن التربية العملية التي تقوم بها كلّ أم لولدها، كانت تُلقّنه بعضَ المعلومات النافعة من الأدعية النبوية والفوائد العلمية، وتحكي له عن زوجها الأول حكايات لا شك أنها كانت تعمل عَمَلَها في نفس الصبي من حيث توجيهُه العلمي إذ كان ذلك الزوج فقيهاً مُحَدّثاً مُقْرِئاً أديباً مؤرّخاً. وعلى منواله نسَجَ ابنُ غازي بعدُ فكان متفنناً مثل زوج أمه بل أرْبَى عليه في ذلك.

ولعل هذه الأم التي فُجِعَت بزوجها العالم كان لا يُرضيها إلا أن ترى له خَلَفاً من بنيها تتسلى به عنه فكان هو ابنها هذا الذي لم تألُ جُهْداً في تربيته وإعداده لذلك. وعليه فإذا ذهبنا نعد أشياخ ابن غازي الذين أخذ عنهم واستفاد منهم فإن أمه السيدة رحمة الجنّان تكون في الطليعة لا يتقدم عليها أحد في هذا الأمر.

ثم يأتي بعدها أكبرُ شيوخه قدراً وأجلهم خطراً وهو الإمام أبو عبدالله القَوْري المكناسي ثم الفاسي أخذ عنه الفقه والحديث وغيرهما. فأبو عبدالله محمد الصغير النّيجي أخذ عنه القراءات والعربية وكان عمدة فيهما.

وأبو العباس المَزْجَلْدي، وأبو علي المغيلي، وآباء زيد القَرْمُوني والمَجْدُولي والكاوَاني وأبو الحسن ابن مَنُون، وأبو العباس الحبّاك، وأبو عبدالله محمد بن محمد بن جابر الغسّاني، وأبو الحسن الأنْفاسي وأبو سالم بن الحاج، والقاضي الوَزْياغلي، وأبو عبدالله محمد بن يحيى البادِسي وأبو الفَرَج الطنجي، وأبو عبدالله بن أبي سعيد السُلَوي، وأبو عبدالله محمد بن أبي القاسم بن يحيى السرّاج، والشيخ الرحالة أبو محمد عبدالقادر البَكْري المَقْدِسي ورد على المغرب سنة ٨٨٠ وتدبّج هو وإياه.

فهؤلاء شيوخه الذينَ لقيَهم وأخذ عنهم بالسماع فقط أو بالسماع والإجازة. ولقد ضمّن تراجمهم وما أخذ عن كل منهم في فهرسته السابقة الذكر المسماة بـ«التعلل برسوم الإسناد بعد ذهاب أهل المنزل والناد». وهي فهرسة مليحة تدل على خبرته بفن الرواية وطُرق التحمّل. وكان لا يزال عند أهل عصره أثارَةٌ من هذا العلم لم يُفسدها ما أُدخِلَ عليه بعدُ من التكثر بما لا يزيد شيئاً في العلم إن لم ينقصْ منه. حيث صار همّ كثير ممن يصرفون أعمارهم في إحصاء هذه الروايات أن ينتسبوا إلى أكبر عدد من الشيوخ ويأخذوا عنهم بطريق الإجازة العامة وهم لم يسمعوا منهم لفظاً ولم يحققوا عنهم معنى ولذلك نراهم أكثرَ الناس تحريفاً للنصوص وألحنَهم في النطق والكتابة.

وبينما كان أسلافهم يبذلون الجهود في الرواية والدراية ويحررون المسائل ويحلّون المشاكل، نرى هؤلاء وأكثرُ ما عندهم رويتُ عن فلان وأجاز لي فلان، فنعوذُ بالله من الجهل الفادح والادعاء الفاضح.

ولقد أجاز لمترجَمنا الحافظان المصريان الدّيمي والسّخاوي، استجازهما له صديقُه ورفيقُه الشيخ زورق سنة ٨٨٥ كما أجاز له العلامة ابن مَرْزُوق الكفيف (من تلمسان) ولكن اعتماده كما رأيت كان على شيوخ الأخذ والسماع لا على شيوخ الإجازة والإذن ولعل هذا المعنى أولُ ما يُفهم من اسم الفهرسة (التعلل برسوم الإسناد بعد ذهاب أهل المنزل والناد) فللّه در ابن غازي ما أحسن مقاصدَه، وأعذب موارده!...

وإلى هنا نكون قد تتبعنا المترجم في مراحل دراسته ورأينا كيف نشأ طالباً مجتهداً يؤم فاساً لإكمال دروسه في سن السابعة عشرة فلا يلبث أن يصير عالماً كبيراً ويعود إلى بلده مكناسة فيكون له من الظهور ما يجعل أميرَها يتحرّش به فيضطره إلى العودة لفاس حيث يتوطّد له هذا المجد العلمي الذي يصير به رئيس الهيئة العلمية في عصره بالمغرب، ويكون له مقام ديني رفيع يصير به رئيس الأئمة والخطباء الدينيين بتولّيه الخطبة وإمامة جامع القرويين إلى غير ذلك من شفوف المنزلة عند السلطان ومزيد الاعتبار له حتى كان يصحبه معه في حركاته ولا يستغني عنه في غدواته وروحاته.

والحق أنه كان شخصية كبيرة تبعث على الاحترام سواء من الناحية العلمية أو الدينية أو الخلقية...

فأما علمه فيقول تلميذه عبدالواحد الوَنْشَريسي عنه: «كان إماماً مُقْرِئاً مُجوّداً صَدْراً في القراءات مُتْقِناً فيها عارفاً بوجوهها وعِلَلِها والراجح منها، طيّب النغمة، قائماً بعلم التفسير والفقه والعربية متقدماً فيها عارفاً بوجوهها، ومتقدماً في الحديث حافظاً له واقفاً على أحوال رجاله وطبقاتهم ضابطاً لذلك كله معتنياً به، ذاكراً للسيَرِ والمغازي والتواريخ والآداب. فاق في ذلك كل أهل زمانه».

وبقي عليه ذكرُ تفوّقه في علم الحساب فإنه كان متمكناً منه عمدة أهل عصره فيه. وبذلك يكون قد جمع معارف أهل عصره وشارك في كل العلوم التي كانت تدرس بالقرويين إذ ذاك بل حصل على الإمامة فيها. ولم يكن حظه من ذلك النظر فقط، فإنه كما يقول تلميذه الونشريسي أيضاً:

«أنفق أيام حياته في طلب العلم وإقرائه والعكوف على تقييده ونشره... وتخرّج بين يديه عامّةُ طلبة فاس وغيرها وارتحل الناس إلى الأخذ عنه وتنافسوا في ذلك. وكان عذبَ المنطق حسَنَ الإيراد والتقرير فصيح اللسان عارفاً بصناعة التدريس، مُمْتِع المجالسة جميل الصحبة سَرِيّ الهمة نقيّ الشيْبة حسن الأخلاق والهيئة، عذب المفاكهة معظماً عند الخاصة والعامة. حضرت مجالس إقرائه في الفقه والعربية والتفسير والحديث وغيرها

وكلها في غاية الاحتفال. وبالجملة فهو آخر المقرئين، وخاتمة المحققين».

وإذن فنحن أمام عالم جامع بذل مجهوداً كبيراً في الدراسة حتى حصل على غالب معارف أهل عصره: ثم بذل مجهوداً مماثلاً في بث هذه المعارف ونشرها. بل خاض معركة عظيمة ضد الجهل وانتشاره فحفظ الله به رَمَقَ العلم وصان سَنَدَهُ عن الانقِطاع، فلا تجد إلا مُنْتَمِياً له آخذاً عنه متحدثاً بفضائله مُثْنِياً على اجتهاده.

وطار صيتُه في الآفاق فلم يقتصر الأخذ عنه على أهل المغرب خاصة بل قصده الناس من كافة أنحاء أفريقيا الشمالية، فهؤلاء كثير من علماء تلمسان ـ وهي ما هي حينذاك ـ رووا عنه وتتلمذوا له. ومثل تلمسان غيرُها من مدن المغربين الأوسط والأدنى. كما أن اجتهادَه العلمي لم يقتصر على التدريس، وهو بالصفة التي ذكرنا غايةٌ لا تُدرَك، بل تعداه إلى التأليف في كل هذه العلوم ووضْعِ الكتب المتعددة في كل فن بحيث أعطى الدليل المادي لكل من لم يسعده الحظ بلقائه أو مارى في كفاءته العلمية على أنه جُذَيْلُها المُحَكّك، وعُذَيْقها المُرَجّب، وصح أن يقال فيه، مِن أحدِ عارفيه:

تكلّمْ في الحقيقةِ والمجاز ... فما في الأرض مِثْلُك يا ابن غازي

وقال أبو عبدالله الكفيف:

حَبْرٌ تَثَبّتَ والإنصافُ شِيمتُه ... أكرِمْ به طاب من خَلْق ومن خُلُق
أتى به الدهرُ فرداً لا نظير له ... مثْلَ البُخاريّ لما جاء بالعُتَقي

ويعني بالعتقي الإمام عبدالرحمٰن بن القاسم صاحب الإمام مالك، فإن البخاري لم يرو عنه في صحيحه إلا حديثاً واحداً في تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ الآية [يوسف: ٥٠].

وهذه أسماء بعض الآخذين عنه من كبار العلماء، فمنهم من أهل تلمسان أبو عبدالله بن العباس الصغير وأبو عبدالله محمد بن علي الشريف، ومن أهل وَهْران أبو عبدالله شَقْرون بن أبي جُمعة المَغْراوي ومن أهل

المغرب أبو العباس الدّقّون والمفتي علي ابن هارون وعبدالواحد الوَنْشريسي وغيرهم. . .

وأما دينه وتقواه وخلقه المتين فناهيك أنه مع هذا الانقطاع إلى خدمة العلم والتجند في سبيله، لم ينسَ أو يُهْمِلَ واجباته الأخرى كعالم ديني، فهو قد تولى الخطابة بمِكناس ثم بفاس الجديد بإثر انتقاله إلى فاس. ثم تولى الإمامة والخَطَابة معاً بالقرويين فقام بذلك خيرَ قيام. لم يَسْتَنِبْ على شيء منه كما يفعل بعض العلماء الذين لا يقومون حتى بواجب التعليم فيُفرّطون في الجميع ويتقاضون مرتّبات الجميع، بل نهض بعِبْئِه وإنّه لَثَقِيل وسار في طريقه لا يَلْوِي على شيء حتى بلغ الغاية محموداً مشكوراً. قال الونشريسي: «ولم يكن في عصره أخطبُ منه» فأفاد أنه كان يقوم بواجبه على أتم الوجوه ولم يكن يؤديه كما اتفق، شأن العاملين المجدّين في كل الأمور.

وهناك ما هو أعظم من هذا في الدلالة على قوة دينه ومتانة خلقه وهو أنه كان دائم الخروج إلى الرباط والجهاد بثغور المغرب التي دهمها العدو في آخر عهد الدولة المرينية، يبتغي بذلك الأجر والثواب ويريد أن يكون قُدوة حسَنة في هذا الباب لغيره من الناس كما كان سلف الأمة الصالح وعلماؤها العاملون. وأقرُبهم إليه وأحراهم أن يكون ابن غازي ترسّم خُطاه في هذا العمل شيخُه أبو محمد الورياغلي الذي كان من كبار فقهاء عصره، ومن حُفّاظ مذهب مالك حتى كانوا يَقِيسونه في علمه بالمازَرِي ولا يَعْدُونَ به طَبَقَتَه. فإنه كان من عادته أن يشتغل بالتدريس في فصلي الشتاء والربيع، وفي الصيف والخريف يرابط في الثغور. . .

. . .فلا شك أن ابن غازي كان يقتدي به في ذلك وإن لم يُوقّتْ لخروجه وقتاً معيناً. قال الونشريسي: «لم يزل باذِلَ النصيحة للمسلمين محرضاً لهم في خُطَبه ومجالس إقرائه على الجهاد والاعتناء بأموره. . . حضَر فيه بنفسه مواقفَ عديدة ورابط مرات كثيرة وخرج في آخر عمره لقَصْر كُتامة للحراسة فمرض ورجع لفاس فاستمر به مرضه إلى أن توفي إثر

صلاة الظهر يوم الأربعاء تاسع جمادى الأولى سنة تسع عشرة وتسعمائة. ودفن بالموضع المعروف بالكغّادين من صبيحة يوم الخميس التالي. واحتفل الناس بجنازته احتفالاً عظيماً وحضرها السلطان ووجوهُ دولته فمن دونه وأتْبعُوه ذكراً حسناً وثناء جميلاً وتأسفوا عليه تأسفاً عظيماً رحمه الله ونفع به».

فأنت ترى أنه كان يحض على الجهاد في دروسه وخطبه، ويحضره بالفعل مواظباً على ذلك حتى خرج إليه في آخر عمره وقد بلغ من الكبر عِتِيّاً فلم يرجع إلا محمولاً من شدة المرض الذي ألمّ به في ذلك الخروج، ومات بإثر وصوله إلى فاس.

وفي «دَوْحةِ الناشر» أن خروجه هذا كان مع السلطان محمد الشيخ الوطاسي للإغارة على نصارى أصِيلا. فأفاد أنه كان للغزو لا للحِراسة كما سبق عن الونشريسي ولكنه غلط في اسم السلطان الذي كان متولياً حينئذ وهو محمد البرتغالي بن محمد الشيخ لا والده هذا لأنه توفي عام ٩١٠ قبل ابن غازي بتسع سنين.

هذا وقد كان لوفاة ابن غازي تأثير عميق في النفوس جعل العلماء يأخذونها بحساب الجمل من لفظ (ابن غازي) بعد إلغاء سنة الولادة. وذلك مع التاريخ لها بالساعة واليوم والشهر والسنة وذكر المدْفَنَ على ما رأيت، مما يدل على عظيم الاهتمام ومزيد الاحترام.

مؤلفاته:

(١) الفهرسة التي سماها «التعلّل برُسوم الإسناد بعد انتقال أهل المنزل والناد».

(٢) شِفاءُ الغَلِيل في حلّ مُقفَل خليل بيّن فيه هفوات وقعت لِبَهْرام في شرحه لمختصر خليل ومواضعَ مُشكِلَة من المختصر أجاد فيه ما شاء، وقد قدّم بين يديه مقدمتين الأولى في التعريف بالمصنف والثانية في بيان بعض اصطلاحاته التي أخذها منه بالاستقراء.

(٣) تكميل التقييد وتحليل التعقيد كمّل به تقييد أبي الحسن الزّرْويلي على المُدَوّنة وحلّ كلام ابن عرفة في مختصره. وكان بعض معاصريه من علماء فاس يقول: أما التكميل فقد كمّله وأما التعقيد فما حلّه، والمُعاصَرَةُ ـ كما يقولون ـ حجاب.

(٤) الجامع المستَوْفي بجداول الحَوْفي. استخرج فيه مسائل الحَوْفية في الفرائض «بوضعها في جداول تقرّب المرام، وتغني عن كثير من الكلام» فجاء كله جداولَ إلا المقدمة وبعضَ التعاليق القليلة التي بيّن فيها ما أشكلَ من تلك الجداول.

(٥) تحرير المقالة في نظائر الرسالة. منظومة رجزية في المسائل التي تنشأ به في الحكم من رسالة ابن أبي زيد القيرواني.

(٦) المسائل الحِسان المرفوعة إلى حبر فاس والجزائر وتلمسان.

(٧) إتحاف السائل في تحرير المقاتل والدلائل.

(٨) الكليات الفقهية وهو من مُبتكراته جمع فيه قواعد الفقه الكلية التي تندرج تحتها جزئيات كثيرة. وكان تأليفه له بطريق تامسنا في أوائل عام ٨٩٣. وهو في كرّاسة صغيرة.

(٩) إمداد ذوي الاستحقاق ببعض زوائد المُرادي وفوائد أبي إسحاق. وهي حاشية على ألفية ابن مالك جمع فيها بين كلام المُرادي والشّاطبي في شرحَيْهما عليها مع زيادات مفيدةً جداً.

(١٠) إرشاد اللبيب إلى مقاصد حديث الحبيب. وهو حاشية مختصرة على صحيح البخاري جعلها كالتكملة لشرح الزّرْكشي فلا يذكر غالباً إلا ما أغفله وأودعها مع ذلك نُكتاً لطيفة.

(١١) إنشاد الشّريد من ضَوالّ القصيد. ذيل به نظم الشاطبية في علم القراءات.

(١٢) إمداد بحر القصيد ببحرَيْ أهل التوليد. ذيّلَ به نظم الخزرجية في علم العروض وشرحه. وهو مطبوع.

(١٣) نظم على الطّرُق العشر في القراءات.

(١٤) نظم فواصل المقال وشرحه.

(١٥) مُنْيَة الحُسّاب في علم الحِساب وشرحُها نظم فيه تلخيص ابن البنّاء في علم العدد وهو مشهور متداول بين الطلبة مطبوع هو وشرحه بالمطبعة الفاسية. وهو نظم سهل قريب المأخذ يقول في أوله:

وبعد فالقصد بذا الكتاب ... نظْمُ المهمّات من الحساب
ضمّنْتُهُ مسائل التلخيص ... وربما أزيد في التمحيص
تحريراً أو مسألة غريبة ... أو نُكتَة مُونِقة عجيبة
وربما استغنيتُ بالتلويح ... مخافَة الطول عن التصريح
فجاء تأليفاً صغيرَ الحجم ... قد احتوى على كثير العلم
يُقرّبُ الأبوابَ والمعاني ... ويضبِطُ الأصولَ والمَباني
في رجز مُزْدَوِج مشطور ... يحكي عُقُودَ الدرّ في النحور
لأجْل ما حوى من اللّباب ... سميّتُه بِمُنَية الحُسّاب

(١٦) تأليف في حكم ماء الحياة. وقرأتُ بخطّ جدّي الشيخ محمد التهامي رحمه الله أنه مال فيه إلى الإباحة مع أن المعروف أنه مُسكرٌ، وإن لم أقِفْ على تأليفه هذا فلْيُحَرّر.

(١٧) وأخيراً تاريخه الروض الهَتُون في أخبار مكناسة الزيتون في بضعة كراريس مطبوع. وهو من الكتب المفيدة جداً تناول فيه تاريخ بَلَدِهِ مكناس وخططها وآثارها وتراجِمَ المشاهير من أعلامها فاحتوى برغم صغر حَجْمه على ما لم تحتو عليه الكتب الكبيرة من المعلومات والأخبار ولطائف الآداب. وما أحسن افتتاحه هذا «الحمد لله الذي حبّب الأوطان للظاعنين من أهلها والقُطّان» وهو مشعر بمقصوده وحاله في آن واحد، فللّه دره! غير أنه لا يفوتنا أن نُنبّه على أن وصف الروض بالهتُون، لا يصحّ، لأنه يريدُ المهْتون فيه، والهتون وصف للمسطر. فالعجب من غفلته عن ذلك.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

٢ ـ أبو عبدالله محمد بن عبدالواحد الغزال

بعد وفاة ابن غازي صار إلى تلميذه العلامة محمد بن عبدالواحد الغزال. ولم أقف له على ترجمة.

* * *

٣ ـ أحمد ابن جيدة
(المتوفى سنة ٩٥١هـ)

ترجم له ابن عسكر في (دوحة النَّاشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر)[١].

«الشيخ الفاضل العالم أبو العباس أحمد بن جيدة من أصحاب الشيخ السنوسي.

كان يدرس علم الكلام بفاس، وكان من أهل الفضل والدين والعلم المتين».

---

(١) ص١٣٦.

تولى كرسي ابن غازي الحديثي في القرويين. ودرس أيضاً الفقه والعقائد لكبار الطلبة[1].

❋ ❋ ❋

٤ ـ عبدالرحمٰن ابن إبراهيم الدكالي المشترائي (المتوفى سنة ٩٦٢هـ)[2]

درس بفاس نصف قرن ونيِّفاً من السنين. له كرسيان بالقرويين كرسي ما بين العشائين طوال أيام الأسبوع، وكرسي الغداة يوم الخميس والجمعة، إلى درس آخر يلقيه ظهراً بسارية معينة في القرويين، ودروس أخرى في أوقات مختلفة خارج هذا الجامع، له أسلوب عجيب في التبسيط والتفهيم.

«كان مجلسه منوراً وللفظه حلاوة، وعليه طلاوة، وربما يحضره عبدالواحد الونشريسي وكان أسن منه، ويعجب من فصاحته ورشاقته»[3].

❋ ❋ ❋

(١) فهرس المنجور: ٧٤، جذوة الاقتباس: ٨١، درة الحجال ١/١٠٥، لقط الدرر: ٢٨٩.

(٢) الجذوة ٣/٩٧، لقط الدرر: ٣٠٤، الإكليل: ١٥٧، طبقات الحضيكي ١/١٥٧.

(٣) فهرس المنجور: ٥٦.

٥ ـ أبو العباس أحمد المنجور
(المتوفى سنة ٩٩٥هـ)

إمام فاس الكبير، وعالمها المشارك حقاً، المبرز في الحديث والتفسير والفقه والعقائد، أبو العباس أحمد بن علي بن عبدالرحمٰن بن عبدالله المنجور المكناسي[١].

ولد سنة **٩٢٦**هـ وأخذ العلم عن شيوخ وقته جميعاً. كاليسيتني وهو عمدته، وسقين وابن هارون، وعبدالواحد الونشريسي وغيرهم ممن اشتملت عليه فهرسته.

وأخذ عنه خلائق كابن القاضي. وأحمد بابا التنبكتي، قال في «نيل الابتهاج في تكميل الديباج»[٢]: «أفادنا فوائد جمة وفتح بصائرنا، وسمعنا منه علماً غزيراً في التاريخ والأدب والعروض، ولازمته بفاس ومراكش وممن أخذ عنه ابن أبي النعيم وابن سودة وأبو القاسم الشاطبي وغيرهم.

قال عنه الحضيكي: «كان رضي الله عنه عالم وقته، متفنناً فقهاً وأصولاً وبياناً وقراءة وعربية وفرائض وحساباً ومنطقاً وعروضاً وحديثاً وتاريخاً، معتنياً بالقراءة والإقراء والمطالعة، لا يمل ولا يضجر، منصفاً في البحث، جنوحاً للصواب إذا تعيَّن، صدوقاً في النقل، ثبتاً قوي الإدراك، ثابت الذهن، ثابت الفهم، معه حدة، وربما تمنع المتعلم من مراجعته،

---

(١) ترجمته في (فهرسته)، دوحة الناشر: ٥٩، درة الحجال ١/١٥٦، روضة الآس: ٢٨٥، الفوائد الجمة: ٣٧، المنح البادية: ١٢، طبقات الحضيكي ١/٣٢، أزهار البستان: ٢٠٧.

(٢) ص١٤٣.

تخرج به خلق كثير، وانتفع به الناس، ونشر فيهم من كل فنّ علوماً...»[1].

وقال عنه الإفراني في «صفوة ما انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر»: «أحد الراسخين في العلم، والمكبين على المطالعة والتقييد، كان رحمه الله متبحراً في العلوم كلها من معقول ومنقول، وفروع وأصول، شديد العناية بالتحصيل ويقول: «إن العلوم كلها نافعة حتى أنه تعلم لعبة الشطرنج فأتقنها، وحتى عود الغناء تعلَّم تلاحينه فكان يحركه. وبلغ الدرجة العليا في علم العقائد، وأما الأصول فذلك عُشه فيه يدرج، ويعرف كيف يدخل فيه ويخرج، وانفرد عن أهل زمانه بمعرفة تاريخ الملوك والسير والعلماء على طبقاتهم ومعرفة أيامهم...»[2].

ومما يدل على تبحره في العلوم ما ذكره العلامة أبو زيد عبدالرحمٰن التمنارتي في «الفوائد الجمة في إسناد علوم الأمة»[3] عند ترجمة الفقيه اللغوي أبو عثمان سعيد بن إبراهيم الهلالي السوسي ـ فقال: «...ورد قاضي الجماعة بفاس أبو محمد عبدالواحد بن أحمد الحميدي لترودانت بسوس، فكأنه حقر شأن طلبتها، فكتب إليه سؤالاً عن مسائل بنظم رائق، فعجز عن الجواب عنها، فاحتمله إلى مدينة فاس، فأجاب عنه أبو العباس المنجور.

وصدر السؤال:

إلى علمك العالي مسائل ترتقي ... تفطن لهن يا حميدي واصدق
فما الحكم في الأوزاغ هل ساغ أكلها ... وما الحكم في موتَى المجانين فانطق
وهل جاز للمسبوق بعد تشهد ... دعاء إذا ما رام إكمال ما بَقِي
وما وزن «ليس» يا حبيبي وأصله ... وما جمع قلة لـ«صاع» فحقق
وما وزنه شمر، ولا تن، وائتنا ... بجمع «سواء» والمُقيَّد أطلق

(١) طبقات الحضيكي ١/٣٣.
(٢) ص٤٣.
(٣) ص١٢٣، ١٢٤.

وبين لنا «من» في أعوذ بربنا من إبليس والتخمين في الكل فاتق

فعجز القاضي الحميدي عن الجواب، فحمل السؤال لفاس، فأجابه شيخ الجماعة بها العالم المتفنن أبو العباس أحمد بن علي بن عبدالرحمٰن المنجور بما نصه:

جوابك في الأولى إباحة أكلها بمذهبنا فاجزم بذاك وصدق
كذا ابن حبيب في «الخشاش» أباحه لمحتاجه مع العقارب فاسبق
وقد قيل في الأوزاغ يحرم أكلها وذلك في «الكافي» ليوسف فارتق
ومستقذر يحكي «المخالفُ» سوغه وأنكره «التنبيه» فافهم ودقق
ورجح ما يحكي «المخالفُ» بعضُ من له العزو للتحقيق لا للتشدق
وميت مجنون جرى خلف حكمه بعلم كلام لا تكن غير متق
وتحقيقها أن الجنون الذي طرا يصير كموت فَصْل الحق يعبق
فآونة بعد البلوغ طُرُوه وحيناً يرى قبل البلوغ فطبق
وآونة إثر الصلاح وقوعه وحيناً بعصيان الكبيرة يلتقي
وحيناً يدوم للممات وتارة يفيق فخذ حكم الجميع ووثق
ويندب للمسبوق دَعوى تشهد وفاق إمام في الثلاثة فارتق
و«ليس» له فعل كَنَال وأصله بكسر لياء فاكسر العين ترتق
وجمعك «صاعاً» في القليل بِأصْوُعٍ وأصْؤُعْ بهمز الواو أنهجْ ونمق
وإن شئت فَاقلبه ليرجع آصُعاً لضابط تصريف وللعلم شوق
وصاع كعام عينه فرع ضمة وتحريكه فتح فزنه وحقق
ومقصود «من» في العوذ بدءٌ لغاية فإبليس مبدَا العوذ عند الموفق
وجمع «سواء» فالذي منه جامد بأفعلة فاعلم يقاس ففرق
ومشتقه وزن الخطايا قياسه سواسية نقلاً، فبالمدح فانطق

وقال عنه الإفراني أيضاً[1]: «وكان رحمه الله رقيق الحاشية، دَمِثَ

(١) صفوة ما انتشر: ٤٤، ٤٥.

الأخلاق، متقشفاً في الدنيا، قانعاً بما تيسر من المأكول والملبوس، لا يحسن تدبير الدنيا. قال الشيخ أبو القاسم ابن أبي النعيم في فهرسته: «إلا أنه في آخر عمره، كثرت عليه الأولاد وحمله ذلك على طلب شيء من الدنيا، فكان يطلبها وهي تهرب منه، وتُقبِلُ على أقرانه من أهل الزمان، حتى فارقها في حال تقشفه على عادة العلماء أمثاله، صبوراً على لأوائها وظهور من هو دونه علماً» انتهى. وما ذكره من قلة ذات يده يدل على زهده وورعه. وإلا فإن السلطان المنصور كان يُجِلُّهُ كثيراً وَيَصِلُه بالجوائز والعطايا الجزيلة، وهو لا يلقي لَهَا بَالاً، ويفرقها على الضَّعَفَةِ والأرامل. وكان صاحب الترجمة يفد عليه كل سنة بحاضرة مراكش. وأخذ عنه المنصور وأجازه في الحديث وغيره حسبما هو في أول فهرسته. ومما يدل على جلالة صاحب الترجمة وعلو طبقاته في اتباع السُّنَّة ما يحكي شائعاً أن تلميذهُ الولي الزاهد أبا محمد عبدالله بن طاهر المذكور قبله، سُئِل عن الصحيح من الروايات في لبس النبيّ ﷺ للسراويل وعدمه فقال للسائل: لو كان الشيخ يعني صاحب الترجمة حياً لسألته، ولكن أَنْظِرْنِي حتى أسأل زوجته هل كان الشيخ يلبسها أم لا، فسألها، فأخبرته بأنه عليه السلام لبسه ولو لم يلبسه الشيخ، وناهيك بها شهادة على علو شأن الرجل، وهذه الحكاية مستفيضة على الألسنة ولا تبعد من حَالِ ابن طاهر، فإنه كان حسن الظن بأشياخه، مطبوعاً على تعظيمهم وإجلالهم. وَبَعْضُهُمْ يَنْسِبُ الحكاية للقصّار مع المنصور ولا يصحّ، فإن القَصَّار لم يأخذ عن المنجور، وفي الرحلة لأبي العباس أحمد أفقاي الأندلسي قال: إن صاحب الترجمة كان بمجلس درسه ورجلٌ قُبَالَتَهُ ينظر إليه، فلما قام الشيخ من المجلس، تقدم إليه الرجل فقال له: يا سيدي إني تائب إلى الله تعالى. فقال له الشيخ: أخبرني عن حالك ومم توبتك؟ فقال له: إن رجلاً رغب مني أن أراقبك له، قال لي: إنه واعدته زوجتك أن يأتيها إذا جلست في المجلس، فطلب مني أن أعلمه بك إن قمت من المجلس وأكون له عليك عَيْناً، ولما جلست في مجلسك تبت إلى الله تعالى وَهَا أنا أعلمتك بالخبر، فقال له الشيخ: أمَّا أنا والله لا أخشى على زوجتي، ولا أخاف منها أن تأتي بتهمة لأني والله ما

زنيت بزوجة أحد، ولا خلوت بأجنبية قط، وأما أنت فاذهب إلى دارك، فلعل الرجل إنما ذهب لزوجتك واحتال عليك، فذهب الرجل لداره مسرعاً فوجد الأمر كما قال لَهُ الشيخ».

وفي «درة الحجال»: كان أحفظ أهل زمانه وأعرفهم بالتاريخ وغيره وكانت له معرفة برجال الحديث، صارت الدنيا تصغر بين عيني كلما ذكرت أكل التراب للسانه والدود لبنانه»[1].

وحلاه أبو سالم العياشي في رحلته بـ«حافظ المغرب من المتأخرين وإمام المحققين»[2].

وكان يقال فيه: «إن فهمه لا يقبل الخطأ» وله صناعة في التدريس يجيد ترتيب النقول، ويتأنق في كيفية الإلقاء، وكان من عباد الله الصالحين لا يفتر عن قراءة القرآن إلا في زمن المطالعة أو التأليف أو الإقراء أو ضروریاته، وكان أورع الناس في النقل، كاد أن لا يفارق لسانه: «لا أدري» أو: «حتى أنظر» أو كلاماً يقرب من هذا.

وقال النيجي: «وكان لا يقرأ فناً إلا أقرأه إقراء من لا يعرف إلا ذلك الفن!»[3].

«له فهرس جليل ألفه باسم سلطان المغرب أبي العباس أحمد المنصور السعدي...

وعلى فهرس المنجور وابن غازي مدار أسانيد أهل المغرب، وهما البرزخ العظيم بين المغاربة والأندلسيين والمغاربة والمشارقة، وفيها يقول الشهاب أحمد الهشتوكي السوسي:

وفهرِسةُ المنجورِ فيها كفايةٌ أتت بالمهم دون حدٍّ ولا حصر»[4]

---

(١) ص١٨٦.

(٢) رحلة العياشي ٢/٢٧٤.

(٣) سلوة الأنفاس ٣/٧٨.

(٤) فهرس الفهارس ٢/٥٦٦.

٦ ـ عبدالواحد بن أحمد الحميدي (المتوفى سنة ١٠٠٣هـ)[1]

أبو محمد وأبو مالك عبدالواحد بن أحمد الحميدي.

أخذ عن عبدالواحد الونشريسي، وعبدالوهاب الزقاق، وأبي البخت مبارك التارختي.

قال عنه أحمد بابا التنبكتي في «تكميل الديباج»: «كان رحمه الله على ما قيل عالماً بالفقه، مستحضراً لمسائل توضيح خليل، ملوكي الخزانة، حسن الأخلاق، دؤوباً على الإقراء مع كثرة شُغْلِهِ، تولى القضاء أزيد من ثلاثين سنة، وأقرأ الفقه والتفسير وغيرهما؛ وكان بينه وبين الشيخ المنجور منافسة انتهى.

ويذكر أنه كان يتطلب العلم في ابتداء أمره ثم تركه واتخذ حانوتاً للتجارة يبيع فيها الثياب الخَلِقَةِ بالسوق المعروف لذلك بفاس، ثم وقع له واقع لم يحضرني الآن تفصيله، أزعجه إلى حيث الطلب وتداركه قبل الفوت، وكان أول ولايته للقضاء في ولاية السلطان الغالب بالله سنة سبعين وتسعمائة، واستمر إلى أن توفي سنة ثلاث وألف، وكان السلطان المعتصم بالله مولانا عبدالملك بن الشيخ نقم عليه شيئاً مرة، فسجنه مدة وشفع فيه قوم، فلم يقبل شفاعتهم فبعث بأولاده للشيخ سيدي رضوان يطلبون منه أن يشفع له عند السلطان فأبى الشيخ وكتب له بهذين البيتين وهما:

مَا لِلنَّوَازِلَ وَالْخُطُوبِ تَنَبَّهُوا ... إلا الزعيم ومن يقول أنا لها
فَأَلْقِ العِنَانَ ببابهِ مُتَشَفِّعاً ... وَآتِ البُيُوتَ أَخِي من أبوابهَا

(١) صفوة ما انتشر: ١٨٠، نزهة الحادي: ١١١، ١١٢، نشر المثاني ١/٤٤، التقاط الدرر: ٢٢، درة الحجال ٣/١٤٢، سلوة الأنفاس ٢/٦٠، لقط الفرائد: ٣٢٨، الفوائد الجمة: ١٢٣.

يحظه على الاستمساك بحبل الله، والتوسل برسوله عليه السلام، لأنه باب الله الأعظم وترك التعلق بالخلق، فصرف صاحب الترجمة همته للتعلق بربه، وقبل إشارة الشيخ فجاءه الفَرَجُ من حينه، وكان سيدي رضوان كثيراً ما يوصي بالتشفع بالنبيّ ﷺ وينشد في ذلك:

وإذا الكريمُ سَأَلْتَهُ بحبيبه ... حَاشَى وَكَلاَّ أن يُخَيِّبَ سائلا
ومن الكريم سواك رب العالمين ... ومن الحبيبُ سوى من أصبح كاملا
وهو الحبيب محمد أكرم به ... سَادَ الأنام أَواخراً وأوائلا

ومن شعر صاحب الترجمة قوله:

من لم يكن للعلم عند فنائه ... راج فإن بقاءه كفنائه
بالعلم يحيى المرء طول حياته ... فإذا انقضت أحياه حسن ثنائه
وله أهل العلوم جميعاً كالجسوم ... ومن أهل الحديث لهن السمع والبصر
فإن تأتي لهم في علمهم عمل ... فليس غيرهم شمس ولا قمر
وله بالفقه يعبد هذا الخلق ربهم ... وحكمه من رسول الله مأخوذ
فاشغل به عمرك الفاني فإن به ... تبقى وغيرك بعد الموت منبوذ

وقال صاحب الفوائد: كان صاحب الترجمة «واسع الخلق، كثير الانبساط، حتى كان يقول لفقهاء فاس: كلكم نُوَّابٌ عني فَافْصِلُوا».

❋ ❋ ❋

٧ ـ يحيى بن محمد السراج
(المتوفى سنة ١٠٠٧هـ)

قال عنه القادري في (نشر المثاني)[١]:

«فمنهم الشيخ الإمام العالم العلامة مفتي فاس وخطيب مسجديها الأعظمين أبو زكرياء يحيى بن محمد بن محمد السراج النفزي الأندلسي الحميري. وصفه في **المطمح** بالنفزي وفي **الجذوة** النفزي الحميري».

ثم قال:

«فهو أحد الأعلام، وكان متولي النظر في تفريق أوقاف الضعفاء والمساكين، رأيت توقيعات في ذلك من أمير وقته أبي العباس المنصور يوجه له الخطاب يأمره بتنفيذها لمن يذكره له، وذلك من إنصاف الأمير وحرصه على العدل، فلا يولي إلا مَن له علم ودين لتبرأ به ذمته.

قال في **الجذوة**: الفقيه الخطيب بجامع القرويين المفتي آخر الناس بفاس وأحد العلماء الأعلام فيها. كان قائماً بالفروع المالكية يقوم على **مختصر خليل** ابن إسحاق المالكي عارفاً به أحسن معرفة، وكان عارفاً بالفروع المالكية. ولد سنة إحدى وعشرين وتسعمائة، نيف في عمره على الثمانين سنة (وطعن في السن) ومع ذلك كان في فتياه لا يخرج عن المشهور أصلاً لصحة معرفته له، وكان عارفاً بالنحو يقوم على **مغني اللبيب** لابن هشام. توفي يوم الجمعة ثامن عشر جمادى الأولى من سنة سبع وألف ودفن يوم السبت الموالي له عند قبر أبي زيد الهزميري مجاوراً المصباح الياصلوتي. وبالجملة فهو آخر الناس بفاس، انتهى نصه.

---

(١) ج١/٤٩٠ ـ ٤٩١.

وقال في **المطمح**: له **حاشية على خليل**، ولي خطابة مسجد باب عجيسة من فاس ثم مسجد الأندلس ثم مسجد القرويين بعد ابن جلال. وكانت ولادة صاحب الترجمة سنة إحدى وعشرين وتسعمائة».

❋ ❋ ❋

٨ ـ أبو عبدالله محمد بن قاسم القصار (المتوفى سنة ١٠١٢هـ)[١]

١ ـ اسمه ونسبه وكنيته ولقبه ونسبته:

هو: محمد بن قاسم بن محمد بن علي القيسي، الأندلسي الغرناطي النجار[٢] الفاسي، أبو عبدالله، الشهير بالقصار لقباً لا صناعة. وذلك أن رجلاً من القصاريين كان وصياً على بعض أجداده فجرى عليه ذلك، فيما أخبر به المترجم[٣].

---

(١) انظر ترجمته في (فهرسته) وأوفى من ترجم له من الباحثين المعاصرين ما قام به تلميذي عمر أعميري عند تحقيقه لفهرسة القصار وقد أفدت منها كثيراً جزاه الله خيراً.

(٢) روضة الآس العاطرة الأنفاس: ص٣١٦، ومرآة المحاسن: ص٤١٣، والإعلام بمن غبر من أهل القرن الحادي عشر: ص٣٨، صفوة ما انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر: ٦١، خلاصة الأثر ١٢١/٤، نشر المثاني: ٨٦/١، الطبقات للحضيكي ٣٣٥/٢، شجرة النور الزكية ٢٩٥/١.

(٣) روضة الآس العاطرة الأنفاس للمقري: ص٣٣٢، وعبدالله بن محمد بن عبدالرحمٰن الفاسي، في كتابه الإعلام بمن غبر من أهل القرن الحادي عشر: ص٤٠، والقادري في نشر المثاني: ٨٦/١، والتعارجي في الإعلام: ص٢٠٩، جميعهم نقلاً عن المقري، وذكره كذلك الحضيكي في الطبقات: ص٣٣٥، والإفراني في صفوة ما انتشر: ص٦١، دون الكشف عن مصدرهما في ذلك.

وأشار القادري إلى أن النسبة بالقيسي معروفة في قبائل، ففي مضر قيس عيلان، وفي ربيعة بن نزال قيس بن ثعلبة، وفيه بطون منها مرة وجرير وجحدر وغيرهم، وأن النسب إلى قيس هذا كثير، ففي الأزد قيس بن ثوبان، وفي النخع قيس بن سعد، وقيس في البطون كثير[1].

لكن ذكر عبدالرحمٰن بن عبدالقادر الفاسي أن بيت القصاريين أصلهم من حمير[2].

أصله ومولده ونشأته:

لما سقطت غرناطة آخر معقل للمسلمين بالأندلس في ربيع الأول سنة ٨٩٧هـ، وكان آخر ملوكها المسلمين هو محمد بن أبي الحسن النصري[3]، الذي سلم مفاتحها إلى الملكين فرديناند وإيزابيلا، ثم هاجر منها إلى فاس، وخرج معه منها كثير من سكانها المسلمين، وكذا اليهود إلى شمال أفريقيا خصوصاً المغرب الأقصى، فنزلوا بالعديد من المدن المغربية الساحلية والداخلية، وكان من جملة الذين هاجروا في ذلك الوقت القاسم بن محمد بن علي والد أبي عبدالله القصار، الذي استقر به المقام بفاس[4]، ولم تذكر لنا كتب التراجم التي وصلتنا شيئاً عن أسرة أبي عبدالله القصار، مكتفية بالإشارة إلى أن والده من الذين هاجروا إثر ذلك الحدث الأليم. وفي ذلك تنبيه على أن أبا عبدالله محمد القصار غرناطي الأصل.

---

(١) نشر المثاني ٨٦/١، وأحال على كتاب «اقتباس الأنوار» لأبي محمد الرشاطي. كما أشار إلى هذا العباس بن إبراهيم التعارجي في «الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام» ٢٠٩/٥.

(٢) كتاب «ذكر بعض مشاهير أهل فاس في القديم»: ص٦٤.

(٣) الإعلام بمن غبر من أهل القرن الحادي عشر: ص٣٩، نشر المثاني ٨٦/١.

(٤) الإعلام بمن غبر من أهل القرن الحادي عشر: ٣٨، نشر المثاني: ٨٦/١، صفوة ما انتشر: ٦١، طبقات الحضيكي: ٣٣٥/٢.

ذكر بعض من ترجم لأبي عبدالله القصار[1]، أنه ولد بمدينة فاس[2]، لكن اختلفوا في تحديد سنة مولده، فأول من وقفت عليه نص على مولده:

تلميذه أبو العباس أحمد بن القاضي المكناسي، فقد حدد مولده بسنة **٩٣٩**هـ[3].

وخالفه قرينه في الأخذ عن أبي عبدالله القصار: أبو حامد محمد العربي بن يوسف الفاسي، فقال: «...كان مولده بفاس سنة ثمان وثلاثين وتسعمائة»[4].

وجمع بين الروايتين عبدالله بن محمد بن عبدالرحمٰن الفاسي، فقال: «ولد بفاس سنة ثمان أو تسع وثلاثين وتسعمائة»[5].

وفي «شجرة النور الزكية في طبقات المالكية» لمحمد بن محمد مخلوف، أنه ولد سنة **٩٣٦**، فالظاهر أنه تصحيف، إذ لم ينقل عن أحد ممن نص على تاريخ ولادته أنه ولد في ذلك التاريخ. والله أعلم.

٢ ـ طلبه للعلم وشيوخه:

لم تسعفني كتب التراجم التي وقفت عليها، بمزيد تفصيل عن طلب الإمام القصار للعلم، وعن الدروس التي حضرها، والكتب التي قرأها على مشايخه وأساتذته، واكتفت بذكر طائفة من شيوخه فقط، مع تفاوت بين

---

(١) لم يعرج المقري في «روضة الآس» وكذا، المحبي في «خلاصة الأثر»، ومحمد الصغير الإفراني في «صفوة ما انتشر»، والحضيكي في «الطبقات»، وابن الموقت المراكشي في السعادة الأبدية، والتعارجي في «الإعلام»، وعبدالحي الكتاني في فهرس الفهارس والأثبات، على ذكر تاريخ ومكان مولد أبي عبدالله القصار.

(٢) مرآة المحاسن: ص٤١٣ و٤١٤. الإعلام بمن غبر من أهل القرن الحادي عشر: ص٤٠. والقادري في نشر المثاني: ص٨٩، الزركلي في الإعلام ٦/٧.

(٣) درة الحجال ٢٨٨/٣.

(٤) مرآة المحاسن: ص٤١٤. وهو ما ذكره عبدالله گنون في النبوغ المغربي: ٢٥٨.

(٥) الإعلام بمن غبر من أهل القرن الحادي عشر: ص٤٠.

المترجمين في تسميتهم، وإشارتهم إلى اختصاصه بالشيخ أبي النعيم رضوان الجنوي، ويعتبر كتاب «الإعلام بمن غبر من أهل القرن الحادي عشر» المصدر الوحيد الذي ذكر أكبر عدد من شيوخ الإمام القصار، حيث ذكر منهم: ثلاثة عشر شيخاً ممن درس عليهم، وسبعة أخذ عنهم إجازة، منهم خمسة من المشارقة.

لكن جاءت بعض الإشارات لبعض الفنون التي درسها على بعض مشايخه في فهرسته، حيث نص على بعض ما قرأه على شيخه رضوان الجنوي، والشيخ خروف بقراءة غيره[1]. كما في إجازته لأحد تلاميذه، وهو أبو العباس أحمد بن علي الشريف، وفيها: «وأخذت علم العقائد، وعلم الكلام، عن جماعة: كالشيخ الإمام المتفنن الرحال سيدي محمد اليسِّيتني، والشيخ الإمام سيدي محمد ابن جَلاَّل، والشيخ الإمام سيدي شقرون ابن هِبة، وكلهم أخذوا عن أصحاب السنوسي، وابن زكري، وأخذتهما عن الشيخ الإمام جار الله سيدي محمد خروف التونسي الأنصاري، وعن الشيخ الإمام الحافظ سيدي علي بن عمر السوسي، وعن الشيخ الإمام سيدي محمد بن قترع التلمساني، وأخذ شيخنا ولي الله سيدي علي بن عيسى، عن الوجدي، عن السنوسي، وأخذ شيخنا ولي الله سيدي أبو شامة عن سيدي أحمد بن حيدة، وأخذ العقائد عن السنوسي...»[2].

تبين لنا هذه الوثيقة جانباً من دراسة الإمام القصار لعلم العقائد والكلام، وعدد الشيوخ الذين أخذ عنهم ذلك، فإذا كان هذان العلمان أخذهما عن هذه الثلة من العلماء فما بالك بعلم التفسير والحديث والفقه وغيرها من العلوم الإسلامية. ومما يقربنا مما درسه الشيخ القصار من تلك العلوم ويكشف لنا عن طبيعة المقررات الدراسية في ذلك العصر بشكل

---

(١) انظر الفهرست.

(٢) أورد نص هذه الإجازة أبو حامد الفاسي في مرآة المحاسن وقد وقف عليها بخط القصار: ص٣٥٣ ـ ٣٥٤.

تقريبي، النظر في تراجم شيوخه، وما كانوا يدرسونه من علوم، وكذا النظر في مرويات بعض من شاركه في هؤلاء الشيوخ.

فمن أبرز أولئك:

الشيخ الإمام أبو العباس أحمد المنجور، الذي جمع مروياته، وذكر ما درسه على مشايخه بشكل من التفصيل، وترجم لشيوخه، في فهرسه الذي ألفه برسم السلطان أحمد المنصور الذهبي.

لكن لا يمكننا نسبة ذلك على وجه القطع للإمام القصار إلا بدليل.

لقد كانت للإمام القصار عناية كبيرة بالكتب فجمع مكتبة عظيمة[1]، كما كان معتنياً بتحصيل النسخ الصحيحة والأصول الجيدة، ولا يخفى ما في ذلك من أثر في التكون العلمي للطالب.

كما لم تسجل لنا كتب التراجم شيئاً عن رحلات الإمام القصار، فالظاهر أنه لم يرحل خارج المغرب قط، فلو كان شيء من ذلك، لذكر، كما لم تذكر لنا شيئاً عن رحلاته الداخلية في مرحلة الطلب، واقتصرت على ذكر وفوده على السلطان المنصور بمراكش، في السنوات الأخيرة من عمره، ولا شك أن في وفادته هذه قد التقى بطائفة من العلماء البارزين من أهل مراكش أو من الذين يفدون على السلطان فذاكرهم، وأخذ عنهم، وتدبج معهم، فقد كان لين الجانب متواضعاً، لا يستكبر عن التعلم من غيره، حتى من طلبته، ففي رسالته لتلميذه **أبي العباس أحمد بن علي الشريف** إشارة إلى ذلك عند قوله: «وإذا رأيت تأليفاً لا تتحقق أني رأيته، فأعلمني به، والمراد أن الإنسان يموت طالباً للعلم».

وفي هذا ما يدل على حرص الإمام القصار على طلب العلم حتى في

---

(١) روضة الآس: ٣٣٢، صفوة ما انتشر: ٦٤.

أخريات حياته[1] وقد كان وقتها مفتي فاس وخطيب جامع القرويين ومن أكبر المدرسين بها.

٣ ـ وظائفه وعلاقته بالسلطان المنصور:

ولم تذكر كتب التراجم ـ التي وقفت عليها ـ شيئاً عن موارد رزق أبي عبدالله القصار، هل كانت له تجارة؟ أو يزاول حرفة من الحرف؟ يستعين بها على نفقة عياله، كما لم تذكر عنه أنه زاول خطة الشهادة.

لقد بقي الشيخ القصار على حاله تلك قانعاً بحظه من الدنيا، مستأنساً بمن لازمه من طلابه، إلى أن حان موعد تجهيز بناته للزواج، ففكر في الاتصال بالسلطان أحمد المنصور، ليسأله الإعانة على ذلك، وقد كانت وفود العلماء تفد على المنصور فيكرمهم. فشاور الشيخ القصار في ذلك أحد تلاميذه وهو الشيخ أبو زيد عبدالرحمٰن الفاسي، فلم يوافقه على ذلك، وأخبر أخاه الشيخ أبا المحاسن الفاسي بمشورة الشيخ القصار، فكان رأي أبي المحاسن مخالفاً لرأي أبي زيد، ولما علم الشيخ القصار برأي الشيخ أبي المحاسن، جاءه يستشيره في قصده، فأشار عليه بالذهاب، فوفد الشيخ القصار على السلطان المنصور الذي عرف قدره، وأكرمه، وأعطاه ما يقضي به حاجته، ويصلح حاله، بل زاد، فولاه خطة الفتيا، والخطابة بجامع القرويين، وتوزيع صدقات الفقراء، وقد وافق ذلك وفاة مفتي فاس وخطيب جامع القرويين؛ الشيخ الإمام أبي زكرياء يحيى بن محمد بن محمد السراج النفزي الحميري، وذلك في سنة ١٠٠٧هـ[2]، الذي كان يلي هذه الخطط مدة من الزمن، فكانت وفادة الشيخ القصار هذه منعطفاً كبيراً في حياته، مكنته من الدخول في خطط الدولة الشريفة المتمثلة في الفتيا والخطابة

---

(١) أورد نص هذه الإجازة أبو حامد الفاسي في مرآة المحاسن وقد وقف عليها بخط القصار: ص٣٥٣، ٣٥٤. وكان تاريخها في آخر سنة ١٠١١هـ. (للتوسع في معرفة من طلب العلم حتى في أخريات حياته. راجع كتابي: «غاية الاعتبار في أخبار من تعلم العلم أو علمه ولو في ساعة الاحتضار» ط ـ دار ابن حزم).

(٢) الإعلام بمن حل مراكش: ٢١٢، ٢١٣.

بجامع القرويين، والتدريس بكراسي القرويين وغيرها، فازدادت بذلك شهرة الإمام القصار، وعلت مكانته، وارتفع قدره، وأطبقت شهرته المشرق والمغرب.

لقد أشار غير واحد من المترجمين لهذا الحدث العظيم في حياة الإمام القصار[1]، وعمدتهم في ذلك، ما أخبر به الشيخ عبدالرحمٰن بن عبدالقادر الفاسي نقلاً عن والده الشيخ عبدالقادر، وهذا نص كلامه: «كان الشيخ الإمام أبو عبدالله محمد القصار فاوض تلميذه الشيخ أبا محمد عبدالرحمٰن الفاسي، لما كبر سنّه واحتاج لتجهيز بنات له، في أن يذهب إلى السلطان أبي العباس أحمد المنصور الذهبي بمراكش، وكان الكبراء يفدون عليه كل سنة، فقال له الشيخ أبو محمد: يا سيدي، ذهب جل عمرك في صحبة سيدي رضوان وخدمة العلم، والآن تدنسه في مصاحبة الملوك وأبناء الدنيا، وترقع الحلة بالتليس، انظر إلى حالة شيخك سيدي رضوان وفراره من ملابستهم ومداخلتهم، فقال: يا سيدي إني لست مثل سيدي رضوان، فإنه كان لا يرى السلطان الطرفة والفاكهة حتى تسبق منه، بمعنى أن الناس يتحببون إليه ويتقربون إليه بكل طرفة، إكراماً له وإعظاماً، قال الشيخ أبو محمد: فوقع في نفسي الجواب أن أقول له: لأي شيء كان ذلك وما سببه، إنما هو صدقهُ مع الله والثقة به، ومن كان لله كان الله له، لكني لم أواجهه بالجواب حياء منه وأدباً معه.

فلما رجع الشيخ أبو محمد إلى أخيه إلى الشيخ أبي المحاسن ذكر له ما وقع بينه وبين الشيخ القصار، فقال الشيخ أبو المحاسن: أما أنا فآمره بالمشي، فإن هذا الذي حملته هو حمل الفقير لا حمل الفقيه، ومع ذلك فالناس محتاجون لعلمه، فإذا لم يظهر الآن فأي وقت يظهر؟، فأخبر بذلك الشيخ القصار، ففرح من ذلك، فجاء من حينه للشيخ أبي المحاسن،

---

(١) الإعلام بمن غبر من أهل القرن الحادي عشر: ٤٢، ٤٣، وفي نشر المثاني ٩٢/١ مختصراً، وصفوة ما انتشر: ٦٢، طبقات الحضيكي مختصراً: ٣٣٦، الإعلام بمن حل مراكش: ٢١٢، ٢١٣، نقلاً عن «ابتهاج القلوب».

وشاوره في ذلك، فوافقه على المشي، فوفد على الخليفة المنصور، فعرف مقداره ومنزلته من العلم، وأجل رتبته وأعطاه مالاً يستعين به على إصلاح حاله، وولاه الفتيا والخطابة بجامع القرويين، وتفرقة صدقة المساكين، وكان عنده بالمنزلة العظمى، وانتصب للقراءة والتعليم والفتيا، فنفع الله به مع ديانته وغزارة علمه وجريه على النهج المستقيم والدين القويم. أخبرني بالحكاية شيخنا الوالد، وكتبها لي بخطه على نحو ما ذكرنا[1].

لقد كان وصول الإمام أبي عبدالله القصار لفاس مصاحباً للفيل وذلك يوم الإثنين ١٦ رمضان المعظم من عام ١٠٠٧هـ، وكانت أول خطبة له بجامع القرويين في يوم الجمعة ٢٠ رمضان[2].

ومما تجدر الإشارة إليه أن الشيخ القصار كان من المناصرين للسلطان أحمد المنصور، قبل وفوده عليه، ومن الداعين للتمسك ببيعته، لما خرج عليه أحد أقاربه وهو: الناصر بجبال الريف، فكتب الشيخ القصار إلى الشيخ محمد بن علي بن ريسون بتاصروت[3]، الذي كان متبوعاً في تلك الناحية، يوصيه بالتمسك ببيعة السلطان أحمد المنصور الذهبي، وهذا يمثل المشاركة السياسية للشيخ القصار في أحداث عصره.

لقد كان لهذه الرسالة الأثر البالغ في نفس السلطان أحمد المنصور، فلم ينساها للشيخ القصار، لكون هذا الثورة كانت من أخطر الثورات التي عرفها عصر السلطان أحمد المنصور الذهبي، التي كادت تعصف بعرشه وتذهب بملكه، لما حظي به الناصر هذا من الدعم الخارجي من إسبانيا، ناهيك عن القبائل التي التفت حوله، بالإضافة إلى صعوبة تضاريس المنطقة

---

(١) الإعلام بمن غبر من أهل القرن الحادي عشر: ٤٢، ٤٣.

(٢) الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام: ٢١٢/٥، ٢١٣.

(٣) وقد كانت بينهما مراسلات، انظر نص أحدها في مرآة المحاسن، ص٣٤٧ يوصيه فيها ابن القصار بأحد تلاميذه، وهو علي بن محمد بن أحمد، وقد درس أبو عبدالله محمد بن علي بن ريسون بفاس، وكانت بينه وبين أبي المحاسن الفاسي ألفة منذ الصبا، وأيام طلب العلم بفاس والمعاشرة بالمدرسة المصباحية، صفوة ما انتشر: ١٣٥.

التي كان يتمركز فيها الثوار، وهي جبال الريف، وقد حشد المنصور لإخمادها إمكانيات هائلة، واستغرقت مدة إخمادها قرابة سنة، من شهر شعبان من عام ١٠٠٣هـ، حيث بدأت شرارتها إلى شهر رمضان من عام ١٠٠٤هـ[١].

لقد سعى بعد ذلك بعض الناس في عزل الإمام القصار عن تلك الخطط، فاتصلوا بالأمير محمد المأمون المعروف بالشيخ، فعزله بغير إذن والده أحمد المنصور، فشاور الشيخ القصار مرة أخرى تلميذه عبدالرحمٰن الفاسي، في مكاتبة السلطان أحمد المنصور بذلك، فأشار عليه، بالاقتداء بشيخه أبي شامة بن إبراهيم الدكالي، حيث ولي تلك الخطط، فاجتمع بعض أعيان وقته وتقدموا للسلطان في صورة الشفعاء، بطلب الإقالة، فوافق السلطان على ذلك، فما بحث الشيخ أبو شامة عن ذلك، ولا عاد إليه.

وقد ذكر هذه الواقعة بعض المترجمين»[٢]. وعمدتهم في ذلك ما أخبر به الشيخ عبدالرحمٰن بن عبدالقادر الفاسي نقلاً عن والده، وهذا نص كلامه: «وسمعت منه أيضاً، أن الشيخ القصار قد تقدم له سابق يد عند الأمير المنصور، وذلك أنه لما قام قريبه الناصر، وظهر له صيت، كتب الشيخ القصار كتاباً للشيخ الصالح سيدي محمد بن علي بن ريسون بتاصروت، وكان متبوعاً هنالك، شهير البركة، وهو يحضه على الاستمساك بدعوة الأمير المنصور، وأن يلزم الانقياد إليه، فوقع ذلك الكتاب بيد المنصور فصادف له عنده يداً سابقة، ببركة إذن الشيخ أبي المحاسن، ودلالته على القدوم عليه.

ولم يزل أبناء وقته ممن دونه يحتالون في تخليته، لكونه كان من طبقة

---

(١) انظر تفاصيل ذلك في مناهل الصفا: ١٦٩ ـ ١٩١.

(٢) الإعلام بمن غبر من أهل القرن الحادي عشر: ٤٣، ٤٤. صفوة ما انتشر: ٦٣، ٦٤، نشر المثاني ٩٢/١ مختصراً. الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام: ٢١٣/٥، ٢١٤، نقلاً عن ابتهاج القلوب.

سابقة عنهم، فظنوها انقرضت لخموله بينهم، فإذا هو ظاهر منها، فسعوا مرة في تأخيره عند السلطان أبي عبدالله محمد الشيخ المأمون، وكان أبوه غائباً بمراكش، فشاور أيضاً تلميذه أبا محمد في الكتابة إلى المنصور بذلك، فقال: «يا سيدي، هلا فعلت ما فعل شيخك سيدي أبو شامة»، وكان أهل وقته لما علموا زهده وفراره من أمور الدنيا، سعوا في تأخيره، فاجتمع منهم أعيان وتقدموا إلى السلطان في صورة الشفعاء، وقالوا له: «إن سيدي أبا شامة يطلب منك الإقالة لوجه الله تعالى»، فقال السلطان: «أما نحن فلا نبغي به بدلاً، ولكن حيث رغب في ذلك فله الاختيار، فولوا بعزله، فما بحث قط عن ذلك. ولا عاد إليه.

فقال الشيخ القصار عند ذلك: «لا يا سيدي، والله لا أسكت، فإني لست مثله، يعني لما تقدم مما وجهنا به رغبته في ذلك، فكتب إلى السلطان، فبعث السلطان ينقض ما فعلوا، وكتب في التوقيع أسفله بخط يده: «اعلم ولدي أن الشيخ القصار يمت عندنا بموات لا يمت بها غيره، وإنا لا نبدله بمن هو مثله فضلاً عمن هو دونه، فافطموا عنه أطماع ابن عمران وغيره، انتهى»[1].

وقد أشار إلى عزل الشيخ القصار تلميذه المقري، وذكر أنه بلغه أن المنصور لما قدم فاس رد الفتيا إلى الشيخ القصار، وولي ابن عمران القضاء[2].

وقد بقي رحمه الله في هذه الخطط وهي الإمامة والخطبة، والفتيا، والتدريس، إلى وفاته رحمه الله.

٤ ـ تدريسه بالقرويين:

ذكرت بعض كتب التراجم أن الإمام أبا عبدالله القصار كان ضيق العبارة في لسانه، لذلك لم يكن يحضر دروسه ومجالسه إلا الواحد

---

(١) الإعلام بمن غبر من أهل القرن الحادي عشر، ص٤٣، ٤٤.

(٢) روضة الآس: ص٣٣٢.

والاثنان، ممن مارسه وعرف حقه[1]، وقد امتاز منهج الإمام القصار في التدريس بالاختصار، والتحقيق، وكان يجتزئ في الإجابة بالكلمة والكلمتين، وربما اقتصر على نعم أو لا، وعلى الرغم من ذلك كان ممن لا يبلغ شأوه ولا يبلغ سماه ولا جوه[2].

وكان يتمثل في ذلك بما رواه عن شيخه أبي العباس التسولي، قال: أنشدني أبو العباس الدقون، قال: أنشدني أبو عبدالله المواق، قال: أنشدني المنتوري، قال: أنشدني ابن بقي، قال: أنشدني، ابن شاطر، قال: أنشدني أبو العباس أحمد بن البناء الأزدي.

قصدت إلى الإجازة في الكلام ... لعلمي بالصواب في الاختصار
ولم أحذر فهوماً دون فهمي ... ولكن خفت إزراء الكبار
فشأن فحولة العلماء شأني ... وشأن البسط تعليم الصغار[3]

فممن وصف مجالسه ودروسه تلميذه أبو حامد الفاسي حيث قال: «وكانت مجالسته تقوم مقام دروس كثيرة، فإنها كان يحصل بها من الفوائد ما لا يكاد يحصل في دروس كثيرة، وكان إمام عصره تفنناً في العلوم وتبحراً فيها، وجودة نظر ودقة فهم وسهولة مأخذ، واختصاصاً بإيضاح المشكل، وتسهيل العويص، على وجازة فطر عليها في كلامه ربما لم يتأد معها المقصود لكثير ممن قصر فهمه؛ فتحامى لذلك الاستفادة منه كثير منهم، أما أهل التحصيل والفهم الأصيل؛ فأكبوا على الأخذ والاستفادة منه؛ فحصلوا على علم عظيم؛ وملكة تامة إذ كان متصرفاً نظاراً على سنن الأكابر من أهل النظر»[4].

وقد كان رحمه الله يقرئ في اثنين وعشرين علماً[5]، وكان منهجه

---

(١) مرآة المحاسن: ٣٣٥، ٣٣٦، الإعلام بمن غبر: ص٤١، نشر المثاني: ٩٢/١.
(٢) مرآة المحاسن: ٣٣٥، ٣٣٦، الإعلام بمن غبر: ٤١، نشر المثاني: ٩٢/١.
(٣) الإعلام بمن غبر: ٤١.
(٤) مرآة المحاسن: ٣٣٥، ٣٣٦.
(٥) سلوة الأنفاس: ٦٢/٢، ٦٣.

العلمي يقوم على ربط المسائل العلمية بالنظم، تقريباً للحفظ وتحصيلاً للفهم[1]، وقد تأثر به بعض تلاميذه في ذلك، من أبرزهم: عبدالواحد ابن عاشر صاحب «المرشد المعين» ذلك النظم الذي عمّ نفعه، واشتهر بين طلبة العلم.

ومن منهجه رحمه الله في التدريس اعتماده في ذلك على الكتب الصحيحة والنسخ الجيدة، فقد كان يقرئ الموطأ برواية يحيى بن يحيى الليثي، في أصل عليه خط القاضي أبي بكر بن العربي، وصحيح البخاري في أصل ابن سعادة المسموع على الصدفي، و«صحيح مسلم» في أصل ابن خير[2]، ولا شك ما لذلك من أثر في تكوين طالب العلم المجد، وقد قيل في ذلك: «آلة تحصيل الطالب كتب صحاح، وشيخ فتاح، ومداومة وإلحاح».

وكانت له رحمه الله عناية كبيرة بتلاميذه يفاوضهم في شؤونه الخاصة[3]، ويراسلهم، ويتفقد أحوالهم، ويشير عليهم، وقد وصلتنا بعض رسائله إليهم تبين بعض تلك العلاقة، منها رسالته لتلميذه أبي العباس أحمد بن علي الشريف، وفيها:

«. . .وفرحت غاية الفرح بختمك «الصغرى»، فشد روحك، وطالع كتب الشيخ السنوسي السبع حتى تحفظها، وإياك تخالف في شيء إلا بعد مشاورة غير واحد، والمؤمن وقاف. . . وأعجبني إقراؤك «الرسالة»، وفرحت به، لا سيما إذا اقتصرت على المحتاج إليه، وختمتها سريعاً، وكذلك إقراؤك الخراز أعجبني، واعتمد على ابن آجطا، فإن نقله صحيح جداً، وكثير من شروح الخراز فيه تحريف، نفعك الله ونفع بك. وإذا رأيت تأليفاً

---

(١) الإعلام بمن غبر: ٤٦.

(٢) مرآة المحاسن: ٣١٢.

(٣) كمشاورته لتلميذه أبي زيد الفاسي في القدوم على السلطان أحمد المنصور الذهبي، وفي مكاتبته بعد عزله من الإفتاء.

لا تتحقق أني رأيته، فأعلمني به...»[1].

لقد كان للإمام القصار فضل إحياء سوق العلم بعد أن كان كاسداً في المغرب، فنفق في زمانه ما كان كاسداً من سوق الأصلين والبيان وسائر العلوم، لأن المغاربة وقتها كانوا لا يعتنون بما عدا النحو والفقه والقرآن، مما يوصلهم إلى الرئاسة الدنيوية[2]، فبفضل رحلة الإمام اليسيتني إلى المشرق ودراسته لتلك العلوم، وعودته إلى المغرب، وبمقام الشيخ خروف بفاس وكان من العلماء المحققين لتلك العلوم بدأ المغاربة ينفتحون عليها، فكان الإمام المنجور والإمام القصار، من جملة الدارسين على هذين الإمامين، وممن نبغا في تلك العلوم، وقاما على تدريسها.

وقد قارن بعض المترجمين بين منهج الإمام القصار ومنهج الإمام المنجور في التدريس، فقال: إن للمنجور مشاركة في فنون كثيرة، وتنقيح عبارة، ومعرفة للتدريس، وكان للقصار عبارة قاصرة مع زيادة تحقيق وكمال معرفة، وتحرير وغوص على المسائل، فما انتفع به إلا من صلحت نيته، ولم يثنه عنه عبارة ولا خمول[3]. وعلى الرغم من ذلك، فقد سجلت لنا كتب التراجم وغيرها العديد ممن أخذ عن هذا الإمام، وافتخر بالرواية عنه.

٥ ـ مكانته وثناء العلماء عليه:

أثنى على ابن القصار غير واحد من العلماء، وبينوا مكانته، وهذه طائفة من أقوالهم فيه:

قال تلميذه الإمام أبو العباس أحمد بن القاضي المكناسي:

«شيخ الرواية المحدث المشارك المتفنن، له معرفة بالبيان والأصلين وعلم البيان والرجال من الرواة»[4].

---

(١) مرآة المحاسن: ٣٤٨.

(٢) المحبي: ٢٧٣/٤، الإعلام بمن حل مراكش: ٢١٥/٥.

(٣) المحبي: ٢٧٣/٤، الإعلام بمن حل مراكش: ٢١٥/٥.

(٤) درة الرجال: ١٥٣/٢.

وقال أبو العباس المقري: «الشيخ المفتي العلم المتفنن الأدرا، المنتصر للعلوم كل الانتصار، . . . كان له في علم البيان والأصلين وعلم الأنساب والرجال من رواة الحديث الإطالة والإصابة، . . . هو حفظه الله بادي الصلاح ذو تؤدة وسمت حسن مع التواضع ولين الجانب. . .»[١].

وقال أبو حامد العربي بن يوسف الفاسي: «كان شيخنا القصار حامل راية الحديث في هذه الأقطار المغربية بعد شيخه، وانفرد بذلك غير مدافع عنه ولا منازع»[٢].

وقال كذلك: «الإمام العالم، المستبحر المحقق النظار، مفتي فاس وخطيب جامع القرويين بها، ومحدث المغرب في وقته. وكان دائم الخشية والخشوع، سريع الدمعة، ذاكراً للموت. كلامه كله جد مشوب بالوعظ والتذكير، مجالسته روض مزهر، كثير الفوائد»[٣].

وحلاه في غير موضع من كتابه «المرآة» بقوله: «شيخ الإسلام»[٤].

وقال كذلك: «كان إمام عصره تفنناً في العلوم وتبحراً فيها، وجودة نظر ودقة فهم وسهولة مأخذ، واختصاصاً بإيضاح المشكل، وتسهيل العويص، على وجازة فطر عليها في كلامه، ربما لم يتأد معها المقصود لكثير ممن قصر فهمه؛ فتحامى لذلك الاستفادة منه كثير منهم، أما أهل التحصيل والفهم الأصيل؛ فأكبوا على الأخذ والاستفادة منه؛ فحصلوا على علم عظيم؛ وملكة تامة إذ كان متصرفاً نظاراً على سنن الأكابر من أهل النظر»[٥].

وقال العلامة المؤرخ محمد بن الصغير الإفراني: «كان رحمه الله

---

(١) روضة الآس: ص٣١٦.

(٢) فهرس الفهارس: ٢/٩٦٥.

(٣) مرآة المحاسن: ٤١٣.

(٤) «مرآة المحاسن» ١٥٩، ٣٣٣، ٣٣٥، ٣٤٩.

(٥) مرآة المحاسن: ٣٣٥، ٣٣٦.

متبحراً في جميع العلوم من معقولها ومنقولها، وإليه كانت الرحلة والمفزع في حل المعوصات، وهو مع ذلك على قدم أهل الورع مصحوباً بالخشية والمراقبة، لا يملك دمعه إذا ذكر الله، ذو مروءة وسمت حسن، ولين جانب وتواضع، منصفاً في المباحثة، يدور مع الحق حيث دار»[1].

ـ وقال الشيخ أبو محمد عبدالسلام ابن الطيب القادري: «إمام شهير وعالم كبير، سيد علماء زمانه، وصدر أهل وقته وأوانه، خاتمة مشايخ العلوم بالأقطار المغربية، وإمام المحققين في العلوم العقلية والنقلية، ممن جمع بين جلالة العلم والدين، ودان له أكابر المهتدين، وتخرج به غير واحد من الأكابر الأعلام وأئمة الإسلام... كلهم مطبقون على تعظيمه وتفضيله وتقديمه، يلهجون بتحقيقه، ويثنون على سداد طريقه، ويفتخرون بنقل علومه، ودقائق فهومه، ويقتدون بإشارة مآثره، حتى كادوا يُضَلِّلون بنوادره.

إذا قالت حذام فصدقوها فإن القول ما قالت حذام

وكان رضي الله عنه إماماً في الحديث مبرزاً فيه، وحيد أهل زمانه، في سائر العلوم مرجوعاً إليه فيها، مشوباً علمه بالصلاح والدين واتباع طريقه»[2].

وقال كذلك: (وكان رحمه الله مع ذلك عارفاً بالأنساب، ضابطاً للأحساب، شهيراً في ذلك مقتدى به فيما هنالك خصوصاً أنساب الشرفاء، فقد كان له اعتناء بها عظيم، سمعت شيخنا وشيخ شيوخنا عبدالقادر بن علي الفاسي رضي الله عنه يقول بعد أن أثنى عليه بالتحقيق في العلوم: «كان الشيخ القصار رحمه الله نسابة عارفاً بأنساب الشرفاء، محققاً في ذلك، لا يقومه أحد إذا تكلم فيها ولا يقاربه»)[3].

ـ وقال عنه محمد مرتضى الزبيدي (ت١٢٠٥هـ): «الإمام المحدث النسابة»[4].

---

(١) صفوة ما انتشر: ص٦١.
(٢) نشر المثاني: ٨٧/١، والإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام: ٢٠٩/٥، ٢١٠.
(٣) نشر المثاني: ٨٨/١، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام: ٢١٠/٥، ٢١١.
(٤) تاج العروس: ٤٤٣/١٣.

وقال في ألفية السند:

«عن شيخه بحر الهدى الزخار محمد بن قاسم القصار»[1]

ـ وقال عبدالحي الكتاني: «وكان للقصار معرفة بالتاريخ والأنساب، شديد الاعتناء بأنساب الأشراف وكان يفتخر بمصاهرتهم، . . . وجمع خزانة عظيمة من الكتب تفرقت بعد موته أيادي سبا»[2].

٦ ـ آثاره:

أشارت بعض كتب التراجم إلى أن الإمام القصار كان ذا مكتبة عظيمة جمعها بنفسه لم يكن لسلفه فيها شيء، تفرقت بعد موته أيادي سبا[3].

وقد تضاربت أقوال المترجمين بين من نسب لابن القصار مصنفات ومن قال بعدم تصنيفه، وإنما كانت له تقييدات في بطاقات. وبعضهم لم يذكر شيئاً[4].

فممن نسب لابن القصار مصنفات:

ـ أبو العباس أحمد بن محمد المقري، فقال: «أخبرت أن للإمام أبي عبدالله القصار حاشية عجيبة على شرح الكبرى للإمام السنوسي، انتقد فيها كثيراً من حاشية المنجور، وأن له غيرها مما لم يحضرني»[5].

قال المحبي: «وله مؤلفات مفيدة، وفهرست جمعت فيه مروياته في الفقه والحديث وغيرهما من العلوم الشرعية وله نظم. . .»[6].

ـ الشيخ عبدالحي الكتاني: نسب لابن القصار فهرسة كبرى، وثبت صغير.

---

(١) ألفية السند: ص١٥٧ ـ بتحقيقنا ـ ط ـ دار ابن حزم.
(٢) فهرس الفهارس: ٢/٩٦٥.
(٣) فهرس الفهارس والأثبات: ٢/٩٦٥.
(٤) طبقات الحضيكي: ٢/٣٣٥.
(٥) روضة الآس: ٣٣٠.
(٦) خلاصة الأثر ٤/١٢١.

فقال: «له فهرسة جمعت رواياته في الفقه والحديث، وثبت آخر صغير في كراسة لطيفة»[1].

ومن الذين ذهبوا إلى عدم تصنيف الشيخ القصار، جماعة منهم:

ـ عبدالله بن محمد بن عبدالرحمٰن الفاسي الفهري: قال: «ولم يتصد للتأليف وإنما كانت تقاييده في بطاقات ذكر أنه لما توفي كان ورثته يبيعون ذلك بالوزن بالأرطال، فضاع بسبب ذلك علوم كثيرة»[2].

❋ ❋ ❋

سند الإمام القصار في صحيح الإمام البخاري من خلال (فهرسته)

يقول الإمام القصار: لي فيه طرق منها:

أني أرويه عن سيدي رضوان قراءة عليه إلا قليلاً، وإجازة ومناولة لجميعه عن سقين قراءة عليه غير مرة. عن زكرياء والقلقشندي عن ابن حجر عن التنوخي عن الحجار عن الزبيدي عن أبي الوقت عن الداودي عن السرخسي عن الفربري عن البخاري رضي الله عنهم.

وأرويه أعلى عن الغزي عن زكرياء به.

وعن المنفرد بالمنطق والكلام وأصول الفقه والبيان بفاس، جار الله سيدي محمد خروف الأنصاري التونسي ـ رحمه الله ـ سماعاً لبعضه بقراءة صديقي العالم الصالح سيدي إبراهيم ابن شيخي ولي الله الفقيه الفرضي الأستاذ النحوي سيدي أبي شامة ابن شيخي الفقيه المحصل سيدي عبدالرحمٰن ابن الفقيه المحصل سيدي محمد بن إبراهيم الدكالي رضي الله عنهم، ومناولة لبعضه وإجازة لجميعه عن شيخ الإسلام الكمال الطويل

(١) فهرس الفهارس ٢/٩٦٦.

(٢) الإعلام بمن غبر: ١٤.

القادري عن الحجازي عن ابن أبي المجد عن الحجار به وهما عاليان ـ والحمد لله ـ.

❋ ❋ ❋

٩ ـ أبو القاسم بن محمد بن أبي النعيم الغساني الفاسي (المتوفى سنة ١٠٣٢هـ)

يقول عنه محمد بن محمد بن عبدالله الصغير الإفراني[١] من أكابر الشيوخ، تضلع بالفنون، ومهر في المعقول والبيان والتفسير، ولي القضاء بفاس فحمدت سيرته، قال في «بذل المناصحة»: «كان صاحب الترجمة خطيباً بليغاً، وبلغني عن سيدي أحمد بابا السوداني أنه كان يعيب على غيره من الخطباء اعتناءهم بالأحاديث الموضوعة في الخطب، فإن الموضوع تحرم روايته إلا مبيناً كما نص عليه علماء الحديث».

أخذ رحمه الله عن عدة مشايخ منهم: الإمام أبو القاسم بن إبراهيم. حضر عليه في التفسير وحدث عنه أنه كان له ولوع بالكشاف للزمخشري، وأنه يقرأه في اللوح درساً، وأخذ عن المنجور، والقدومي، وابن مجبر وغيرهم.

توفي قتيلاً قتله اللصوص بباب مدرسة أبي عنان وهو راجع من فاس الجديد يوم الجمعة بعدما خطب سنة ١٠٣٥هـ.

❋ ❋ ❋

(١) صفوة ما انتشر: ١٤٦، التقاط الدرر: ٨٠، نشر المثاني: ٢٥٤/١، درة الحجال: ٢٨٥/٣، سلوة الأنفاس: ١٠٤/٢، نزهة الحادي: ٣٤٣، روضة الآس: ٣٣٥، الإكليل والتاج: ١٨٧، فهرس الفهارس: ٦٨١/٢.

١٠ ـ أبو عبدالله محمد بن أحمد القسنطيني الكمَّاد (المتوفى سنة ١١١٦هـ)

قال عنه الحافظ محمد بن جعفر الكتاني[١]:

الشيخ الإمام العالم العَلَم، والركن الملتزم المستلم، العلامة القدوة المشارك النحرير، ذو البركات الظاهرة والقدر الخطير، أعجوبة الزمان، وفريد العصر والأوان، الدراكة الحافظ المتقن المحقق، الضابط الفهامة المدرس المدقق، فارس المعقول والمنقول، والآتي في درسه بما يبهر العقول، ملحق الأواخر بالأوائل، وعلم السُّراة القادة الأفاضل، الصالح البركة؛ أبو عبدالله سيدي محمد بن أحمد القسنطيني الشريف الحسني، المعروف عند أهل بلده بالكمَّاد.

قدم ـ رحمه الله ـ على فاس، وتصدر للتدريس بها فأفاد وأجاد، وأخذ عنه الجم الغفير من كل بلاد، وكان آية من آيات الله في الحفظ والإتقان، والتحرير العجيب وعزة الشأن، إماماً نظاراً مطلعاً، وبنفائس العلوم ودقائقها متضلعاً، له الملكة في المنطق وعلم الكلام، والحفظ التام في علم حديث خير الأنام، مرجوعاً إليه في الفقه وأدواته، مقصوداً في حل مشكلاته، كبير الباع، تام الاطلاع، أذعن له الكافة من علماء عصره، وعظم صيته لدى الرؤساء وغيرهم من أعيان دهره، وأخبر عن نفسه أنه يحسن اثني عشر علماً.

أخذ بجبل زواوة عن أبي عبدالله سيدي محمد المقري، وبالجزائر عن سيدي محمد بن سيدي سعيد قدورة... وعن غيرهما.

---

(١) سلوة الأنفاس: ٢/٣٥، ٣٦.

ثم ارتحل إلى فاس برسم القراءة على مشايخها، ويقال: إنه وقف على الدالية لأبي علي اليوسي، فاستحسنها وسأل عن ناظمها؛ فأخبر بأنه حي بالمغرب، فأقبل للأخذ عنه. فلما بلغه؛ وجده مشتغلاً بزحام الفقراء المتلقين منه، فتصدر بفاس لإقراء «جمع الجوامع» للسبكي؛ فأبدع في إقرائه، ورأى الطلبة من حفظه ما لم يكونوا يعهدون؛ فأكثروا الازدحام عليه، وتوجهت عيون أهل الدولة إليه؛ فارتفعت مرتبته، وأجريت له المُرتفقات العالية، وشمله درور إحسان السلطان فمن دونه.

وكان مقبلاً على ما يعنيه، دؤوباً على المطالعة، لا يرى إلا في درسه أو مطالعة كتبه، قليل الكلام، كثير الصمت، ذا همة علية، ومآثر سنية، لا يدع التهجد بالليل حضراً وسفراً.

وكان يقرأ في زمن الشتاء، ويتفرغ في زمن المصيف لمراجعة ما يلقيه في زمن الشتاء، واجتمعت الكلمة على أنه أحفظ علماء عصره، بل ظهر من حفظه ما بهر العقول.

وممن أخذ عنه: الشيخ سيدي محمد بن عبدالسلام البناني، والأستاذ العلامة سيدي إدريس بن محمد المنجري الحسني، وكان يقول فيه: «إنه لم تر عيناي مثله!».

❋ ❋ ❋

١١ ـ أبو محمد عبدالله بن محمد بن يخلف الأنصاري الأندلسي الفاسي (المتوفى سنة ١١٦٢هـ)

هو: «أبو محمد سيدي عبدالله بن محمد؛ المدعو: ابن يخلف، الأنصاري نسباً الأندلسي أصلاً، الفاسي داراً ومنشأ[١].

كان ـ رحمه الله ـ من الأئمة المعتمدين في فن القراءات، مرجوعاً إليه في المقاري السبعة فما فوقها إلى العشر. وأخذها عنه خلائق من فاس وغيرها، وصُدِّر لذلك بمسجد القرويين.

وكان كثير الصمت، حسن السمت، كريم الأخلاق، ذا حياء وهيبة وهمة، ووقار وسكينة، تعتريه الأحوال الربانية عند الذكر ونحوه، وكثيراً ما تظهر عليه علامات الخير عند الواردات الوهبية، وتغلب عليه؛ فيبشر ويخبر، ولا يتبدل حاله إلا إذا غلب عليه ذلك؛ فيخرج منه ما يخرج، وكان يقرئ الصبيان بمكتب باب زنقة الجياد من حومة البليدة، ويؤم الناس في صلاة تراويح رمضان بمسجد مولانا إدريس، ويورق كتب الوعظ عند الفجر به أيضاً، والتفسير بعد صلاة الصبح عند محراب القرويين، و«الحلية» بظهر صومعتها عند العصر.

وكان لقراءته حلاوة، وعليها طلاوة، قال في «نشر المثاني»: «وسمعت بعض الناس ممن خالطه يحدث عنه بكرامات وخوارق عادات» اهـ.

أخذ علم القراءات عن العلامة الأستاذ البركة سيدي إدريس بن مَحمد بن أحمد المنجرة الشريف الحسني الإدريسي، وطريقة التصوف عن

(١) سلوة الأنفاس: ١/٣٣٧، ٣٣٨.

الشيخ العارف بالله سيدي محمد ابن الفقيه، وبه تربى وتهذب، وتخلق وتأدب، حتى ظهرت عليه بركته، وشملته عنايته وعطفته، وألف في مناقبه تأليفاً كما تقدم وقد أخبر في هذا التأليف عن نفسه أنه: كان مرة جالساً في بيت من داره صبيحة إحدى وعشرين من رمضان عام ثلاثين ومائة وألف؛ إذ قيل له في باطنه: «غفر الله لسبعمائة هكذا، ولسبعمائة هكذا، ولسبعمائة هكذا، ولسبعمائة هكذا، ولسبعمائة هكذا، ولسبعمائة هكذا...»، قال: «يعني من أمامي، وخلفي، وعن يميني، وعن شمالي، وجنباً من جهة الركن الأيمن، وجنباً من جهة الركن الأيسر». وقال فيه أيضاً: «كنت جالساً بضريح مولانا إدريس - رضي الله عنه، ونفعنا ببركاته - قبل وقت صاحب السلام، إذ قيل لي في باطني: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [النحل: ١٢٥]، فعلمت أنه قد أذن لي في القبول». اهـ. يعني: في قبول الخلق وتربيتهم.

وكان شيخه المذكور قد جعله مقدماً على الفقراء؛ فطلب منه بعض أصحابه أن يقدم عليهم غيره لكونه مشغولاً بالقراءة مع الطلبة فتغيظ وقال له: «والله ما قدمته عليكم حتى أذن لي النبي ﷺ في تقديمه...»، وقال له شيخه المذكور مرة: «لا تخرجُ من الدنيا حتى تتولى هذا الأمر». وقال يوماً للفقراء: «عبدالله بن يخلف؛ بدل مني وأنا بدل منه!».

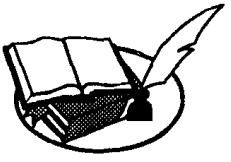

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

توطئة

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

توطئة

التعريف بأصل وسلف أسرة بني سودة:

يقول سليمان الحوات[1]: «يعرف سلف هذا الشيخ رضي الله عنه، في جزيرة الأندلس، وهذه العدوة بني سود، بفتح السين، وهو اسم لأحد آبائهم بالتاء، كمرة وعنانة، أو لأحد أمهاتهم، لأن قبائل العرب في الغالب تسمى باسم أبيها بالتاء، كما مثلنا أو بدونها، ككعب، ومضر، وقد تسمى باسم أمها كذلك، أيضاً كخندف، وبجيلة[2]، وقد وردت التسمية بسودة، أيضاً بعد ذلك بآبائهم، وهو في الأصل واحدة سود بالفتح قال في **القاموس**: السود بالفتح، سفح مستو، كثير الحجارة، أسود القطعة بها. ومنه سميت المرأة سودة». ويجوز أن يقال فيهم أيضاً بنو سود بالضم، وهو الجاري على الألسنة، إما من السؤدد بمعنى السيادة، كما في **القاموس** أيضاً، وسمي به مبالغة قال في **القاموس** أيضاً: وسود بالضم، اسم، وبنو سود، بطون من العرب» وإما من السود، جمع أسود من السواد، فالنقل على الأول من اسم العين. وعلى الثاني من الحدث، وعلى الثالث من

(١) الروضة المقصودة ١/١٤٠ وما بعدها.

(٢) خندف، وبجيلة، قبائل عربية، وخندف زوجة إلياس بن مضر جد الرسول ﷺ. انظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبدالسلام هارون، ص٣٨٧ ـ ٤٨٠، المعارف، القاهرة ١٩٦٢.

الصفة، والتاء تأتي على جميع الاحتمالات سواء كان الاسم للأم، أو للأب، إلا أنها تختلف قلة وكثرة في المذكر، كما تقرر في النحو. هذا والغالب على العرب تسمية أبنائهم بمكروه الأسماء ككلب، وحنظلة، وضرار، وحرب، وما أشبه ذلك، وتسمية عبيدهم، بمحبوب الأسماء، كفلاح، ونجاح، ومرزوق، وسالم، ونحوها. والمعنى في ذلك ما يحكى أنه قيل لأبي الدقيش، الكلام «لم تسمون أبناءكم بشر الأسماء نحو كلب، وذئب، وعبيدكم بأحسن الأسماء، نحو مرزوق، ورباح، فقال: إنما نسمي أبناءنا لأعدائنا، وعبيدنا لأنفسنا»، قال في **نهاية الأرب**: يريد أن الأبناء معدة للأعداء وسهام في نحورهم، فاختاروا لهم شر الأسماء، والعبيد معدة لأنفسهم، فاختاروا لهم خير الأسماء. قال ابن دحية: فكان الرجل إذا تشاجر مع كفيئه، وقال: «اخرج يا كلب، أو يا سباع، أو يا أنمار، أو يا علقمة» إلى غير ذلك فقد دفع السوء عن أبنائه.

ثم نسب بني سودة، يرجع إلى مرة، وقد كنت أنشأت من جملة قولي في هذا الغرض مرة:

بيت بني سودة في مرة ... أشهر من نار على علم
وقدرهم من فوقه شرفا ... وسرهم يبرئ من سقم
لا تأمن الأعداء صولتهم ... فكن إليهم ملقى السلم
كأنهم في العرب عقبانه ... وغيرهم لحم على وضم

قال أبو محمد عبدالحق الأزدي الإشبيلي في كتابه **مختصر اقتباس الأنوار والتماس الأزهار في أنساب الصحابة، ورواة الآثار**، لأبي محمد عبدالله الرشاطي الأندلسي ما نصه: المري قبائل، ففي تميم، مرة بن عبيد بن مقاعس، وهو الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد بن مناة بن تميم. قال ابن دريد: مرة اسم شجرة، والمرار شجر الواحدة، مراراً، وآكل المرار، لقب لملك من ملوك كندة، وهو حجر ابن عمر، مرتع بن عمرو، بن معاوية، بن ثور كندة، تشبه بالبعير، إذا أكل المرار، من بني مرة، بن عبيد، من أصحاب النبي ﷺ، أبو الصهباء عكر بن دويبة، فقال

له: ارفع في النسب فقال: ابن مرنوص، بن جعران، بن التدال، بن مرة، بن عبيد وهذه صدقات بني مرة بن عبيد، فقبلها رسول الله ﷺ، وفي تميم أيضاً مرة ابن فقيم ابن جرير، بن دارم قال أبو عمرو ابن العلاء: قلت لرجل من بني حنظلة: «ممن أنت» فقال: «فقيمج، قلت: من أيهم؟» قال: من جرار، أراد فقيمي ومري» وفي غطفان مرة بن عوف، في بني غالب، بن فهر ابن سعد، بن ذبيان، بن بغيض، بن ريث، بن غطفان، ومرة بن عوف هذا، هو مرة بن كعب، بن لؤي بن غالب، بن فهر، صار عوف في غطفان، لأنه خرج فيما يزعمون في ركب من قريش، حتى إذا كانوا بأرض غطفان، أبطر به فانطلق من كان معه من قومه، وأراد أن يلحق بمكة، فقال: لو كنت من هؤلاء ما تركوني فقيل فيه:

عرج على بني لؤي جملك تركه القوم ولا متترك لك

فصار في غطفان، وتولاهم فقيل مرة بن عوف، بن سعد، ابن ذبيان، بن بغيض، بن ريث بن غطفان، وبنو مرة هذا يسمون الفساءة، لكثرة اجتتاتهم التمر، وكانت منازلهم بين فدك، وخيبر، فلقبوا بذلك، لأكلهم التمر. منهم أبو غطفان سعد بن طريف المري، روى عن أبي هريرة، تفرد بالرواية له مسلم، قال ذلك أبو علي الغساني رحمه الله.

هجرة بني سودة من دمشق إلى غرناطة:

وكان بنو سودة هؤلاء أولاً بغرناطة الحمراء من جزيرة الأندلس، كما يأتي التصريح به في كلام ابن الخطيب. وردوا عليها من دمشق الشام، لأن العرب الشامية لما دخلت الأندلس في ألف فارس مع أميرها، [**بلج بن بشر القشيري**] نزل جند دمشق منهم، بكورة البيرة، التي غرناطة قاعدتها العظمى، وسموها بدمشق، قاله ابن الخطيب في **الإحاطة**، **واللمحة البدرية في أخبار الدولة النصرية** والحافظ ابن خلدون **في العبر**، ومثله في **نفح** الطيب. «وغرناطة يقال لها «اغرناطة» أيضاً وكلاهما اسم عجمي، وهي مدينة كورة البيرة، بينهما فرسخان وثلثا فرسخ. والبيرة من أعاظم كورة

الأندلس، وكان لها من الشهرة والعمارة، ولأهلها من الثروة والعدة، وبها من العلماء والفقهاء ما هو مشهور».

وبالجملة، فكانت الأندلس قطب بلاد الإسلام، ودار الملك والإمارة والعز والاحترام، ومحاسنها أكثر من أن تحصى، ومناقبها أبعد من أن تستقصى وفي وصفها، ووصف واديها سلسل المحيط بها، يقول لسان الدين بن الخطيب:

بلد يحف به الرياض كأنه ... وجه جميل والرياض عِذارُه
وكأنما واديه معصم غادة ... ومن الجسور المحكمات سِواره

إلا أن بردها شديد، لا يكاد المرء معه يفعل ما يريد، وماأحسن قول القاضي ابن بشرين في الاعتذار عن ذلك:

رعى الله من غرناطة متبوَّءاً ... يسر كئيباً أو يجير طريدا
تبرم منها صاحبي عندما رأى ... مساريحها بالبرد عدن جليدا
هي الثغر صان الله من أهلت به ... وما خير ثغر لا يكون برودا

وكان بنو سودة، هنالك من نبهاء السروات، وأكابر البيوتات، متفقاً على جلالة حسبهم، ومزية نسبهم، والبيت عند العرب، كما قيل لهشام بن عبدالملك بن مروان، لما ذكرت البيوتات عنده، هو ما كانت له سالفة ولاحقة وعماد حال ومسلك دهر، فإن كان كذلك فهو بيت قائم قال الزمخشري، **في ربيع الأبرار**: أراد بالسالفة، ما سلف من شرف الآباء وباللاحقة ما لحق من شرف الأبناء، وبعماد الحال الثروة، ومسلك الدهر، الجاه عند الأمير. قال أبو عبيدة: كانت العرب تعد البيوتات المشهورة بعظم القدر والشرف، بعد بيت بني هاشم بن عبد مناف أربعة: أولها آل حذيفة بن بدر بن قيس عيلان، وبيت آل زرارة، من بيت الدار من بيت بني تميم، وبيت ذي الجدين عبدالله بن عمر بن الحارث بن هشام الشيباني، في بيت بني شيبان، وبيت بني الديان، من بني الحارث بن كعب بيت اليمن. فأما كندة، فلا يعدون من البيوتات، وإنما كانوا ملوكاً. وفي الديوان المبوب مما

جمع مجلس السلطان الأعظم، أبي النصر مولانا إسماعيل الشريف الحسني رحمه الله، وباختياره ما نصه: «وفي بني مُرة بن عوف الشرف والسؤدد، منهم هرم بن سنان بن حارثة، الجواد المشهور، الذي مدحه زهير بن أبي سلمى، الشاعر، وأخوه خارجة بن سنان. بقرب غطفان، أُخرج من بطن أمه بعد موتها، وأخوهما عوف بن سنان، وابنه الحارث بن عوف صاحب الحمالة بن عبس ودبيان».

وممن ألم بذكر بني سودة، وعدهم من البيوتات المُرِّيّين بجزيرة الأندلس وخصوصاً غرناطة، لسان الدين، ذو الوزارتين، الإمام الأعظم، أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن الخطيب السلماني، فقد ترجم في **الإحاطة**، لإمامين مِن أعلامهم عظيمين، وعالمين من أعيانهم شهيرين، فقال في الأول: «محمد بن إبراهيم، بن سودة المري، أصله من بشارة غرناطة، يكنى أبا عبدالله، حاله، من بعض التواريخ المتأخرة كان شيخاً جليلاً، كاتباً مجيداً بارع الأدب رائق الشعر، سيال القريحة، سريع البديهة، عارفاً بالنحو، واللغة، والتاريخ، ذاكراً لأيام السلف، طيب المحاضرة، مليح الشيبة، حسن الهيئة مع الدين والفضل والطهارة والوقار والصمت. مشيخته: قرأ بغرناطة على الحافظ، أبي محمد عبدالمنعم بن عبدالرحمٰن بن الفرس وغيره من شيوخ غرناطة، وبمالقة على الأستاذ أبي القاسم السهيلي وبجيان على ابن يربوع وبإشبيلية، على أبي الحسن زرقون، وغيره من نظرائه. أدبه: قال الغافقي: كانت بينه وبين الشيخ الفقيه واحد عصره أبي الحسن سهل بن مالك مكاتبات ومراجعات ظهرت فيها براعته، وشهدت له بالتقدم يَرَاعته، ثم ذكر محنته بالأسر آخر عمره هو وأولاده وأنه توفي في حدود سبعة وثلاثين وستمائة. وقال في الثاني: «محمد ابن محمد بن علي بن سودة المري يكنى أبا القاسم. أوليته: من نبهاء بيوتات الأندلس وأعيانها، سكن سلفه البشارة بشارة بني حسان، وولي جده خطة الاشتغال، حميد السيرة، معروف الأمانة، حاله: هذا الفتى، من أهل الخصوصية، والسكون والحياء، المانع عن كثير من الأغراض، مال إلى العلوم العقلية، فاستظهر على الحماسة، وبعض أغراضها بالدؤوب، والعكوف المؤثرين، تأثير حبل

الركية في حَجَرها، فتصدر للعلاج، وعالج الشعر، ورواته في الكتابة، وعد من الفضلاء، وظهرت على عباراته اصطلاحات الحكماء، وتشوف إلى العهد للرحلة الحجازية، والله ييسر لقصده. مشيخته: قرأ الطب، والتعديل على الحبر، طبيب الدار السلطانية، فارس ذينك الفنين، إبراهيم بن زرزار اليهودي، ورحل إلى العدوة، فقرأ على الشريف العالم الشهير، رحلة الوقت في المغرب أبي عبدالله العلوي وبلقائه نجم شعره، أنشد السلطان قوله:

جاد الحمى صوب الغمام هتونه تزجى البروق سحابة تعينه

ولو أخذته أيدي التحرير والنقد، لرجي أن يكون شاعراً. وبالجملة، فالرجل معدود من السراة، بيتاً وتخصصاً». ولم يذكر وفاته، لأنه كان حياً إذ ذاك، فيكون معاصراً لابن الخطيب.

فليعلم إذن أن لبني سودة شأواً لا يدرك، ومن كان كذلك فتعريف حقيقته بجنسها وفصلها لا ينبغي أن يترك، وكيف وفي كل عصر جدد الخلف أركان البيت الذي بناه السلف على أساس العلم العلي، لإحراز الفضل السبقي والمعي، وترصع ديباجته بأنفس المناصب وتسدل على بابه أردية المتاجر والمكاسب، خصهم الله بسكنى أشرف الأمصار، في هذه الأعصار وفي تلك الأعصار، فأولاً في دمشق الشام وهي كما قيل:

تزيد على مرة زمان طلاوة دمشق التي راقت بحلو المشارب
لها في أقاليم البلاد مشارف منزهة أقمارها عن مغارب

ثانياً في غرناطة الأندلس، وهي كما قيل:

غرناطة ما لها نظير ما مصر ما الشام ما العراق
ما هي إلا العروس تجلى وتلك من جملة الصداق

وثالثاً في فاس المغرب وهي كما قيل:

يا فاس منك جميع الحسن مسترق وساكنوك ليهنيهم [بما رزقوا]

هذا نسيمك أم روح لراحتنا ... وماؤك السلسبيل الصافي أم الأرق
أرض تخللها الأنهار داخلها ... حتى المجالس والأسواق والطرق

فلا جرم اعتدلت طباعهم لاعتدال الأقاليم في الأول والآخر، واطمأنت هممهم لما يتوارد عليها من أنواع المكارم والمفاخر، لا يظهر العجب والعجب. مع قدم الحسب والنسب، فلهذا نفحت فيهم الحضارة الفاسية نفح الطيب، فصاروا كأزهار رياضها في الغصن الرطيب، وهذه الحضارة بفاس، لا مفخر بعدها عند عامة الناس، إلا من كان من بيت آل الرسول الذين دخلوا من باب الشهرة لمكان القبول. فإن أنساب بني هاشم، يقصر عنها طمع الطامع، ومرجعها عندهم إلى التأصل في العز والفضل، وتقدم سلف في العلم والثروة، وتنوع ولاية المناصب مع القدم بفاس، إلى نحو أربعمائة سنة فما فوق[1].

يقول العلامة محمد بن الحسن الحجوي: «بيت بني سودة بيت علم أصيل ومجد أثيل، حَملوا المحابر، فحُمِلوا على المنابر»[2].

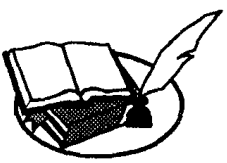

(١) الروضة المقصودة: ٢٠٢.
(٢) الفكر السامي: ٣٠٩/٢.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل الثاني

تعاقب علماء بني سودة
على تدريس صحيح الإمام البخاري
بهذا الكرسي

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

لقد توارث علماء بني سودة تدريس صحيح الإمام البخاري بهذا الكرسي المبارك من القرن العاشر إلى أوائل القرن الرابع عشر الهجري.

وإليك تراجمهم مختصرة مع ترتيبهم حسب تقدم سن الوفيات.

وعلماء بني سودة الآتي ذكرهم هم:

١ ـ أبو القاسم بن قاسم بن سودة (ت١٠٠٤هـ).

٢ ـ أبو عبدالله محمد بن القاسم بن أبي القاسم بن سودة (ت١٠١٥هـ).

٣ ـ محمد بن محمد بن أبي القاسم بن سودة (ت١٠٧٦هـ).

٤ ـ محمد التاودي ابن سودة (ت١٢٠٩هـ).

٥ ـ أحمد بن التاودي ابن سودة (ت١٢٣٥هـ).

٦ ـ المهدي ابن سودة (ت١٢٩٤هـ).

٧ ـ أبو العباس أحمد بن سودة (ت١٣٢١هـ).

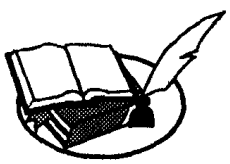

١٢ ـ أبو القاسم بن قاسم ابن سودة (المتوفى سنة ١٠٠٤هـ)

يقول سليمان الحوات[١]:

«. . .الشيخ الأوحد الهمام الصدر الشهير الأستاذ الكبير ذو الشيم المرضية والسير المحمودة، القاضي العدل أبو القاسم بن أبي محمد قاسم بن محمد بن أبي القاسم بن سودة، المري الغرناطي قال الحبر المحقق أبو عبدالله الطيب بن الإمام المستحيي أبو عبدالله، محمد بن شيخ الجماعة أبي محمد عبدالقادر الفاسي في كتابه **مطمح النظر في أهل القرن الحادي عشر**، كان يعني صاحب الترجمة، عارفاً بالفقه، والمنطق والأصول ولي قضاء مراكش، ثالث رمضان عام ثلاثة بعد الألف، فمرض في تلك الأيام، ثم بعثه السلطان أحمد المنصور المعروف بالذهبي، صاحب مراكش، والمغرب إلى فاس، بلده فيلقاها يوم الأحد موفى عشرين من شوال عام أربعة وألف، فاستمر المرض به إلى أن توفي لخمس وعشرين مضت من ذلك الشهر، ودفن بجوار أبي زيد الهزميري، داخل باب الفتوح وكان قبل ذلك ولي قضاء بلاد بني حسين، عمل مكناسة بلاد واد ملوية، وقضاء بلاد زمور.

ووقفت على ظهير من إنشاء الكاتب أبي عبدالله الفشتالي عن المنصور

---

(١) الروضة المقصودة ١/١٦٥.

إلى ولده زيدان في توليته مع ابن أبي النعيم قضاءه نصه بعد الصدر[1]:

«بيد الفقيه الأرضى، الأثير، الأحضى، المرعى النبيه المكين الوجيه الأخلص الأصفى الأفصح الأوفى، الأحب الأفضل، الأنجب الأكمل العالم العلامة المدرس الفهامة أبي القاسم ابن سودة، لما كان سدده الله من انتخبته مقدمة الاختيار، وخلص خلوص التبر على النار، وصرفت أفعاله المحمودة، فلم يتطرق إليها اعتلال، ورفعت في السيرة الحسنة أخباره، على حالها فانتصبت الآن على تلك الحال، ومن شهد لتقدمه التخريج والتربية، ورسم الاختبار بصحة إشهادها في باب التزكية، فقضى حاكم النظر باستحقاقه التولية، وممن خب في جنان مرضاة الجناب الهمامي، وأوضع وروعي عن عرفانها وأوسع وسابق في ميادين فضائلها النجباء، فجلى وفاز من أقداح اختصاصها وإيثارها بالعلى، وجمع في أسباب مرضاتها، جمعاً سالماً بما اقتضت الهمة الإمامية أعلى الله منارها، وأعظم آثارها، أن تعصب جبينه بتاج الرعاية، وتضفي عليه برود العناية، بولاية تبع فيها سليم الاختيار، وصحيح الاختبار، فحجتها برهانية، نشأت عن مقدمات يقينية، فبنى أيده الله حمايته وأنصاره، وأيد عزازه وأنصاره، فولاه أبقى الله جلاله، وأسعد بكره وآماله، قضاء بني حسن، وبني علي، على ما كانت بيد صاحبه الفقيه أبي القاسم بن أبي النعيم، وأمد يده على قضاء بلدة تازا، وأبقى على حاله من حبس الإقراء بالحضرة الفاسية، حاطها الله، ومثار هذه الزيادة أنه لما قصر مصرف الأحكام الشرعية، بالحضرة المكناسية، حماها الله، انتقى النظر الإمامي المنصوري أيده الله، لمنصبه الفقيهين النجيبين الأعرفين المثيلين المدرسين العلامتين القاسمين ابن سودة، وابن أبي النعيم، فاختص الفقيه ابن أبي النعيم بالمنصب المذكور، وتولى قرينه ابن سودة المذكور قضاء القبيلتين المذكورتين، وأنعم أيد الله أمره وأعز نصره بإبقاء ما بأيديهما على الأقراء من الأحباس بحاضرة فاس، مأذوناً للفقيه ابن سودة المذكور، في

---

(١) مطمح النظر ومرسل العبر بالذكرى بمن غبر من أهل القرن الحادي عشر، لمحمد الطيب بن محمد الفاسي (ت١١١٣هـ).

النيابة عن صاحبه المذكور، فيما يتأتى فيه نيابة من درسه، وما لا فليستنب فلينهض بهذا الوظيف الديني الذي أبقى أيده الله عصابته على جبينه، وجعل زمام عهدته بيد علمه ودينه، والتوفيق بفضل الله رفيقه، والاستضاءة بمصباح مشورة الأئمة الأعلام، في غياهب مشكلات النوازل والأحكام، فصيلته التي تؤيه، وفريقه عارفاً قدر النعمة ومسديها، مستفرغاً وسعه في القيام بحق معيد الولاية ومبديها، وعهد أبقاه الله سعيد الأيام، مظفر الولاية والأعلام، بجملة القبائل المذكورة بالكون عند نظره، والانقياد لأحكامه والجري على العوائد المطردة، في أجرة قضائه، والله ولي التوفيق، لا رب غيره. والسلام».

وقد اشتمل الظهير على أنواع من فنون البلاغة والبراعة وجودة الإنشاء من التوريات النحوية، والفقهية والمنطقية وغير ذلك من محاسن هذه الصناعة، فهو من أجل ما به يلفظ ويكنز في ذخائر الطروس ويحفظ.

وقال أبو سالم إبراهيم بن عبدالرحمٰن الجلالي الورياجلي ثم الفاسي في كتابه، **تنبيه الصغير من الولدان على ما وقع في مسألة الهارب والهاربة من الهديان** لما مات الشيخ المنجور، ليلة الاثنين سادس عشر ذي القعدة، عام خمسة وتسعين وتسعمائة، كان سيدي أبو القاسم بن أبي النعيم وسيدي أبو القاسم بن سودة وسيدي أبو القاسم القصري غائبين بمراكش، فنفذ ابن أبي النعيم، وابن سودة، جميع أحباس المنجور، بكتاب السلطان، فلما قدما لفاس، وجدا سيدي يحيى السراج نفد كرسي التفسير لزيادة فائدة على الكرسي الذي بيده. فتولى سيدي أبو القاسم ابن أبي النعيم، الكرسي الذي كان بيد سيدي يحيى، وتولى سيدي عبدالواحد كرسي مسلم بين المغرب والعشاء، وتولى سيدي أبو القاسم ابن سودة الكرسي الكائن تحت السُّبُع عن يمين الخارج من باب جامع الجنائز، الذي يقرأ بين الظهر والعصر عليه ابن الحاجب وصغرى السنوسي وولى سيدي بن أبي النعيم كرسي الرسالة الصغرى وبعض الرسالة بين المغرب والعشاء على المستودع الكائن عن يمين الداخل، من باب الحفاة لصحن القرويين، وقراءة نظم ابن زكري عليه يوم الخميس والجمعة فقط. وأخذ صاحب الترجمة عن ولي الله ابن أبي النعيم رضوان بن عبدالله الجنوي. وعن القاضي ابن محمد عبدالواحد الحميدي،

وغيرهما. وأخذ عنه خلق لا يحصون بفاس، من أجلهم الإمام الحافظ أبو العباس أحمد ابن الشيخ الصالح أبي المحاسن يوسف الفاسي، كما في **المطمح**، وأخذ عنه أيضاً جماعة بمكناسة الزيتون، ومراكش، وتازة، وغيرها من بلاد المغرب، وحمدت سيرته في القضاء مع التعفف والنسك وحسن الأحوال، وكان الآن بالدرب المسمى بدرب القاضي، من عدوة فاس القرويين، وإليه إضافته وأولاده لا زالوا به إلى الآن. وقد تقدمت وفاته في صدر الترجمة، وإليها رمز أبو عبدالله المكلاتي، في **لاميته التاريخية**، مع أبي زكرياء يحيى السراج، وأبي عبدالله الترغي فقال:

لسراج شبيبه لابن سودة قد شجى شجاً لترغي لنقص التنزل

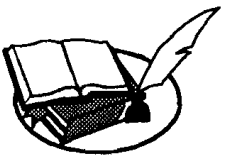

١٣ ـ أبو عبدالله محمد بن القاسم بن أبي القاسم ابن سودة (المتوفى سنة ١٠١٥هـ)

جاء في (صفوة ما انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر):

«منهم ولده الحبر المتفنن العالم المدرس النفاع، الكريم الإخلاص والطباع، والفقيه العالم، ركن المجد المتسلم، أبو عبدالله محمد بن القاسم بن أبي القاسم بن أبي محمد قاسم بن محمد بن أبي القاسم قرأ على والده القاضي أبي القاسم، وعلى ولي الله أبي النعيم رضوان، والقاضي الحميدي، والشيخ أبو عبدالله محمد بن قاسم القصار، والقاضي أبي القاسم ابن أبي النعيم الغساني، ودرس بكرسي والده بمسجد القرويين، في حياة والده، وبعده. وقفت على ظهير السلطان أبي العباس المنصور، نفد له ما بيد والده من الأحباس كراسي وغيرها، لما ولي والده قضاء مراكش في آخر عمره سنة ثلاث وألف. وانتفع الناس به كثيراً وكان فقيهاً علامة مشاركاً، في فنون منها النحوية والفقه والأصول والكلام، وروى علم الحديث عن رضوان، والقصار، مع النسك والتعفف وحسن الخلق والخلق وكثرة التواضع والعفو عن غلطات العوام، والصبر لهم في السؤال والجواب، فجبرت سريرته، وأكثر الناس من الثناء عليه. ذكره تلميذ والده الحافظ المتفنن أبو زيد عبدالرحمٰن بن شيخ الجماعة عبدالقادر الفاسي في كتابه المسمى: **بأزهار البستان**: وقال الشيخ الأديب أبو عبدالله محمد الصغير الإفراني، في كتابه **صفوة ما انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر**:

«ومنهم الفقيه الصالح العالم العلامة أبو عبدالله محمد بن أبي القاسم بن سودة المري الأندلسي الغرناطي، كان فقيهاً مدرساً صادق اللهجة ساقط الدعوى، ومن إنصافه: أنه كان يدرس بالقرويين على كرسي والده، فربما سُئِل عن مسألة لا يدري ما يقول فيها فينزل عن كرسيه. ويسأل شيخه أبو زيد عبدالرحمٰن ابن محمد الفاسي، ثم يرجع. وتوفي سنة خمس عشرة وألف عن نيف وثلاثين سنة، ودفن بالبلاد الموقوفة بإزاء روضة سيدي علي ابن حرزهم خارج باب الفتوح.

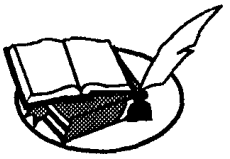

١٤ ـ محمد بن محمد بن أبي القاسم ابن سودة[١]
(المتوفى ١٠٧٦هـ)

هو: أبو عبدالله محمد بن محمد بن أبي القاسم، بن أبي محمد قاسم ابن محمد بن أبي القاسم. ولد رحمه الله سنة ثلاثة وألف، وحضر درس الشيخ القصار وهو صبي، وقرأ النحو عن القاضي أبي الحسن علي بن عمر السلاسي، والمنطق والبيان والأصلين عن القاضي أبي القاسم بن أبي النعيم الغساني الأندلسي، وتفقه على الشريف أبي الحسن علي المري التلمساني، وعلى أبي الحسن علي البطوئي وعلى خاله الإمام أبو مالك عبدالواحد بن عاشر الأنصاري الأندلسي وغيرهم، واستفاد من والده المذكور كثيراً، وحضر درسه من لدن صباه، وكان عالماً متبحراً، يدرس على كرسي والده، وجده بمسجد القرويين، في المعقول والمنقول، والحديث والفقه، وفروع الأحكام، ونوازل الفتوى والتصدق، وتخرج به جماعة من أعيان العلماء، كالحافظ المتفنن أبي زيد عبدالرحمٰن ابن شيخ الجماعة أبي محمد عبدالقادر الفاسي قال: «سمعت منه جملة من تفسير القرآن **والرسالة والحكم**، لابن عطاء الله، **وتحفة** ابن عاصم وشرحها للشيخ ميارة، وهذا آخر ما قرأ عليه سنة اثنين وستين وألف. وكان طلب منه مرة أن يوليه قراءة البيان، بمدرسة الصهريج من عدوة فاس الأندلس، وأبطأ عليه في الجواب فقال يخاطبه متشكياً:

---

(١) الروضة المقصودة والأنباء المنشودة: ١٥.

لمن يشكو الذي يلقى العليل ... بقول لم يقابله قبول
أطال ولم يطاول أهل طويل ... فكان جوابه الصمت الطويل

فأجابه رضي الله عنه:

إن ربي كما قال الخليل ... فهو بشفاء يشكو الكفيل
أما قد قابل القبول ... القبول بما الشكوى وما الشاكي عليل
وما رأيت الجواب على ترو ... ولا هي لشيء وهو مسؤول
وتعجل الكتابة ليس طولاً ... إذن لا يستطال مما تميل
فطب نفساً فديت بها ... هنا كما فيها على الأتراب طول
فإن كان المهمات على بيان ... أَذَلَّكَ فالشفاء بما أقول
بحول الله وليت الكتاب ... لمن يجدبه درساً لا يحول
كتاب أبي سعد لاختصار لها ... بمدرسة عدم المثيل
بناء كنية باني المباني على ... الأمر بمنشأها يطول
محدث ما بالاستطراد بحر ... هو السلسال وهو السلسبيل
أبو زيد بن زاكي من بفاس ... عبدالقادر الفاسي الجليل
سليل أبي المحاسن يوسف ... من محاسنة تولاها السليل

وأخذ أيضاً عنه العلامة القاضي العدل أبو عبدالله محمد بن العربي بن أحمد بردلة الأندلسي، فمن بحر علومه تدفق، وبخلق عدله تخلق، فكان آخر قضاة العدل بعده، وإليه المرجع في أعمال الأحكام وحده، وممن أخذ عنه أيضاً الشيخ حسن العجيمي المكي الحفني قال شيخنا الحافظ أبو عبدالله القادري الحسني في **التاريخ الكبير**: «رأيت بخطه أنه يقول فيه شيخنا، فهو ممن أخذ عنه ذلك بالإجازة والله أعلم».

وممن أخذ عنه أيضاً الشيخ العلامة الرحالة، أبو سالم عبدالله بن محمد بن أبي بكر العياشي صاحب **الرحلة** الشهيرة وكان استدعاه للإجازة بقوله:

أسيدنا قاضي الجماعة والذي ... لهيئته تعنُو الوجوه وتخضع
وذو السيرة الغراء في العدل والهدى ... ووتر العلى في دهر ليس يشفع
إليك مددت الكف أرجو إجازة ... فمثلك من يعطي ومثلي يطمع
تكون بأنواع التحمل كلها ... إما بكتب أو تقول فأسمع
بحر وكم تلا أجيزوا وانجزوا ... أو لا تجيزوا إني قربت أَشْبَعُ
وخصوا وعموا الإذن فيه ... وأطلقوا عنان المقال في الحال وأوسعوا
فإن جدتموا فضلاً فذلك دأبكم ... وإن تمنعوا عدلاً فمثلي يمنع
ولكن على باب الكرام تطفلي ... وقارع أبواب الندى ليس يقرع
فما لي إلى ذاك الجمال وسيلة ... لكن جودك يشفع
فلا زلت مخدوم الجناب مقرراً ... وعلمك في بحر الجهالة ينفع

فأجابه بنظم طويل، نحو خمسة وسبعين بيتاً، يقول في المطلع منه:

من بارق أم رأفة البرق يلمع ... ومن طيب الصبا طاب يسطع
أم المسك عن دارين ضاع فعطرت ... بنشره أحيا للرحيل يجمع
وقد أعلنوا بالبين فارتاع عاشق ... وهل عاشق بالبين ليس يروع
ولا غرو أن يرتاع صب لنا من له ... فروح للمواد بمصرع
بل العجب الديان في الصاد يطمع ... ويحسب أن ألْمَا لديه فيكرع
واعجب منه قاصر يستجير ... بحيث ملى في العلوم مضلع
أبحر من ربيع ويسعى غمام ... مصير من جهام توزع

إلى أن قال: ومنه جواب العبد نجل ابن سودة، يسمى الأصل والفرع.

ينبع برسالتي صدر الأفاضل بدرهم ... سليل أبي بكر لعياش يدفع
أبو سالم عبد الإله الذي له ... من الجد والمجد السنام المرفع
إجازته مجموع ما قد رويته ... ورويت بالضرب الذي يتنوع
فقل أجل إني أجَزْتُكَ بالذي ... أجازني الأشياخ فيه وأوسع

وأخذ عنه أيضاً الفقيه، العالم الرئيس أبو محمد عبدالله ابن الشيخ القدوة الرئيس المجاهد المحامي أبو عبدالله محمد العياشي المالكي. وكان مرة رفع إليه سؤالاً ضمنه في أبيات يقول فيه:

أسيدنا مفتي الأنام ومن به ... تبين حقاً مشكلات المسائل
أجب هل يجوز للمصلي نوافلا ... لنسيانه تعدادها بالأنامل
ويعقدها حال الركوع وساجداً ... أم المنع فيها كلها للتشاغل
وأزكى سلام أولاً ثم آخراً ... ينوب عن العبد البعيد المنازل

فأجابه برَّد الله ضريحه بما نصه:

جوابكم سر السراة الأفاضل ... سليل شهير القوم أسنى الحلاحل
إجازة حسبان المصلي لنفله ... لتجويزهم ما حف من كل شاغل
وما خصصوا نفلاً عن الفرض بالذي ... رواه يسير ألا يضر لعامل
وتحويل خاتم الذي خاف سهوه ... عن اللخمي مروي بنص لقائل
وكان لهم حمله الرسول إمامة ... وهو أمام الناس أقوى الدلائل
وأهدى سلام نفاع بالمسك نشره ... يردد من عبد مسول لسائل

وممن قرأ عليه أيضاً ولده محمد الطالب الآتي، وكانت أقلام الفتاوي قد سلمت له في أقطار جميع المغرب، فكانوا يكتبون بالتصحيح عقب فتواه، ولا يتقدمونه وسار العمل بفتواه فيها لا يوجد له في النازلة نص، ومن نظم الفقيه الأديب الأستاذ المجود أبي عبدالله محمد بن قاسم الزجالي الفاسي من بيت بني الزجالي، وزراء قرطبة، يُهَنِّئُهُ حين ولي الفتوى والخطابة بفاس:

أمفتي الورى دام السرور يؤمكم ... وترقى منابر المعالي وتمنح
وتنظم في سلك الخيار كلؤلؤ ... فيا كاملاً رقي لكم به اسمح
فلا زلت في بحر العلوم مؤيداً ... من الله بالعون الذي ليس يبرح
فأبقاك من أولاك في حسن عيشة ... أيا فاضلاً به الولاية تمدح

وولاه قضاء فاس السلطان أبو عبدالله محمد الحاج، ابن الإمام الصالح، أبي عبدالله محمد، ابن الشيخ الولي أبي بكر الدلائي عام سبعة بتقديم السين على الموحدة وخمسين وألف، ثم وقع نزاع وشيخنا بين عدوتي فاس، فقدم اللمطيون للقضاء العلامة، أبا عبدالله محمد بن عبدالوهاب بن إبراهيم المشنزائي. وبقي صاحب الترجمة قاضي الأندلسيين، واستمر العمل على ذلك بموافقة السلطان محمد الحاج المذكور، إلى أن توفي إبراهيم المذكور، فجمع السلطان محمد الحاج قضاء العدوتين إلى صاحب الترجمة، وصار هو قاضي الجماعة بفاس، فحمدت سيرته وظهر في القضاء ورعه وأثنت عليه الأشياخ بالعدل في القضاء، وبالدين والعلم والحكم وكمال المروءة، والإنصاف بالحق والنزاهة، عن سفاسف الأمور، وقال شيخنا الحجة أبو عبدالله القادري الحسني في ترجمته من تاريخه الكبير: «إنه آخر قضاة العدل بفاس، سمعت ذلك من أهل الثقة والدين من أشياخنا وغيرهم، ولم نر من تخلف عن وصفه بالعدل في أحكامه، وأثنى عليه غير واحد به، وبالدين والمروءة والإنصاف» إلى أن قال: «وبالجملة فما سمعت من ينقم عليه شيئاً في فتواه، ولا في قضيته، ولم نسمع من أشياخنا، ولا من غيرهم إلا من يثني عليه بالعدل، والفضل والدين أحسن ثناء». وقال الشيخ العمدة الصوفي أبو العباس أحمد بن عبدالوهاب الوزير الغساني؛ أمام سيدي أحمد بن عبدالله، في شرح البردة «أنه كان إماماً فاضلاً وحكماً نبيلاً عادلاً وعالماً، حسن السيرة، نقي السريرة، يعظم أهل الدين ويسير بسيرة الأئمة المهتدين، وله في قول الحق لسان صارم، لا يخاف في الله لومة لائم، وكان رؤساء وقته يعظمونه ويمتثلون أمره، ويهابونه يجنح للمساكين والضعفاء، ويعظم السادات الشرفاء، ويراعي أبناء العلماء ويصلهم بما وليه من الأحباس، ويبعث لهم ذلك إلى دورهم، ولا يتركهم يتكففون الناس، ويحمي طلبة العلم مِمَّن رامهم بفاس.

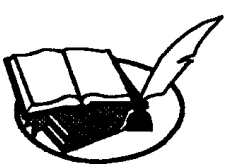

١٥ ـ محمد التاودي ابن سودة
(ت ١٢٠٩هـ)

١ ـ في نشأته الأولى
وما ظهر عليه من أثر كفالة المولى

يقول أبو الربيع سليمان الحوات[١]:

«قد تظهر في أول نشأة الإنسان علامات يعز بها أو يهان، فيستدل على ما يكون بما كان، ورب فراسة أصدق من العيان، توفي والد هذا الشيخ رضي الله عنه وتركه حملاً في بطن أمه كما تقدم فتزايد بعده فيما بعد الثلاثة والعشرين إلى ستة وعشرين ومئة وألف لأني رأيت رسم توكيل أبيه في قديم حياته مؤرخاً بجمادى الأولى سنة ثلاث وعشرين، مع أنه إنما ولد بعد وفاة أبيه قطعاً حسبما تلقاه الجمُّ الغفير، وعقد زمام تركة أبيه إنما كان ستاً وعشرين، ولم أحصل على التعيين في ذلك بالسنة، فضلاً عن الشهر والليلة لأنه كان يخفيه، ولم يجب السائل عنه يوماً ما بما يكفيه، مع العلم اليقين بأنه حصل فيه على التعيين. رأيت في جملة إنشاءاته لنفسه بخطه: «قلت لما بلغت الخمسين كذا قلت لما بلغت الستين». وهكذا إلا أنه أخذ

(١) الروضة المقصودة ١/٢٠٤.

برأي الأكابر الذين رأوا الصفح عنه في الزمان الأول والآخر صوناً للمروءة عما بها يخل، حتى تتوفر دواعيها ولا تضمحل».

وأم الشيخ رضي الله عنها هي أم اليمن عائشة بنت الفاضل الأنور الحاج الأبر أبي العباس أحمد بن عبدالكبير القدياري اللخمي من بيت بني القدياري اللخمي الذين كانوا بقرطبة من جزيرة الأندلس زمن الخلافة بها منزل الرياسة العلنية من القضاء والفتوى، ونسبهم في لخم وهي قبيلة في كهلان من العرب القحطانية وهو على المشهور بنو نجم بن عدي بن الحارث بن مرة بن زند بن يشجب بن عرين بن زيد بن كهلان. ولخم هذا هو أخو جذام ومن لخم ملوك الحيرة من العراق قال الرشاطي: «وتمادى ملكهم بها على ما حكاه ابن حبيب خمسمائة سنة واثنتان وعشرون سنة وثمانية أشهر إلى أن وضعت الكوفة ونزل بها خالد بن الوليد»...

قال في **نهاية الأرب**: «ثم كان لبقاياهم ملك بإشبيلية من الأندلس، وهي دولة بني عباد وأول من ملك منهم القاضي محمد ابن إسماعيل بن عباد». وكانت هذه الأم من الصالحات الزاكيات الطاهرات النقيات القائمات الذاكرات متوجهة إلى الله عن دليل، قانعة من أمر دنياها بالقليل، مصحوبة بالبركة في كل سكون وحركة، فتربى الشيخ في كفالتها، واستقل مع اليتم والإهمال بحضانتها، فكانت تقوم بأمره قيام من استعان بالله، ومن يستعن بالله تعالى أمده وقواه.

وإذا كان عون الله للمرء خادماً تهيأ له من كل صعب مراده

حتى نبت نباتاً حسناً، وتغذى الصيانة من حفظها لبناً، وتأدب في الصغر على يتمه وتهذب وبلغ ما لم يبلغه في الكبر ذُو أَب ومن كان له في رسول الله إسوة حسنة جدير بأن يقتفي به من لدن نشأته سننه، وأن يكون يومه في الخير أزيد من أمسه.

❋ ❋ ❋

٢ ـ طلبه للعلم

ولما بلغ سن التعليم صرفته للمكتب فكان لا يبرح ولا يريم دائم السلوك في طريق المراشد، حريص الاعتناء بجميع أنواع المحامد، مقبلاً على المفروض والمسنون تاركاً للصبيان في خوضهم يلعبون، أخذ بالجد والاجتهاد، ظاهراً في مظاهر الإقبال والإمداد موفقاً مؤيداً معاناً مسوداً حافظاً لما يملى عليه، عارفاً بما يرسم لديه، فحفظ القرآن في أقرب مدة ووصل لما يرجع لرسمه وشكله حده حتى أحكم روايته بحرف ابن كثير. وأخذ من أحكام تجويده بكثير، وأبدع في جودة الخط على كيفيات من التضييق والبسط لمكان التمكن في الحضارة، التي في أشكال الصنائع نتيجة المهارة، فكان كوفياً تارة وأندلسياً أخرى. وكلاهما في باب الجودة آية كبرى، على أنه لم يحصل في المغرب إلا لون من خط الأندلس على عهد بني مرين لقرب جوارهم وبسقوط من خرج منهم إلى فاس واستعمالهم إياهم سائر الدولة ونسي عهد الخط فيما بعد عن شدة الملك وداره ولكن كم ترك الأول للآخر ثم أخذ يبادئ في العلم بحفظ متون دواوينه المتداولة وسيلة ومقعداً بادياً بالأهم وهو عند ذلك من ضعفة الأيتام، لم يصل في السن عشرة أعوام، اللهم اجعلنا من الذين يسعى نورهم بين أيديهم. ولما كشف له نور الرشاد، عن وجوه أهل الخير والسداد كان لا يطوف إلا بكعبتهم ولا ينيخ رحله إلا بمحلتهم.

فيقصد بلوحه للابتداء بعد الختمة، من يقطع باب وجوده في الناس أمان لهم ورحمة، كشيخ الجماعة بتلك الأعصار، بحر العلوم والمعارف الزخار، أبي عبدالله محمد بن الشيخ الأستاذ أبي العباس أحمد بن المسناوي بن الشيخ الإمام الجامع بين الحقيقة والشريعة أبي عبدالله محمد بن الشيخ الولي الدال على الله أبي بكر المجاطي الدلائي رضي الله عنهم. وكان إماماً على قدم أسلافه في الجمع بين باطن الحقيقة وظاهر الشرع أنواع العرفان لائحة بغرته، وملوك الوقت على سطوتها صاغرة لهيبته، إذ قال فهو حَذَامِ يرجع إلى قوله كل إمام كل صعب منقاد إلى بدر فهمه الوقاد، ترجع

له أشياخه لإثبات أسئلة في حلة المشكلات، فكان يدعو له بالفتح المبين، ويتعجب من سره طفلاً على سنن المهتدين.

❋ ❋ ❋

٣ ـ في علومه وما ظهر له من الفتح في فهومه

لما شرح الله صدر هذا الشيخ الجليل، وجعله لا يصرف وجهته لشيء إلا عن دليل، ألهمه العناية بطلب العلوم، والأخذ منها بجامع الخصوص والعموم، والوقوف على حقائقها بمضايق التحقيق، والكشف عن وجه مشكلاتها بيد التصور والتصديق، حتى خاض من وسائلها كل بحر ونهر واجتلى من مقاصدها كل شمس وبدر، مجموعة بالمذاهب اللدنية، مخصوصة بمعارف الاختصاصية، وفاق الفحول في الزمن القليل، بالحصول بما لم يحصلوا عليه في الزمن الطويل، مع قوة العارضة بتمام المشاركة في فنون اختص فيها على كثرتها بتقرر الملكة فمنها:

- التفسير.
- وعلم الحديث.
- والفقه.
- وعلم أصول الفقه.
- وعلم الكلام.
- وعلم التصوف.
- وعلم الحساب.
- وعلم الفرائض.
- وعلم المنطق.
- وعلم النحو.
- وعلم اللغة.

- وعلم البيان.
- وعلم العروض.
- وعلم الأدب.

❋ ❋ ❋

٤ ـ شيوخه[١]

للشيخ أبي عبدالله التاودي ابن سودة رضي الله عنه شيوخ من أهل القدم في العلم وتحقيقه الثابتة الرسوخ، ما بين مغاربة أخذ عنهم العلوم دراية ورواية، وسلك بنور تعليمهم إلى معالم الهداية. ومشارقة تبرك بروايتهم وتمسك في علو السند بإجازتهم.

❋ ❋ ❋

٥ ـ حرص التاودي ابن سودة على التعليم

- يقول سليمان الحوات في «الروضة المقصودة»:

كان هذا الشيخ رضي الله عنه شديد الحرص على التعليم، مكين الملكة في الاقتداء على التفهيم، يقرب الأقصى بلفظ مُوجز ويبسط البذل بوعد منجز أخذ في التدريس حدود الأربعين من المائة السالفة وسنه دون العشرين، وكان عمله في ذلك لوجه الله لا عمل من اتخذ إلهه هواه، فشكر الله صنعه، وأدام إلى يوم الدين نفعه. وكان أجره لا ينحصر عدداً، وعمله لا ينقطع أبداً. في الحديث عن النبي ﷺ قال[٢]: «**إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية وولد يستغفر له، وعلم يبثه في**

---

(١) انظر (الفهرسة الكبرى والصغرى) للتاودي ابن سودة في معرفة شيوخه وتراجمهم.

(٢) أخرجه مسلم في الوصية ـ باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته: (٦١٣١) و(سنن الدارمي) باب البلاغ عن رسول الله ﷺ وتعليم السنن ـ (٥٧٨) والبغوي في (شرح السنة) ١/٣٠٠ ـ رقم: (١٣٩)، والبيهقي (معرفة السنن والآثار) ٥/١٢٨٦.

صدور الرجال» فما كان أعظمه رضي الله عنه من شيخ فتاح، يحمل الطالبين على مداومة وإلحاح، ويكرم مثواهم، ويجيب دعواهم، لما في الحديث عن أبي هارون العبدي قال: كنا نأتي أبا سعيد الخدري رضي الله عنه فيقول: مرحباً بوصية رسول الله ﷺ إن رسول الله ﷺ قال لنا: «**إن الناس لكم تبع وإن رجالاً يأتونكم من أقطار الأرض يتفقهون في الدين فإذا أتوكم فاستوصوا بهم خيراً**»[1].

فلا عجب حينئذ إن شدت إليه رحال الطلب، وجاءه الناس ينسلون من كل حدب، حتى كثر الآخذون عنه أخذ انتفاع، وعمت درايته وروايته في أكثر البلدان والأصقاع، فلست وإن أفنيت الأوراق والأقلام بتمحيص ما تخرج له من جهابذة الأعلام.

❋ ❋ ❋

٦ ـ سند الشيخ التاودي ابن سودة في صحيح البخاري

يروي **صحيح** البخاري عن الكثير من شيوخه المغاربة والمشارقة الأول منهم سماعاً وإجازة **أبو العباس أحمد بن مبارك اللمطي**، عن الشيخ المحدث المعمر دفين البقيع أبي الحسن علي الحريشي، عن شيخ الإسلام عبدالقادر الفاسي عن عم أبيه أبي زيد الفاسي عن القصار عن الشيخ الرحال أبي عبدالله محمد خروف التونسي عن سقين عن زكرياء عن ابن حجر عن النيسابوري عن الطبري عن المكي عن الطرابلسي عن أبي مكتوم عيسى بن أبي در عن والده أبي ذر المستملي وصاحبيه السرخسي والكشميهني عن الفربري عن أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري المتوفى سنة ست وخمسين بأسانيده المتصلة برسول الله ﷺ. وهذه الطريقة من طرف ابن حجر التي في أول **فتح الباري**، وعن الحريشي أيضاً عن الشيخ الرحالة أبي سالم عبدالله العياشي عن الشيخ علي الأجهوري عن اللجائي عن

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في (شرف أصحاب الحديث): [٣٣] و[٣٤] ص٢١.

الحجازي عن ابن أبي المجد عن الحجار عن الزبيدي عن أبي الوقت الداودي وأبي در عن المستملي وصاحبيه عن الفربري عن البخاري رضي الله عنه بأسانيده المتصلة برسول الله عليه الصلاة والسلام. وهذه إحدى طرق أبي سالم التي في فهرسته، **اقتفاء الأثر بعد ذهاب الأثر** والثاني بالقراءة والإجازة الشيخ الصوفي **أبو عبدالله محمد جسوس** قرأ عليه من أوله إلى آخره دون ترك شيء منه وذكر له أنه قرأه كذلك بلفظه مرتين على شيخه وقريبه الشيخ الشهير أبي محمد عبدالسلام جسوس برواية المغاربة. ونسخة ابن سعادة التي عليها المدار في أقطار المغرب والأندلس عن أبي محمد عبدالقادر الفاسي عن أبي زيد الفاسي عن القصار عن رضوان عن سقين عن أبي عبدالله محمد بن غازي عن أبي عبدالله محمد بن أبي القاسم محمد بن يحيى ابن أحمد السراج عن أبيه عن جده عن أبي البركات البلفيقي عن ابن جعفر بن الزبير عن أبي الخطاب بن خليل عن أبيه عن أبي عبدالله ابن سعادة. وفي أول نسخته بعد البسملة وبعد قوله: باب كيفَ كان بَدَأَ الوحي إلى رسول الله ﷺ وقول الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ الآية [النساء: ١٦٣].

أخبرنا الحافظ أبو علي حسين بن محمد بن ميارة الصدفي أخبرنا أبو الوليد سليمان ابن خلف الباجي أخبرنا الشيخ أبو در الهروي أخبرنا السرخسي والمستملي والكشميهني قالوا: أخبرنا أبو عبدالله محمد بن مطر الفربري قال: حدثنا أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري قال: حدثنا الحميري إلخ... وكان من حق هذا السند من قوله أخبرنا الحافظ إلخ أن يكتب على ظهر أول ورقة بنسخ المتن وألا يثبت بعد الترجمة والبسملة وكان إدخاله هنالك من بعض التلامذة الجهلة والله أعلم.

قال الشيخ رضي الله عنه في **الفهرسة** ثم عقبه «وكان والاتفاق سماعي **للصحيح** بكامله عن هذا الشيخ بعضه بلفظي وبعضه بلفظه وإن سمعت منه مواضع في ختمات أخرى كما اتفق هذا في غيره اخترت وإن كان أنزل من السند الأول والثاني فقلت:

يا سائلي السند للبخاري ما بين سامع وبين قاري

أرويه عن محمد جسوسي عن محمد عبدالسلام الجوسي
عن شيخه الفاسي عبدالقادر عن عمه عن الإمام الماهر
قصار عن رضوان عن سقين عن ابن غازي والسراج يدني
محمد عن أبيه عن جده عيسى عن البلقيني قل من بعده
ابن الزبير عن أبي الخطاب عن أبيه عن صاحب الكتاب
ابن سعادة روى عن صدفي يروي عن الباجي عالي العرف
عن هروي مستملي عن فربري عن البخاري فأحفظه وأدري

قال: والجوسي في آخر البيت الثاني أحد أئمة الحديث.

والثالث بالسماع والإجازة: الشيخ **أبو عبدالله محمد بن عبدالسلام بناني** بسنده المتقدم إلى شيخ الإسلام زكرياء عن ابن حجر العسقلاني عن أبي الحسن بن أبي المجد الدمشقي عن أبي إسحاق التنوخي كلاهما عن أبي العباس أحمد بن أبي طالب الحجار عرف بابن الشحنة عن شيخ الإسلام الليثي وأبي عبدالله الحسين ابن أبي بكر الزبيري كلاهما عن أبي الوقت عبدالأول البحري عن أبي در الهروي وابن الحسن الداودي كلاهما عن أبي محمد عبدالله ابن أحمد بن حمويه السرخسي وأبي إسحاق البلخي المستملي وأبي الهيثم محمد المكي عن الفربري أبي عبدالله البخاري وهما من طرف ابن حجر أيضاً. ويرويه الشيخ بناني أيضاً عن الشيخ الصالح المحقق أبي علي الحسن اليوسي وعم أبي عبدالله محمد الفاسي قراءة عليهما في النسخة التي كتبها أبو عمران موسى بن سعادة بخطه وقرأ بها على صهره أبي الحسن علي الصدفي نحواً من ستين مرة وتولى تصحيحها أيضاً بعده والقراءة بها على الصدفي وكتب الصدفي بخطه الإجازة على ظهرها له ولد أخيه الإمام المحدث الصالح أبو عبدالله محمد بن يوسف بن سعادة وعليها أيضاً خط تلميذه أحمد بن واجب وكذا خط أخيه وخط ابن بقي القيسي وتداولتها أيدي العلماء بعدهم إلى هلم جراً. ونص على جودة صحتها غير واحد من العلماء كابن الأبار وابن خاتمة وغيرهما. وكان الشيخ أبو محمد عبدالقادر الفاسي يقول: «رواية ابن سعادة هذه أفضل من

الروايات التي عند الحافظ ابن حجر» لم يعثر عليها وهي المعتمدة عندنا بالمغرب وهي مسلسلة بالمالكية، كلاهما عن أبي القاسم محمد ابن أحمد الفاسي عن أبي المحاسن يوسف الفاسي عن الشيخ القاضي العدل أبي القاسم بن سودة المري عن أبي النعيم رضوان عن سقين عن ابن غازي السابق.

ويرويه أبو القاسم محمد الفاسي بالإجازة عن الشيخ القصار إجازة عن أبي العباس التسولي عن أبي العباس الدقون الصنهاجي عن أبي عبدالله المواق العبدري عن أبي عبدالله المنتوري القيسي عن أبي عبدالله بن جزي عن أبيه أبي القاسم بن جزي عن ابن الزبير عن أحمد بن واجب عن أبي عبدالله بن سعادة عن عمه أبي عمران موسى بن سعادة وعن الإمام أبي علي الصدفي إلى آخر السند. ويرويه بناني بسند أعلى من ذلك بكثير عن الشيخ الملا إبراهيم بن حسن الكردي الشهرزوري المدني عن صفي الدين القشاشي عن الشناوي عن القطب محمد بن أحمد المكي عن أبيه العلاء أحمد بن محمد المكي النهرواني عن الحافظ نور الدين أبي الفتوح الطاوسي عن الشيخ المعمر المعروف عند المشارقة بابا يوسف الهروي الملقب بيصد سأله عن المعمر محمد بن شاذ بخت الفرغاني عن ابن لقمان يحيى بن عمار شاهان الختلاني عن الفربري عن الإمام أبي عبدالله البخاري وكذا يرويه الملا إبراهيم عن شيخه المعمر الشيخ عبدالله الأهوري المدني عن قطب الدين المكي بالسند المذكور، وهذا السند الأخير يكون بين الشيخ أبي عبدالله التاودي رضي الله عنه وبين البخاري عشرة فتقع له ثلاثياً له بأربع عشرة واسطة وهو أعلى سند يوجد بهذا الوقت ويكون بهذا مساوياً لعشريات الإمام جلال الدين الأسيوطي الثلاثة رحمه الله. والرابع بالإجازة مع السماع لأوله الشيخ الصالح **أبو العباس أحمد بن عبدالله الغربي الرباطي** عن الإمام الأوحد أبي الحسن علي العكاري وصنوه الإمام المتبحر أبي العباس أحمد بن يعقوب الولالي كلاهما عن الشيخ أبي علي الحسن بن مسعود اليوسي عن ابن القاسم محمد بن أحمد الفاسي بسنده السابق. ويرويه الغربي أيضاً عن الشيخ سالم بن عبدالله بن سالم البصري عن والده

الشيخ عبدالله المذكور عن الشيخ أبي عبدالله محمد علاء الدين البابلي عن سالم السنهوري عن النجم الغيظي عن شيخ الإسلام زكرياء بسنده المتقدم، وأخذه أيضاً النجم الغيظي عن ابن الفرات عن محمود بن خليفة المنيحي عن الحافظ فخر الدين بن البخاري عن الشيخ عبدالرزاق الحنبلي عن أبيه القطب محيي الدين عبدالقادر رضي الله عنه عن أبي الوقت عبدالأول السجزي بسنده المتقدم. وأخذه أيضاً الشيخ عبدالله بن سالم البصري عن الملا إبراهيم الكردي بسنده السابق الذي لا أعلى منه لوقتنا.

الخامس بالإجازة والسماع لبعضه الإمام **أبو العباس أحمد بن عبدالعزيز الهلالي**، عن الشيخ الواصل أبي العباس أحمد الحبيب السجلماسي عن الشيخ الفاضل أبي المكارم أحمد بن إبراهيم بن أبي القاسم السجلماسي وهما عن الشيخ أبي مروان عبدالمالك التجموعتي السجلماسي عن قطب الدين محمد بن أحمد المكي النهرواني عن أبيه علاء الدين بسنده السابق. وعن الإمام الشريف أبي محمد عبدالسلام بن الطيب القادري الحسني عن الشيخ عبدالقادر الفاسي بسنده السابق. وأخذه ابن عبدالعزيز الهلالي أيضاً عن الشيخ أبي عبدالله محمد بن الشيخ الراوية حسن العجيمي المكي عن ولده الشيخ حسن بن علي العجيمي عن صفي الدين أحمد القشاشي عن الشناوي عن قطب الدين محمد المكي بسنده وأخذه أيضاً عن الشيخ الحفناوي عن الشيخين الأولين عن البديري الدمياطي عن الشيخ إبراهيم الملا الكردي بسنده. والثاني السيد عبيد النمرسي عن عبدالله بن سالم البصري بسنده السابق.

السادس إجازة وسماعاً لبعضه من قاضي الجماعة **أبو البقاء يعيش بن الرغاي** عن الشيخ الحافظ أبي عبدالله محمد بن أحمد الكماد القسنطيني الشريف عن الشيخ العلامة قاضي الجزائر الشريف أبي عبدالله محمد بن محمد بن عبدالمؤمن عن شيخ مصر على الإطلاق أبي الحسن علي الشبراملسي عن الشيخ إبراهيم اللقاني عن الإمام أبي النجاة سالم السنهوري عن النجم الغيظي بسنده السابق.

والسابع إجازة الشيخ **أبو بكر بن خالد الجعفري** المالكي المدني عن

الشيخ حسن العجيمي المكي بسنده عن الشيخ أبي علي الحسن اليوسي المغربي بسنده. الثامن بالإجازة ولده **أبو عبدالله محمد بن أبي بكر** عن والده بسنده. التاسع بالإجازة الشيخ **أبو الحسن علي السندي** المكي عن الشيخ حياة السندي عن سالم البصري بسنده. العاشر بالإجازة والسماع لأوله القطب **أبو عبدالله محمد بن عبدالكريم السمان** القرشي المدني عن علاء الدين المزجاجي الزبيدي عن الملا إبراهيم الكردي الشهرزوري بسنديه عن القشاشي وعن اللاهوري وهو أنزل مما لابن عبدالسلام بناني بواحد. الحادي عشر بالإجازة الشيخ العارف **أبو علي الحسين بن عبدالشكور البكري الطائفي** عن شيخه القطب عبدالله المرغني الطائفي عن القطب الأشهر مصطفى البكري عن البديري الدمياطي عن الملا إبراهيم الكردي بسنديه أيضاً. الثاني عشر بالإجازة الشيخ الإمام **أبو العباس أحمد الدمنهوري المصري** عن الشيخ أبي عبدالله محمد الشبرخيتي كلهم عن الشيخ علي الأجهوري بل السمهودي عن الأئمة الثلاثة المالكية: أبي عبدالله محمد الخرشي وعبدالباقي الزرقاني وأبي سالم إبراهيم الشبرخيتي كلهم عن الشيخ علي الأجهوري عن سالم السنهوري بسنده السابق عن شمس الدين محمد الشرنبابلي عن الشيخ نور الدين الشبراملسي عن البرهان إبراهيم اللقاني عن سالم السنهوري بسنده. الثالث عشر بالإجازة الشيخ الشهير إمام المالكية بمصر **أبو الحسن علي الصعيدي** يرويه بأسانيد أعلاها عن الشيخ محمد عقيلة قال: «أرويه بأعلى سند يوجد في الدنيا عن الشيخ حسن بن علي العجيمي عن الشيخ أحمد ابن محمد بن صدقة الدمشقي وغيره برواياتهم عن الشيخ عبدالرحمٰن ابن عبدالرحمٰن ابن عبدالأول الفرغاني وكان عمره مائة وأربعين سنة وهو ممن يجتمع بالخضر عليه السلام، وأجازه في سنة عشرين وسبعمائة، وقد قرأ البخاري على أبي عبدالرحمٰن محمد بن شاذ بخت الفارسي الفرغاني بسماعه لجميعه على الشيخ أحد الأبدال بسمرقند أبي لقمان يحيى بن عمار بن مقبل بن شاهان الختلاني وكان عمره مائة وثلاثة وأربعين سنة وقد سمعه جميعه عن محمد بن يوسف الفربري عن جامعه الإمام محمد بن إسماعيل. قال الشيخ العصيدي: وصدق الشيخ عقيلة رحمه الله فإنه لا يوجد سند في هذا الزمان أعلى من هذا السند هكذا في

الفهرسة للشيخ رضي الله عنه. وقال إنه يجب كتبه وينبغي الوقوف عليه لمزيد علوه وغربته».

قلت: وهذا السند نفسه هو السند الأخير لابن عبدالسلام بناني في عدد رجاله وغالب أسماء رجالهم إلا ما كان من اختلاف الرجال قبل ابن شاذ بخت الفرغاني وتقدم أنه أعلى ما يوجد في الوقت. وللشيخ الصعيدي طرق أخرى مسلسلات منها بالمالكية ومنها بالشافعية ومنها بالحنفية ومنها بالمحمدين تركناها اختصاراً. الرابع عشر بالإجازة الشيخ الكامل سلالة الأخيار **أبو زيد عبدالرحمٰن بن المصطفى العيدروسي** الحسني اليمني المصري عن الشيخ أبي عبدالله الحفناوي عن البديري والشيخ السيد عبيد النمرسي بسنديهما المتقدمين. الخامس عشر إجازة الشيخ **عيسى الشبراوي** المصري عن الحفناوي أيضاً. وبقي ممن أجاز الشيخ رضي الله عنه إجازة عامة في البخاري وغيره أربعة: **اثنان** من أهل الحرمين وهما: الشيخ الغريق في الوحدة **أبو زيد عبدالرحمٰن بن أسلم الحسني**، والشيخ المنعزل عن الخلق **أبو إسحاق إبراهيم أسعد**. **واثنان** مصريان: الشيخ **حسن الجبرتي الحنفي** والشيخ **أبو البركات المقدسي** لم أقف لهم على طريق في شيء من هذا إلا ما للأخيرين في فقههما وسيأتي في محله إن شاء الله. وأما الشيخ أحمد الجوهري فتقدم ما يقتضي أنه لم يتيسر له معه أكثر من اللقى والتبرك من غير إجازة لمزاحمة السفر. ولما رجع الشيخ رضي الله عنه من الحجاز توفي بالفور من مقدمه. وأما الشيخ محمود الكردي فلم يكن له كبير رواية في العلوم الظاهرة فمن ثم لم يصرح بالأخذ عنه إلا بالمصافحة والمشابكة والمشاركة في العهد. وأما الشيخ أحمد الفيومي فإنما كان انتفاعه منه في الباطن وإلا فقد تخلى عن الرواية وأهلها. والله يرشدنا إلى طريق الخيرات بمنه وكرمه. وله رضي الله عنه رواية لبعض أحاديث صحيح البخاري عن النبي ﷺ بلا واسطة وهي إحدى مراويه وذلك حديث صلاته ﷺ على عبدالله بن أبي وما قاله عمر بن الخطاب رضي الله عنه للنبي عليه الصلاة والسلام وما أجابه به النبي ﷺ حتى نزل ولا تصل على أحد الآية فإنه يرويه عن النبي ﷺ بلفظ البخاري رضي الله عنه فيا ما أشرفه سنداً وأقواه عدداً.

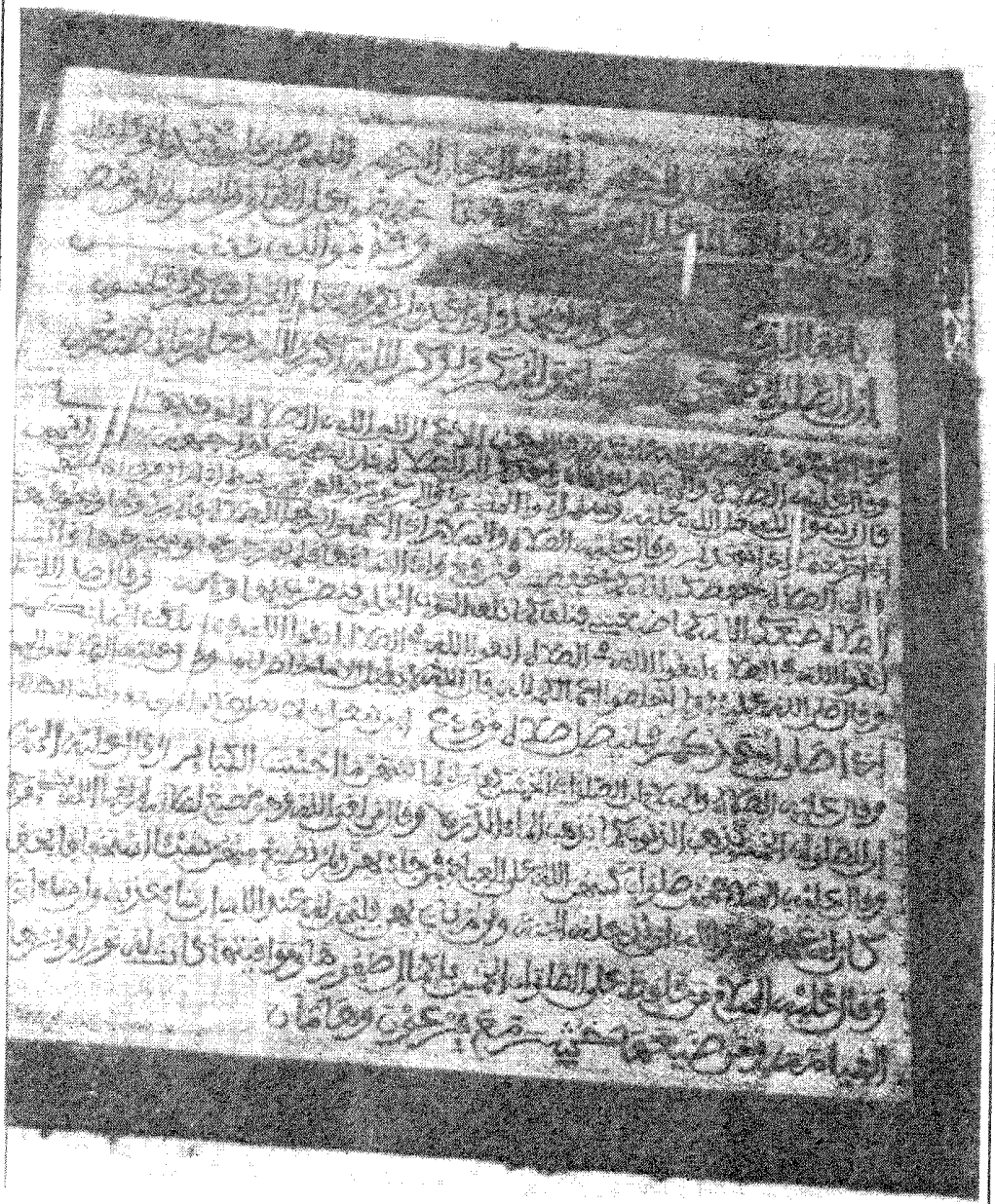

اللوحة الرخامية بترجمة الشيخ التاودي ابن سودة الموجودة داخل ضريحه.

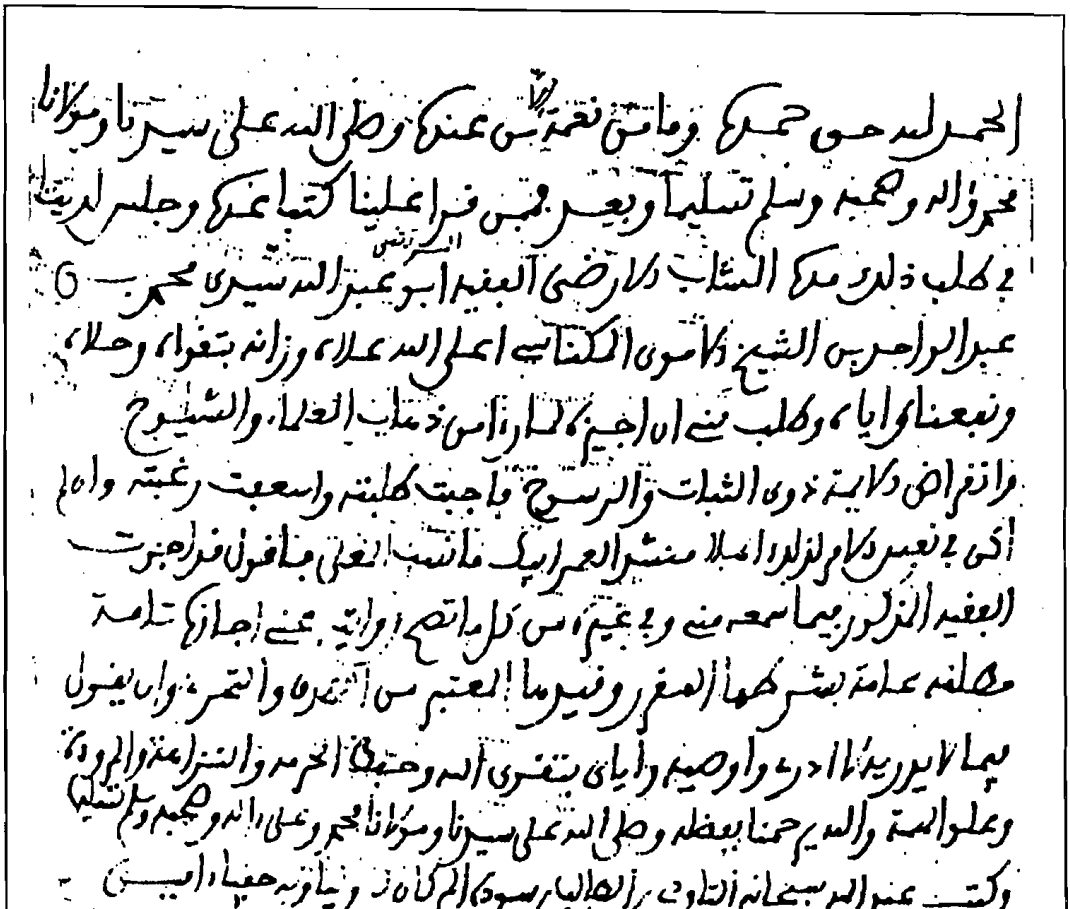

نموذج من خط التاودي ابن سودة.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

١٦ ـ ولده: أحمد ابن التاودي ابن سودة (المتوفى سنة ١٢٣٥هـ)

ومنهم: ولده الأكبر، وبدر حالته الأنور، الإمام العالم العلامة، المشارك القدوة الفهامة، السيد الأعمد، والهمام العلم الأوحد؛ أبو العباس سيدي أحمد بن سيدي التاودي ابن سودة المري الأندلسي الفاسي.

ولد ـ رحمه الله ـ سنة **١١٥٣**هـ.

يقول عنه سليمان الحوات في (الروضة المقصودة والحلل الممدودة في مآثر بني سودة)[١].

«نشأ في عفة وصيانة يسمو به شمم همته إلى أشرف مكان لا يلاعب الصبيان في ملعب، ولا يخالطهم في غير مكتب، صانته أصالة الرأي عن الخطل. وحاشته فضيلة العقل أن يرعى مع الهمل، مقبلاً على ما يعنيه، مشتغلاً ببيت مجده مقتفياً أثر أبيه، قائماً على قدم الجد في التعليم بذهن نبيه. فحفظ القرآن حفظ تجويد وإتقان، ثم أخذ في الاعتناء بالمتون على حسب المتداول بين الناس في الفنون، وأجلسه أبوه رضي الله عنه بين يديه للتعليم، في مبادئ العلوم التي يجب لها التقديم، إلى أن فتح له الباب، وكشف عن فكره الحجاب، ولما آنس منه النجابة، ورآه سابقاً في مجال

(١) ج٢/٧٠٨، ٧٠٩.

الإصابة، دفعه لأندية أفاضل تلامذته ممن يحسن التعبير في فصل مخاطبته:

كشيخنا العلامة الحجة الحافظ أبي عبدالله محمد بن الحسن بناني، والحبر الحكيم المتفنن أبي فارس عبدالعزيز بن عبدالسلام الزرقاني المصمودي الوزاني، والفقيه العلامة الدراك أبي عبدالله محمد بن عبدالرحمٰن التلمساني. فقرأ عليهم قراءة انتفاع، ما أوجب له على الأقران الارتفاع، وتمت به ملكة الاقتدار، في أسواق العلوم على الاقتناء والادخار، فشمر حينئذ عن ساق الجد والعناية للتحصيل على جهة الجمع بين الدراية والرواية، وحل من مجلس أبيه رضي الله عنه محل الإثمد من العيون، كاشفاً بأنوار أبحاثه عن السر المصون، ملازماً له ملازمة العرض للجوهر، ليستعذب من الحقيقة كل مورد ومصدر، بذهن أمضى من الصارم المسلول، في جملة من أوضاع المعقول والمنقول، لم يتخلف عن شيء من دروسه غفلة أو سنة مدة من نحو ثلاثين سنة. وأخذ عنه أكثر الفنون التي تقدم ذكرها، وطاب من مسك إقراءها مدة حياته نشرها، من تفسير، وحديث، وفقه، وأصول، وكلام، ومنطق، وبيان، ونحو، وتصريف، وتصوف وغيرها. فقرأ عليه **مختصر** خليل نحو سبع مرات، كان هو القارئ في أكثرها، وسمع عليه **صحيح** البخاري نحو عشر مرات من أوله إلى آخره، كان هو المملي في كلها، أو جلها بعبارة تنسجم إعراباً وبياناً، كأنما ينفث سحراً أو تنثر جماناً، وفهم بلغ في مسالك الإدراك أقصاها وحفظ لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، ووجهة الأسرار كالمغناطيس تجذب النفع الظاهر والباطن، وتكشف عما كان من الأصغار اللدنية كالكنز الكامن. وكان ربما طمحت نفسه للأخذ عن غير أبيه رضي الله عنه ممن في طبقته».

يقول الحافظ محمد بن جعفر الكتاني في (سلوة الأنفاس) ١٢١/١:

ثم لما تأهل للأخذ عنه، والانتفاع به؛ أذن له والده في التدريس؛ فدرس وأفاد، وتصدى لنفع العباد، وانحشر إلى مجلسه أكابر طلبة فاس، وأخذوا عنه، وانتفعوا به، وأقامه والده لما أراد السفر للحج، سنة إحدى وثمانين، مقامه في إقراء صحيح البخاري، في الأشهر الثلاثة، وأمر

أعيان مجلسه ونجباءه أن يحضروا مجلسه للسماع منه، والقراءة عليه، فحضروا حضور استفادة، وأيقنوا معه أنه من أولي التحصيل والإجادة.

وكان ـ رحمه الله ـ قد خطب في حياة أبيه بالسلاطين، فوجدوا منه في الوقت ما تجدونه من أفاضل الوعاظين، وسلم له في وقته قلم الفتوى، فيما يعرض من نوازل الدعوى، مع المهارة في صناعة التوثيق، والسير في إظهار الحق على مثلى الطريق، في خط رائق، ولفظ فائق.

وتولى خطة القضاء آخر الدولة المحمدية وصدراً من المملكة اليزيدية، بفاس الإدريسية مرة، وأخرى بالمرينية، وكان السلطان أبو عبدالله سيدي محمد بن عبدالله رتب له في الولاية الأولى بفاس الإدريسية مرتباً لم يعهد مثله لغيره، ولما بويع السلطان مولانا سليمان استأنف له ولاية لم ير الراؤون مثلها، إذ كان دون غيره أحق بها وأهلها، مفوضاً له بالنظر في جميع القضاة، يفعل فيهم ما شاء من نفي وإثبات، فأحسن السيرة في الناس، لا يعدل في الحكم عن النص أو القياس.

وكان شديد التعظيم للشريعة، عظيم الصولة في سد الذريعة، لا يداهن ولا يرائي، ولا يخشى إلا سطوة الباري، ولم يشغله ما كان يعانيه من فصل الدعاوي بين الخصوم ـ على كثرتها ـ عن تدريس العلوم، ولا عن الأوراد والأذكار، التي كان يذكرها في الليل والنهار، وكان قد أسند إليه والده ما عهد له به أشياخ الطريقة الناصرية من تلقين أورادها، ثم جدد له الإذن بذلك شيخ تلك الطريقة: الشيخ الصالح أبو الحسن علي بن يوسف ابن ناصر الدرعي التمجروتي.

وله ـ رضي الله عنه ـ أجوبة حسنة في مسائل عديدة من أبواب الفقه وقفت عليها؛ ومن المفاخر التي لا زال يذكر بها: أنه لما ضعف بصره عاده السلطان أبو الربيع مولانا سليمان بن محمد العلوي بزاوية والده تعظيماً له وللعلم الشريف الذي قام به.

* * *

[وصية الشيخ التاودي ابن سودة لابنه أحمد]

«الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله. ولدنا الأعز زانك الله بتقواه، ومتعنا وإياك برضاه، وأعطاك من الخير كل ما تتمناه. وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد، فلتكن همتك في الله وثقتك به، ورجاؤك فيه، ومعولك عليه، ولتذكر بحمدك، وليكن على ذكرك ما علمه السرى لولد أخته: الله معي، الله ناظر إلي، الله شهيد علي، يقول ذلك بقلبه دون حركة لسانه. ولا شك أن من كان بهذا الحال محفوظ وملحوظ والله يتولى هداي وهداك ويصلح الأولاد بمنه والسلام».

نفعنا الله وإياه بهذه الوصية وبلغنا من بركتها غاية الأمنية، وختم لنا جميعاً بما ختم به لأوليائه الأبرار، بحق الواسطة العظمى نبينا محمد المختار، صلى الله عليه وعلى آله بدءاً وعوداً، صلاة تكون لنا ذخيرة وورداً.

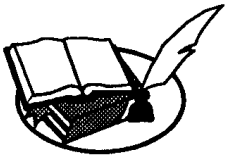

المهدي ابن سودة
(المتوفى سنة ١٢٩٤هـ)[1]

قال عنه الحافظ محمد بن جعفر الكتاني في (سلوة الأنفاس):

ومنهم: شيخ شيوخنا الإمام الماهر، العلامة الباهر، الطود الأمجد، والهمام الأصعد، حامل ألوية التحقيق، وسالك سبل التدقيق، قاضي مكناسة الزيتون ونواحيها، الحاج الأبر؛ أبو عبدالله سيدي محمد ـ المدعو: المهدي ـ ابن الطالب ابن سودة المرّي.

ولد ـ رحمه الله ـ سنة عشرين ومائتين وألف، وكان فقيهاً محدثاً أصولياً بيانياً، منطقياً نحوياً مشاركاً، درس فأفاد، ونفع العباد، وكان بديع الدقائق والفهومات، غريب الأبحاث والإشكالات، مع اتساعه في العلم وتبحره والغوص على نفائسه وإشاراته، وتدبره.

وألف تآليف عديدة؛ منها «حواش على مختصر السعد»، وأخرى على «المحلي» على «جمع الجوامع»، وأخرى على «شرح السُّلم» للعلامة بناني، وأخرى على «الخرشي»... وتقاييد كثيرة في أوضاع مختلفة.

وكان أخذه بفاس عن سيدي عبدالسلام الآزَمي، وسيدي علي بن إدريس قصارة، قرأ عليه النحو والحساب والعروض، وسيدي بدر الدين

(١) ١/٣٤٤.

الحمومي، وشيخ الجماعة سيدي محمد بن عبدالرحمٰن الفلالي... وغيرهم.

وذكره العلامة النقيب عبدالرحمٰن بن زيدان في (إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس)[1].

«شيخ الإسلام؛ وحجة الأنام؛ بحر علم زاخر لا تكدره الدلاء؛ ولا يدرى له أول ولا آخر بين السراة الألباء؛ إمام الفقه والحديث والسير والأصول والفروع متفرد في المعقول والمنقول ذو عارضة طويلة عريضة وأبحاث دقيقة ومشاركة كاملة في سائر الفنون ضابط متقن راوية ذرب اللسان؛ ثبت الجنان؛ سياسي ماهر مطلع خبير بصير بالعواقب حامل لواء التحقيق في زمانه، مشار إليه بالبنان بين أقرانه؛ درس العلم بأقطار المشرقين والمغربين فأجاد وأفاد؛ وخلد الثناء عليه في الأغوار والأنجاد؛ وكان شيخ مجلس السلطان العادل سيدنا الجد مولاي عبدالرحمٰن ابن هشام ثم السلطان سيدي محمد ثم السلطان مولاي الحسن في صحيح البخاري في الأشهر الثلاثة رجب وشعبان ورمضان.

رحل إلى الحج ثامن ربيع النبوي عام تسعة بتقديم المثناة وستين ومائتين وألف فحج وزار؛ ولقي هنالك جماعة من الفضلاء والأخيار؛ ودرس بمصر والحرمين؛ وأُقر له بالفضل والتقديم دون مين؛ ووقع له هنالك ظهور كبير؛ أخبر به الجم الغفير، وقد مدحه غير واحد من أعلام تلك الأصقاع فمن ذلك ما مدحه به الشيخ إبراهيم بن سراج الدين الإسكندراني وذلك في ٢٥ ربيع الثاني عام ١٢٧٠ من جملة قصيدة طويلة:

فسبحان من أَمضى على الجور حكمها ... وجدد بالمهدي ما كان أخلقه
همام له في صولة البحث مدرك ... به أنطق الدين الحقيق ومنطقه

وما مدحه به الشيخ حسن بن الحاج علي اللقاني في جمادى الأولى عامه:

---

(١) ٤/٣٥٨، ٣٥٩.

أفاتكة الألحاظ مائسة القد أضلتك عن نهج الهداية والرشد

إلى أن قال:

أم الدين والدنيا أشارا وأشرقا فهل هذا روح الله أم قدم المهدي
همام له في الفضل والعلم والعلى خصائص قد جلت عن الحصر والعد
هو البحر بحر العلم والحلم والتقي وكشاف ما تخفي العبارة عن قصد

وهي طويلة طنانة مثبوتة بخطه في كناشته كسابقتها ولاحقتها.

وما قاله في حقه الشيخ محمد محمود أفندي الإسكندراني من قصيدة رائقة طويلة:

إن يكن في الهوى صدودك حظي لا تدع للوشاة منك نصيبا
خل قوماً هم الغواة فإني قد رأيت المهدي فينا قريبا
قام فينا للدين ركناً حصيناً وتخلى للعلم صدراً رحيبا
قرشي عنه سمعنا حديثاً فرأينا من الحديث عجيبا

ثم رحل ثانية إلى الحج في معية أنجال السلطان المقدس مولاي عبدالرحمٰن وهم موالينا علي وإبراهيم وجعفر وعبدالله وابن عمهم أبو بكر ابن عبدالواحد بن محمد بن عبدالله فبارحوا مكناسا يوم الاثنين خامس رمضان من عام ١٢٧٤ ودخلوا مصر في ١٢ شوال وخرجوا منها في تاسع ذي القعدة فدخلوا مكة يوم الجمعة ١٧ قعدة ودرس بها قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الحج: ١٤] الآية ووقف على قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الحج: ٣٨].

ترجم له تلميذه العلامة محمد بن قاسم القادري في (إتحاف أهل الدراية بما لي من الأسانيد والرواية)[1].

(١) ص٧٦ [بتحقيقنا ـ طبعة دار ابن حزم].

«ومنهم شيخُنا الإمام الأشهر، والعلاَّمة الأبْهَر، الطود الأمجد، والهمام الأصعد، حامل ألوية التحقيق، وسالك سُبل التدقيق...».

وقال أيضاً: «وكان رحمه الله فقيهاً محدِّثاً أُصولياً بيانياً منطقياً، نحوياً مشاركاً، درَّس فأفاد، ونفع العباد، بديع الدقائق والفُهُومات، غريب الأبحاث والإشكالات».

وقال عنه تلميذه العلامة أحمد بن الخياط الزكّاري في (فهرسته)[1]:

«ومنهم: الإمام الماهر، العلاّمة الباهر، البدر الأسمى، والذخيرة العظمى، الحائز قصب السبق في المنقول والمعقول، المحصل ما لم يفز به سوابق الفحول».

كما أثنى عليه تلميذه العلامة جعفر بن إدريس الكتاني في (إعلام أئمة الأعلام وأسانيدها بما لنا من المرويات وأسانيدها)[2]:

«الإمام الماهر، العلامة الباهر، البدر الأسمى، والذخيرة العظمى، الحائز قصبات السبق في المنقول والمعقول، الفائز بما لم يحم حوله سوابق الفحول، الكثير التحصيل والتحرير، الواضح التعبير، ذو المرتبة السنية، والطلعة البهية، والأخلاق المرضية».

ثم قال: «كان رحمه الله، بديع الدقائق والفهومات، غريب الأبحاث والإشكالات، مع اتساع باعه في العلم وتبحّره، والغوص على نفائسه وإشاراته وتبصّره، إلى حسن العبارة وتنميقها، وتلخيص مهمات العلوم وترتيبها، والإفادة والتحقيق، والإجادة والتدقيق».

قال الحافظ محمد بن جعفر الكتاني[3]:

وكان يقرأ البخاري في الأشهر الثلاثة مع السلطان مولانا عبدالرحمٰن،

---

(١) ص١٦٤ [بتحقيقنا ـ طبعة دار ابن حزم].
(٢) ص١٨٣، ١٨٤ [بتحقيقنا ـ طبعة دار ابن حزم].
(٣) سلوة الأنفاس ٣٤٤/١.

ثم مع ولده السلطان سيدي محمد، ثم مع ولده السلطان مولانا الحسن، إلى أن توفي في حياته بفاس عشية الخميس رابع رمضان، وصلي عليه من الغد بعد صلاة العصر بجامع القرويين سنة أربع وتسعين ومائتين وألف، ودفن برحبة الزبيب بمحل اتخذ له زاوية بين مسجد العقبة الزرقاء المعلق الأسفل، والمكتب الكائن أسفل منه.

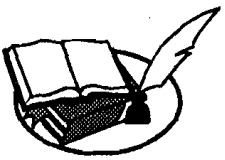

أبو العباس أحمد ابن سودة
(المتوفى سنة ١٣٢١هـ)

خاتمة المحدثين والمدرسين لصحيح الإمام البخاري بهذا الكرسي المبارك بجامع القرويين بفاس وإليك ترجمته بقلم ولده العلامة العابد بن أحمد بن الطالب ابن سودة[١] من خلال كتابه (الأنباء المنشودة بمآثر بني سودة) ـ وهو مخطوط ـ يسَّر الله طباعته ونشره ثم ترجمته بقلم تلميذه العلامة محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي الفاسي من خلال كتابيه: (الفكر السامي) و(مختصر العروة الوثقى في مشايخ أهل العلم والتقى).

---

(١) هو العابد بن أحمد بن الطالب بن محمد بن سودة، العلاَّمة المشارك الخطيب الفصيح المطلع، أول شيوخه والده شيخ الإسلام أحمد بن الطالب، وعمه العلاَّمة المحقق المهدي بن سودة، والفقيه النوازلي أبو بكر بناني وغيرهم.

زاول مهنة التدريس قليلاً، وعين سارداً ثانياً للحديث بمجلس السلطان المولى الحسن حين كان يرأسه والده، ثم الوعظ بمسجد الأندلس، ثم عيَّنه السلطان المولى عبدالحفيظ قاضياً بالجديدة، واستعفي عام ١٣٣٠هـ، فرجع إلى خطابته وإمامته بالحرم الإدريسي، وانكب على التأليف.

من مؤلفاته:

ـ تراجم رواة الكتب الستة.

ـ مسامرة الأعلام وتنبيه العوام بكراهية القيام لذاكر مولد خير الأنام.

ـ الأنباء المنشودة في رجال بيت بني سودة، وغير ذلك من المؤلفات توفي رحمه الله سنة ١٣٥٩هـ. انظر: (سل النصال) ص٩١.

لعابد ابن سودة (جالس) وخلفه عبدالسلام بن عبدالقادر بن سودة.

ترجمة أحمد ابن الطالب ابن سودة

١ بقلم ولده العابد بن سودة

الفصل الخامس من المقصد الخاص من النسمات الندية من رشحات رجال الشعبة السودية في التعريف بالغصن الخامس من دوحة العالم العلامة الفرضي سيدي محمد الطالب بن سيدي محمد بن سيدي محمد الولي الصالح دفين وزان أبي العباس أحمد ابن سودة المري القرشي الذي هو سيدي ووالدي والملاذ الذي عليه اعتمادي بعد خالقي ورازقي قيد حياته وبعد وفاته العالم العلامة النحرير المحدث المشارك الشهير: أبو العباس سيدي أحمد بن سيدي محمد الطالب ابن سودة ـ المتقدم الذكر القائل في حقه مترجماً له صاحب «روضة الأكياس» بعدما ترجم رجال معدودة على بساط عمود نسبه بما نصه عاطفاً له على ما قبله حيث قال:

وأما أبو العباس من فضله شائع ... إمام علوم عالم بن عالم
له اليد في علم الحديث طويلة ... كبحر لذو العلم للناس ناظم

قلت: المتزايد كما بخط والده في كناشه ونصه:

الحمد لله حق حمده والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه وبعد؛ فقد مَنَّ عليَّ مولانا جلَّ علاه بمولود ذكر في ليلة الثلاثاء تاسع وعشرين رجب الفرد الحرام من عام إحدى وأربعين ومئتين وألف،

وسميته أحمد أنبته الله نباتاً حسناً، وأن يجعله من العلماء الأعيان الذين يقتدى بهم في كل زمان وطوداً شامخاً يهتدى به كل مضل حيران، وسراجاً مضيئاً يسعى لضوئه أهل كل القرى والبلدان، وأن يجعل مقامه من بين أهل العلم مقام الغزالة وقت الاعتدال، ينصلح به حال كل من زاغ ومال، متابعاً للسنَّة في كل أطواره، متمسكاً بنهجها في كل إعلانه وإسراره بجاه نبينا سيدنا محمد وآله وأنصاره.

نشأته وشمائله ومآله:

نشأ والله يرحمه في حجر أمه ربيعة زمانها السيدة فاطمة بنت الفقيه سيدي عبدالكريم القرميدي الأندلسي المتقدمة الذكر، ثم توفي والده عقب ولادته بما يقرب من السنة وتركه في حجر أمه المذكورة إلى نظر أخيه شقيقه أبي عبدالله سيدي محمد المتقدم الذكر بإيصاء من والده، فربته أمه تربية عزّ وفخار، وتبجيل وتعظيم لمن لم يذق مرارة اليتم ولا إهانته مع ما كان عليه من الفطنة والنباهة التي جلبت إليه قلوب كل قرابته بالمحبة والقبول الدالة على ما له عند الله في أزله حسبما أخرجه الإمام مسلم وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه أن مولانا رسول الله ﷺ قال: «**إن الله إذا أحب عبداً دعا جبريل وقال له: إني أحب فلاناً فأحببه فيحبه جبريل ثم ينادي جبريل في أهل السماء: إن الله يحب فلاناً فأحبوه، فيحبونه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض**».

ثم لما بلغ سن التعليم وفرق بين الشمال واليمين، صار يعرب عما في طبيعته من الفصاحة والنباهة، صارت أمه تنبهه وترشده إلى التشبه بإخوته وما لهم من التؤدة والانكباب على العلم بجد واجتهاد، والمذاكرة في غضونه بكل مجلس وناد، بعدما تذكر له فضيلة العلم وفضيلة أهله إلى أن ارتسم في مخيلته محبة العلم وتعلمه، فصرفته إلى المكتب وصار يغدو إليه نشطاً ويروح فرحاً مسروراً مع ضبط أحواله، وهي ساهرة العين في مراعاة شؤونه وأفعاله مع ما هو في طبيعته من الحذاقة والنباهة إلى أن حفظ القرآن، فصرفته إلى كلية القرويين لتلقي العلوم وأخذها، وألزمته أن لا يرافق

فيها من الطلبة إلا من يماثله حسباً ونسباً. قد اشتهرت نجابته، وظهرت عليه شيمة محاسن الأخلاق والحياء والتؤدة والوقار فعند ذلك عقد النية على ما ألزمته إياه لاشتماله على صلاح دينه ودنياه حسبما شافهنا به والله يرحمه، ثم اعتمد على الله في نجاح سعيه، وبلوغ أمله، وصار إلى القرويين قاصداً مجلس أخيه أبي حفص سيدي عمر في الفقه والمنقول، ومجلس أبي عيسى سيدي المهدي في كل الفنون، فكان من قدر الله الذي إذا أراد شيئاً هيأ له أسبابه كان جلوسه في أول يوم دخل فيه للقرويين بقصد تلقي العلوم بإزاء الشريف أبي محمد مولاي عبدالله بن العلامة الأستاذ سيدي إدريس البدراوي الودغيري فكان ذلك هو السبب في التعارف بينهما المنتج للإيخاء والائتلاف إلى أن امتزجت محبتهما امتزاج الروح بالجسد، وصار كل منهما يقوي صاحبه على المثابرة في قصدهما ويرى فضله ومنته في إخلاص محبته بعد الاختبار والامتحان، والمحبة لا تزيد إلا نمواً وإيضاحاً ثم صارا يترددان على مجالس الأعلام الجهابذة الكرام بمدينة فاس لاقتطاف أزهار حدائقهم، وثمار أغصان أفكارهم المنحصر عددهم في أحد وثلاثين رجلاً ما بين حاضرة فاس وتونس والمدينة المنورة حسبما هو بخطه في عدة من كنانيشه وبظهر بعض كتبه الحديثية، وما أخذه من الفنون عن كل واحد باسمه وملازمته لدروسه الجاعل في أولهم أمه المتقدمة الذكر التي هي فاطمة بنت الفقيه ناظر الأحباس بمدينة فاس المثري الشهير سيدي الحاج عبدالكريم القرميدي الأندلسي، المرشدة له إلى محاسن الأخلاق والتؤدة والوقار وآداب المعاشرة مع الأقارب والجوار، والاقتصاد في أمور دنياه وبسط المائدة والسخاء، مبرهنة له بقوله جلَّ عُلاه: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾ [الإسراء: ٢٩] فخير الأمور أوسطها.

ثم أخوه شقيقه ووصي أبيه إياه عليه الذي هو معتمده في حفظ القرآن بحرف ورش، ومبادئ العلوم عربية وصرفاً ولغة، ورجز ابن عاشر من أوله إلى آخره.

وعن الأستاذ سيدي الحسن المدعو كنبور اللجائي المتوفى سنة اثنين وستين ومئتين وألف، وسيدي الحاج المعطي التادلي المتوفى سنة

اثنين وستين ومئتين وألف، وقد عرف به صاحب «السلوة» تعريفاً حسناً، ثم أخوه أبو عيسى سيدي المهدي الذي فتح في وجهه أقفال سائر العلوم، وكشف له عن كنوز خباياها من غير استثناء إلى أن صار كل ما يسمعه من غيره إنما هو تأكيد وتعضيد لها، إذ العبارات تختلف باختلاف الأذواق وإلا فلا شيء، بل فالشيء المطلوب واحد.

ثم أخذ يذكر أسماء من أخذ عنهم التفسير (منهم): الشريف العلامة الصوفي المربي سيدي محمد الحراق الفاسي ولادة ومنشئاً التطواني استيطاناً المتوفى سنة أحد وستين ومئتين وألف بمدينة تطوان وأقبر بها رحمه الله. ثم أخوه أبو عيسى سيدي المهدي.

وأما الحديث فقد أخذه عن عدة من رجاله المشاهير الفضلاء الأكابر الذين منهم أخوه أبو عيسى المذكور، ومنهم العلامة سيدي أحمد الشهير بو نافع ابن محمد بن عبدالقادر بن أحمد بن علي بن صالح بن أحمد البدوي ابن نافع المتزايد سنة تسعة وسبعين ومئة وألف، المتوفى سنة ستين ومئتين وألف.

وعن العلامة الشريف سيدي الوليد بن العربي العراقي إمام الروضة الإدريسية وخطيبها المتزايد عام تسعة ومئتين وألف المتوفى سنة خمسة وستين ومئتين وألف. كما أخذه بالإسكندرية عن العلامة سيدي مصطفى بن محمد المالكي الجزائري المنشأ الإسكندري الشهير بالكبابطي وأجازه بما نصه:

الحمد لله كما ينبغي بجماله والصلاة والسلام

على سيد العالمين وإمام المرسلين سيدنا ومولانا محمد وآله وعلى آله

وكل من تمسك بأذياله. وبعد فقد رويت الجميع الصحيح للإمام

أبي عبد الله سيدي محمد بن إسماعيل البخاري رضي الله عنه ونفعنا

ببركاته، أخبرني عن شيخنا وشيخ مشايخنا العالم العلامة الفرد

المتقن الحجة الصالح المبارك المسكاك الشيخ علي بن عبد القادر

التلمساني بالجزائر المحمية وصرح لي عن الشيخ علي بن مكرم العدوي

الصعيدي المصري عن شيخه العلامة أبي عبد الله محمد عقيلة

المكي المصري عن شيخه الشيخ حسن بن علي العجيمي المصري

المكي عن الشيخ أبي الوفاء أحمد بن محمد المحلي اليمني بن عجيل المكي

المكي عن الإمام يحيى بن مكرم الطبري قال أخبرنا البرهان إبراهيم

بن محمد بن صديقة الدمشقي وغيره بسنده وابتدع عن الشيخ عبد

الرحمن بن محمد بن سنبل بحق البخاري عن أبي عبد الله بسماعه جميعه على

الشيخ أحمد الزبادي بسنده إلى الفقيه تحيى بن عمار بن عقيل بن

منصور الحنكاري وكان عمره مائة وثمانية وأربعين سنة وقد

سمعه بجميعه على أبي عبد الله محمد بن يوسف بن مكي بن صالح

الصنهاجي قال أخبرنا أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم

بن المغيرة الجعفي البخاري المولود سنة مائة وأربع وتسعين

المتوفى رحمه الله ليلة عيد الفطر سنة مائتين وستة وخمسين

رحمه الله ورضي عنه ونفعنا ببركاته وأوجز علينا من علومه

وأنواره. ولما كان السند من خصوصية هذه الأمة جعلنا الله

ممن اتصل بعيس الرحمة واعتصم بحبل المتابعة والاستقامة ثم

صورة إجازة مصطفى بن محمد المالكي الجزائري لأحمد بن سودة

لمولانا السيد الشريف الورع الزاهد ذا الفضائل المشهودة
السيد أحمد بن الكاظم بن محمد يعرف بابن سودة نماه الله تعالى
المولى جل جلاله عليه ممدودة كلما فتنا الاجازة وان كنت لست
باهل لذلك لكني العمل بالنية واجبتك الى ذلك واجزتك بالاجازة
العامة بجميع ما يصح لي قراءة وروايةً وناولتك الكتاب وقرأته وانت
اسمع كما صنع معي استاذي لتحقيق الاجازة كما علمتك قراءة ولبعض
الاجازة مع المناولة وعليه بتقوى الله في السر والعلانية والدعاء
لنا ولسائر المسلمين. والحمد لله رب العالمين من الوانا بالحمد
عبده محمد بن احمد المالكي الجزائري المنشأ الاسكندراني المرتحل
وفقه الله بمنه وامين بجاه عشر ربيع الثاني سنة اثنتين وستمائة وألف
وثمانية وستين هـ

كما أجازه بل أخذه من العلامة الشريف إمام الحرم الإدريسي وخطيبه مولاي أحمد بن المهدي العراقي المتوفى عام ستة وثمانين ومئتين وألف.

كما أخذ الإمام مسلم والشمائل عن أخيه أبي عيسى، وأخذ الشفا عن العلامة سيدي العباس ابن كيران المتوفى في خامس قعدة عام إحدى وسبعين ومئتين وألف.

كما أخذ الفقه وأحكام النوازل عن عدة من الأفاضل منهم شيخ الجماعة العلامة سيدي محمد بن عبدالرحمٰن السجلماسي الفلالي الحجرتي المتوفى صبيحة يوم الجمعة سبع عشرة محرم الحرام فاتح خمسة وسبعين ومئتين وألف من أوله إلى آخره، كما أخذ عنه الرسالة. كما أخذ الفقه عن أخويه أبي حفص وأبي عيسى وعن الفقيه العلامة سيدي أبي بكر بن الشيخ الطيب ابن كيران المتوفى عام إحدى وسبعين ومئتين وألف، وعن الفقيه سيدي الطالب بن عبدالرحمٰن السراج المتوفى سنة أربعة وستين ومئتين وألف، وعن العلامة القاضي سيدي الطالب ابن حمدون ابن الحاج السلمي المتوفى عام ثلاثة وسبعين ومئتين وألف، كما أخذ الفرائض والتركات عن العلامة المحقق المسن البركة ملحق الأبناء بالجدود الشريف الحسني سيدي بدر الدين الحمومي المتوفى سنة ستة وستين ومئتين وألف. كما أخذ السنوسية عن العلامة الشريف سيدي عبدالسلام بن الطائع بن حم بو غالب الحسني المتوفى في قعدة الحرام عام تسعين ومئتين وألف، كما أخذها عن شقيقه أبي عيسى المتكرر الذكر، وأخذ ـ والله يرحمه ـ النحو والأصول عن عدة من أفاضل رجاله ما ينيف عن العشرين الذين هم إخوة شقيقه أبو عيسى المذكور ومنهم: العلامة سيدي محمد بن أحمد المرنيسي الشهير الذكر المتوفى سنة سبعة وسبعين ومئتين وألف. ومنهم العلامة الشريف سيدي محمد بن عبدالقادر الكردودي الحسني المتوفى سنة أربعة وستين ومئتين وألف. ومنهم العلامة سيدي الوليد بن العربي العراقي الحسني المتقدم الذكر، ومنهم العلامة سيدي محمد بن عبدالله المجاوري المتوفى بثغر طنجة سنة ستين ومئتين وألف وأقبر بها. ومنهم الشريف العلامة سيدي

عبدالسلام بن الطائع بن حم بو غالب المتقدم الذكر، ومنهم العلامة الشريف بل الشهير بابن سعد التلمساني المتوفى سنة أربعة وستين ومئتين وألف ومنهم سيدي بناني الشهير فرعون المتوفى سنة أربعة وستين ومئتين وألف. ومنهم العلامة الشهير بابن فارس، ومنهم العلامة الحاج الداودي المتوفى سنة إحدى وسبعين ومئتين وألف. ومنهم العلامة سيدي حمدون ابن الحاج المتوفى سنة أربعة وسبعين ومئتين وألف، ومنهم العلامة سيدي محمد التلمساني الشهير بابن ملوكة المتوفى سنة أربعة وثمانين ومئتين وألف، ومنهم العلامة سيدي محمد المطيري الحمادي المدعو المكناسي المتوفى سنة خمسة وستين ومئتين وألف، ومنهم العلامة الشريف سيدي عبدالحفيظ العلوي ومنهم الفقيه سيدي محمد مسواك الشهير التازي المتوفى سنة ثمانين ومئتين وألف، ومنهم العلامة الشريف مولاي الصديق العلوي المتوفى سنة تسعة وسبعين ومئتين وألف.

أداؤه لفريضة الحج ورحلته إلى تونس:

ثم إنه لما وجد من نفسه الشعور أنه ارتوى من بحر هؤلاء الأفاضل واقتطف من أنوار أزهار حدائقهم العطرة المعطار ما تتشرق به أغصان أزهار رياضه الذي اشتهر عند الخاصة والعامة رونقه وبهاؤه، وصار يتعشق إلى رؤيته كل أديب، وينتشق شذاه العاطر كل أريب تاقت نفسه إلى أداء فريضة الحج ومناسكه وأن يجعل في طريقه زيارة علماء تونس الخضراء ليحصل عن مشاهدة ما خصَّهم الله به من محاسن الأخلاق والشمائل السنية على الشمول والاستغراق فعند ذلك شدَّ رحل رحلته، وتوجه صحبة أخيه شقيقه أبي حفص سيدي عمر وذلك في ضحوة يوم الإثنين إحدى عشر جمادى الثانية عام سبعة وستين ومئتين وألف، ودخل مدينة تونس في يوم اثنى عشر رجب الفرد الحرام عامه. ثم خرج لتمام قصده وعزمه في يوم ثاني وعشرين رمضان عامه فكان مقامه ثمانية وستين يوماً وهو يتردد في هذه المدة إلى مسجدها الأعظم المسمى عندهم بمسجد الزيتونة لمشاهدة مجالس علمائها، وليطلع على نظامهم، وحسن شمائلهم وليحصل له اسم كل باسمه

وسيرة تلاميذهم. وهي إذ ذاك زاهرة بالعلماء إلى أن حصل له التعارف والاستيناس بزعيم نجباء وقتهم المسمى سيدي سالم بو حاجب فصار يأخذ بيده في زيارة أهل الفضل منهم الذين هم المفتي سيدي محمد النيفر الحسني، وأخوه الشريف سيدي صالح والولي الصالح الذي لا يختلف فيه اثنان في صلاحه الزاهد سيدي محمد بن ملوكه، والحافظ الهمام الشيخ الخطار مفتي الحضرة، والقاضي الشريف سيدي صالح الشاذلي والشيخ العالم المسن سيدي أحمد اللبي الحنفي، ومفتي الحنفية الإمام المشارك سيدي محمد بيرم نسباً، وعالم الحنفية الشيخ معدوية مفتي الحضرة، والعالم العلامة الصالح المؤدب الشيخ الكثراوي والعالم الشيخ ابن الطاهر محشي حُلى المعاصم للشيخ سيدي التاودي ابن سودة، فكل هؤلاء الأجلة قد حظي بمقابلتهم والاجتماع بهم واستفاد منهم حكماً رائقة ونكتاً عتيقة، وصار يتردد على مجالس دروس علومهم ليأخذ منهم من محاسن تأديتهم للألفاظ، الشارح والمشروح، ملازماً لهم، نابذاً لكل ما يشغله عن الحضور إلى أن أعجله السفر وضاق وقت ما قصده فصاروا يبطئونه، وصار يواعدهم بالرجوع فأخذوا عليه العهود والمواثيق بالوفاء بما وعدهم به فعند ذلك توجه في التاريخ المذكور قاصداً مرسى الإسكندرية فدخلها في يوم الأربعاء فاتح شوال من العام المذكور ثم خرج منها عاشر الشهر المذكور قاصداً القاهرة فدخلها ليلة الجمعة سبعة عشر من الشهر المذكور ثم خرج منها يوم السبت ثاني من ذي القعدة الحرام من العام المذكور قاصداً مرسى سويس ودخلها يوم الثلاثاء خامس الشهر المذكور ثم ركب البحر منها يوم الجمعة خمسة عشر من الشهر المذكور فقابلوا رابغ الذي منه يقع الإحرام في ضحوة يوم الأربعاء كانت حجة الحرام فأحرم بالحج مفرداً ثم وصل إلى جدة ضحو يوم الأربعاء خامس حجة من العام المذكور ثم خرج منها عشية اليوم المذكور ثم أخذ في أداء المناسك من طواف وسعي إلى منى يوم السبت ثامن الشهر المذكور ثم عاد إلى مكة المشرفة فأقام بها حتى كان يوم السبت تسعة وعشرين من الشهر المذكور فطاف طواف الوداع.

ملاقاته لمحمد بن علي السنوسي:

وخرج قاصداً المدينة المنورة فدخلها صبيحة يوم الجمعة ثالث عشر محرم الحرام فاتح عام ثمانية وستين ومئتين وألف فأقام بها ثمانية أيام مجداً في ملاقاة من بها من الفضلاء الأجلة الكرام الذين منهم أبو عبدالله سيدي محمد بن علي بن إدريس الخطابي الإدريسي السنوسي الشهير الذي عرف به صاحب حاضرة الإسلام متتبعاً له أصله وفروعه ومنشأه ومأواه وتطوراته ومجاهدته . . .

ما شاهده صاحب الترجمة من هذا الفاضل عند مقابلته وما سمعه منه:

وذلك أنه لما وصل إلى باب منزله ووجد به عدة أناس حاجتهم مثل حاجته القاصدين زيارته والتماس دعائه الخير، وكان من بينهم رجل مغربي من أهل الرباط قد طلب الإذن بالدخول على الشيخ فلم يجب طلبه، وبقي ملازماً يلتمس من يتشفع به، ثم لما طلب صاحب الترجمة الإذن أذن له فيه من غير مهلة ولا توان فتعلق به الرباطي المذكور بأن يتشفع له عند الشيخ المذكور، نعم إن صاحب الترجمة لما دخل على الشيخ المذكور انتصب له قائماً وعانقه وأجلسه حذاءه وأخذ يسأله عن اسمه ونسبه إلى أن عرفه بنفسه، نعم قال له: لقد أكرمني الله وضربتني فاس بأفلاذ كبدها وصار يباحثه عن مسائل من العلم متنوعة الفنون إلى أن اطلع على ما بكنانته الدالة على تفضيله فسر بذلك ثم قال: «احْمَد الله ولدي لقد أغناك الله بفضله بما منحك به زادك الله فضلاً ومِنَّة».

ثم إن صاحب الترجمة طلب منه الوسيلة والإجازة فأجابه بما نصه:

«اعلم ولدي ينبغي لك وهو الأصلح لحالك أن لا تشتغل بغير ما منحك الله به من العلم لما فيه من نفع العباد، إذ الفضل هو نفع العباد الذي فيه خير الدنيا والآخرة.

نعم ولدي، أوصيك بأن تلازم هذا الدعاء من غير حصر ولا عد ولا وقت معتاد، ونصه:

اللهم يا عليم علمني من علمك ما ترضى به عني. ولا تؤاخذني بما تعلمه مني.

اللهم يا رب يا حليم خلقني بخلق العلم وحققني بحقائق العلم ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣٢]».

ثم أخذ عليه العهد بالقيام بوظيفة العلم وبثه في صدور الرجال على طريقة ومتابعة السنَّة ونهجها وأجازه بطريقته وأمر أحد تلامذته أن يكتبها بخطه.

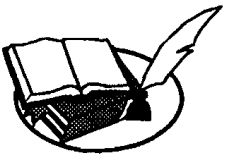

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

الحمد لله حمدا يوازن النعم ويكافئ المزيد والصلاة والسلام على أشرف
الأنام وأكرم العبيد وبعد فلما كان اليوم المؤرخ عشرين من شهر الحرام
سنة ثمانية وستين بعد الألف والمائتين كان هذا الشيخ الإمام العلامة
الفهامة ذو التحقيق والتدقيق المحمود الهمام أبو محمد الشيخ عمر بن سودة
الفاسي النجيب الأمجد الأرب مفيع المكارم وخلف الكبير الأكارم
الحاج المبرور الشيخ أحمد بن سودة أخو الشيخ المذكور أدام الله
السلامة والسلامة لهما فتلقى الشيخ نيتهما وكفاءة كفيهما
بما جبلهما الله تعالى وأجزناهما بجميع ما لنا وعلينا وكل ما صح
إسناده من العلوم والأدب الصوفية إلينا وخصوصا ما يتعلق
بالطريقة المحمدية ذات الأوراد البالغة والنفحات الربانية وأجزناهما أن
يجيزا جميع من شاءا ممن تلقيا عن الشيوخ المشار إليهم عنا أهل
الكرامة وأمرناهما بالتقوى والتمسك بالسنة والبعد عن البدع
المخترعة وصاحبناهما بالدعاء بركة الله حسبهما ومعتمدهما
وأوصيتهما
وإياي بتقوى الله العظيم وسلوك المنهج القويم والصراط
المستقيم والله يعرفنا الجميع لكل السعادة ويختم لنا ولهما
وللمسلمين بخاتمة الحسنى وزيادة محمد بن علي بن السنوسي الخطابي
الحسني الإدريسي عفا الله عنه آمين.

صورة إجازة محمد بن علي السنوسي لأحمد بن سودة

ثم لما حصل صاحب الترجمة ما أمله وقصده تذكر الرباطي الذي تعلق به عند باب الشيخ وطلبه بأن يشفع له في الدخول على حضرة الشيخ، فحين ذكره للشيخ ومطلبه تبسم وقال له: (بئس أخو العشيرة) ائذنوا له فعند ذلك دخل الرباطي ثم لما خرجا من عند الشيخ تنكر الرباطي في وجه صاحب الترجمة الذي سعى له في الخير وأسمعه ما أتى في قلبه وأراد جوابه فتذكر مقالة الشيخ التي هي: (بئس أخو العشيرة) وفهم أنها مكاشفة من الشيخ رضي الله عنه.

دخوله إلى مصر:

ثم خرج من المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام في متم عشرين من الشهر المذكور قاصداً مصر القاهرة فدخلها يوم الاثنين ثمانية عشر من صفر عام ثمانية وستين ومئتين وألف فأقام بها أياماً تزيد على الشهرين ثم توجه إلى الإسكندرية وتلاقى فيها بالعلامة الكبابطي وأجازه حسبما ذكر نصها.

رجوعه إلى تونس:

ثم خرج منها قاصداً مدينة تونس الخضراء وفاءً بعهده الذي كان وعد به أخلاَّءه وأصحابه، وبمجرد ما وقع بصر خِلّه سيدي سالم بو حاجب عليه أنشده ارتجالاً ببيتين من الرجز ونصهما:

منذ ارتحلت ما صفا ... للعيش منا مورد
فعُد إلينا عاجلاً ... فالعود منك أحمد

فحصل له بهذين البيتين سرور عظيم المأخوذ منهما مكانته عند أخلائه وصار يتفكر في معناهما وما يكتسب به الأحمدية من بينهم فعند ذلك انبعث في قلبه أن يلبث بين رجال هذه المدينة الخضرة كيما ينتحل ما يرتسم في طبيعته من حسن أخلاقهم، ولطافة شمائلهم، وحلاوة منطقهم، فعند ذلك اتخذ مكاناً مناسباً لحاله وما عزم على انتحاله قريباً من المسجد الأعظم،

وصار يتردد إلى مجالس الأعلام الذين علق قلبه بالحضور بمجالسهم الذين منهم العالم العلامة المحقق الشريف النسب المفتي سيدي محمد الشهير بالنيفر المولود سنة أربعة وعشرين ومئتين وألف، والتزم لمجلسه ملازمة الظل شمسه، ولمجلس مفتي الحنفية العلامة سيدي محمد بيرم نسباً، ومجلس قاضي الحضرة العالم العلامة الفهامة سيدي الطاهر ابن عاشور وغيرهم إلى أن وجد من نفسه ما انطبع في قلبه من محاسن أخلاق هؤلاء الأفاضل، ورطوبة لسانه على النطق بما ارتسم في طبيعته من شمائلهم وصار من بينهم كأنه واحد منهم خَلقاً وخُلقاً لطول مكثه من بينهم ما يقرب من السنة مع الحرص وخلوص النية في طلبه.

رجوعه إلى فاس:

ثم لما طال مقامه شاقت نفسه إلى أمه وابنته التي تركها بحجرها لوفاة أمها، وحين اشتد عزمه وأراد الرجوع إلى موطنه طلب من الشيخ النيفر الإجازة فأجابه إليها وكان طلبه إياها بمحضر الولي الذي لا يختلف في ولايته اثنان الزاهد الورع سيدي ابن ملوكة فبمجرد ما سمع من الشيخ لفظ الإجازة والإنعام بكتابتها أنشدهما ارتجالاً مادحاً للمجاز والمجيز بما نصه بخطه:

هنيئاً أبا العباس نجمك طالع ... بأوج علوم بدرها لك طابع
هذا النيفر المشهور بين رواية ... فما له في الدنيا شبيه ينازع
إجازته إياك أكبر شاهد ... بأنك عالم وفضلك واسع
ولم لا؟ وأنت الوارث العلم والتقى ... ولا فاضل إلا لفضلك خاضع
ألست سليل الفخر من آل سودة ... هم سادة الدنيا ففخرك رافع

فعند ذلك شد رحل راحلته راجعاً إلى وطنه ومسقط رأسه متحملاً ما عمم به رأسه وما منحه الله به من العلوم محصناً لها بفوائد تزيدها لها من منطوق ومفهوم وتنشرح به مشكلات جمل الألفاظ وغوامضها ثم ركب البحر قاصداً طنجة ثم منها إلى فاس فكان دخوله إليها عند أمه وابنته يوم عيد وفرح وسرور فأقام من بينهم أياماً في هناء وسرور إلى أن استراح من تعب

السفر وألم الفرقة والقربة وإن كان لا غربة ولا تعب بالنسبة لما احتوى عليه من العلوم والفوائد.

تدريسه بالقرويين:

ثم اتخذ مجلساً بكلية القرويين فالتف عليه به جل تلامذة أخويه المبتدئين، وصار من بينهم رئيساً بإذن من أشياخه الموجودين بحضرة كلية القرويين وهي وقتئذ ميدان تتسابق فيها فرسان البحث والنظر. وسوق ينفق فيه بضائع الألسن والفكر، والناس ناس والزمان زمان، والوقت وقت صفو وبسط وأمان، وحين شرع في عمله وتقريراته بمنطق أحلى من العسل، وفصاحة طبيعية قرشية وبلاغة سحبانية تبهر العقول من غير تلعثم ولا فهفهة تخل بالمنقول، وتمنع الوصول إلى المقصود المأمول، والمتلقون عليه يلتقطون درر ألفاظه بكل سكينة ووقار منشرحين الصدر بصدق وإخلاص نية في الورود والصدور، وهو قائم على ساق الجد والاجتهاد طرفي الليل والنهار في ترقية أفكارهم إلى أن اشتهر أمره في كل محفل وناد وعمَّ نفعه البلاد، وصار يشار إلى حسن تنظيمه وتقريراته عند جميع علماء البلاد».

٢ ترجمته بقلم تلميذه العلامة محمد بن الحسن الحجوي:

قال عن شيخه في (الفكر السامي)[1]:

«أبو العباس أحمد بن الطالب السودي القرشي ثم المري الفاسي، شهاب العلم، وقبس التحصيل والفهم، زعيم الفئة، ويتيمة عقد هذه المئة، بقية السلف، وزينة الخلف، شيخ الجماعة بالمغرب، وشيخ أملاكه والبدر في أفلاكه، بحر العلوم العقلية والنقلية الزاخر، وفلكها الدائر، وشمسها التي أخفت النجوم الزواهر إلى المجد الأثيل الباذخ المؤسس على أساس العلم السانح، إذ بيت بني سودة بيت علم أصيل ومجد أثيل، حملوا المحابر، فحملوا على المنابر، ومع ذلك، فالشيخ عصامي، لا يتكل على مجد

---

(١) ٣٠٩/٢.

عظامي، لذلك حاز قصب السبق على الأقران، وجلى في الميدان، فكان في التحقيقات البدر المنير إذا ادلهم مشكل، أو ناب معضل، إلى كرم نفس، وإصابة حدس، ورقة طبع دونه النسيم، وخلق كريم يسلي الكليم، حليته الإنصاف شأن الأشراف مع فصاحة سحبانية، وكف حاتمية، وذهن وقاد، وقلم سيال نقاد، كثير المطالعة، واسع الاطلاع، معتن بجمع الفوائد والشوارد، وقيد الأوابد، وقفت على جملة من كتبه، فلا تجد واحداً منها إلا وعليه خطه وملاحظاته القيمة، جاعلاً لها فهارس مقربة، فهو شيخ النحارير النظار في عصره، ولم ندرك في بيتهم من يساويه، ولا في حلبته من يساميه، وكان مع ترأسه مجالس الملك الحديثية، قاضي مكناس مدة طويلة إلى أن توفي قاضياً.

أخذت عنه بفاس صحيح البخاري، وشمائل الترمذي، ولازمت درسه فيها إلى الختم رواية ودراية، وله سند عال بينته في الفهرس، فكان يأتي بالعجائب البينات، ويصير معضلات العلم بحسن ذوقه وثاقب فهمه، وحسن أسلوبه في التعبير من الواضحات.

كان كثير التقييد يكتب درسه، ويمليه محرراً من كراسته، تفرد بهذا العمل لكبر سنه ونحولة جسمه، لكن فكره الوقاد لم يتقمص معه في قميص شيخوخته، بل بقي في عنفوان الشباب يفحم الشباب، ويأتي بفصل الخطاب، راجعته في مسائل كتابة وشفاهاً، فكان مثال التحقيق والإنصاف، بعيداً عن جبروت الولاية والاعتساف. وله عدة تواليف فقهية وحديثية، منها حاشيته على البخاري، لو طبعت، لكان لها طيران حثيث، ولد سنة ١٢٤١ - وتوفي ١٣٢١هـ بفاس رحمه الله.

كما ترجم له في (فهرسته) المسماة: (مختصر العروة الوثقى في مشيخة أهل العلم والتقى)[1] فقال:

---

(١) ص٦٠ فما بعدها [طبعت بعنايتنا بدار ابن حزم].

«شيخ مجلس السلطان مولانا الحسن في البخاري، وشيخ مشايخ وقته قاضي مكناسة الزيتون.

هذا الشيخ الوقور الذي أدركته وهو أكبر مشايخ فاس والمغرب، وحين أبطلوا مجلس الحديث على عهد وزارة أحمد بن موسى أيام المولى عبدالعزيز تصدى لدرسه بفاس، فحضرت دروسه فرويت عنه البخاري ثم الشمائل بتمامها، قرأ عليه غيري وهو يسمع، وكانت دروسه رواية ودراية معاً، لكن إنما كان يقرر أول حديث في درسه، يكتب تقارير نفيسة دالة على علو كعبه وبراعة معلوماته، علينا من كراسته، كما كان يفعل في المجلس الملوكي، فيأتي فيها بالعجب العجاب، وفيها ما لا يوجد في كتاب وقد راجعته في مواضع كثيرة وفاوضته وقيدت عنه، وكان عظيم الإنصاف أبعد الناس عن الاعتساف.

وله كناشة عند ولده أخينا في الله وصفينا سيدي العابد خطيب الحرم الإدريسي، ذكر فيها ما له من رواية وإجازة عن مغاربة ومشارقة، وكتب على ظهر أول ورقة من القسطلاني بعض أسانيده بالمغاربة، وعلى مثلها من فتح الباري سنده بالمشارقة».

❋ ❋ ❋

روايته لصحيح الإمام البخاري عن مغاربة ومشارقة

فمن المغاربة:

أنه قرأ البخاري عن أبي العباس أحمد بن محمد بو نافع دفين فاس العليا من آل بو نافع الشهير بها مرتين، وهذا قرأه على التاودي[1] ابن سودة

(١) إن التاودي ابن سودة عمَّر طويلاً، ذكر لي حفيده العدل الثقة سيدي الطالب ابن عثمان أنه أناف على مئة وثلاثين سنة ١٣٠، وكتب لي بذلك مستدلاً على ذلك بما وجده مقيداً من مخطوطاته، وكانت وفاته سنة ١٢٠٩هـ ـ وتراجم التاودي والحمومي وبو نافع في الفكر السامي ـ (المؤلف).

أزيد من ثمان عشرة مرة[1] وأسانيد التاودي معروفة في فهرسته، وقرأه أيضاً على محمد بن الشاذلي الحمومي، وهو عن التاودي أيضاً ورواه عن غيرهما من المغاربة كمحمد بن أحمد النيفر[2] التونسي مفتي المالكية بتونس لما توجه للحج، وهذا رواه عن محمد بن محمد بن محمد بيرم[3] الحنفي المتوفى سنة ١٢٠١هـ[4] عن جده المولود سنة ١١٣٠هـ، المتوفى سنة ١٢١٤هـ، عن أبي العباس أحمد المكودي[5] الفاسي أصلاً التونسي داراً باش مفتي المالكية عن أحمد بن مبارك اللمطي الفاسي، وأسانيده معلومة في ثَبَتِه الذي أجاز به المكودي وهو في خزانتي والحمد لله.

---

(١) لا عجب من هذا فقد ذكروا أن التاودي ختم البخاري أربعين مرة في كل رمضان مرة، وإن الصدفي ختمه ٦٠، وكم لهذا من نظير ـ (المؤلف).
وقد ألفت في هذا الموضوع كتاباً سميته (**سرعة القراءة والصبر على السماع عند المحدثين**) طبع بدار ابن حزم.

(٢) هو محمد بن أحمد بن قاسم بن محمد بن محمد بن أبي النور بن محمد بن أحمد النيفر الشريف العالم الفقيه، قرأ على أعلام عصره بجامع الزيتونة كإبراهيم الرياحي، وأحمد الأبي وإسماعيل التميمي، ومحمد بيرم الثالث، ومحمد بن الخوجة...
بعد استكمال تحصيله صار مدرساً بجامع الزيتونة، واشتهر درسه في تفسير البيضاوي فكان محل إعجاب وتقدير من معاصريه، من مؤلفاته: (**تعليقات على شرح الأشموني على الخلاصة**) و(**تقارير على الجزء السادس من إرشاد الساري**) توفي (١٢٢٧هـ)، (**إتحاف أهل الزمان** ١١١/٨).

(٣) هو الفقيه المشارك، درس في المدرسة الباشية نائباً عن والده، وفي جامع الزيتونة وأقرأ مختصر السعد على التلخيص في المدرسة العنقية، من مؤلفاته: (**تحريرات فقهية**) (**حاشية على المنار**) وغيرها، توفي سنة ١٢٥٩هـ، (**تراجم المؤلفين التونسيين** ١٣٦/١).

(٤) الصواب أن يقول المؤلف: (ولد سنة ١٢٠١هـ) وهو سهو منه رحمه الله ـ أما وفاته كانت سنة ١٢٥٩هـ.

(٥) أحمد بن الحسن بن محمد المعروف بالورشان، الملقب بالمكُودي الشريف الحسني من بيت المكودي بفاس، الشهير بالعلم والفضل المحدث، المسند الراوية، الفقيه، نزيل تونس.
أخذ عن الشيخ أحمد بن مبارك، وأجازه إجازة عامة بسنده المشهور وعن علي الحريشي، ونزل تونس، وحصلت له بها شهرة تامة.
ودرس بها العلوم العربية لأنه كان من مهرتها، فدرس المغني لابن هشام، وشرح=

ورواه عن مشارقة:

منهم: الشيخ محمد بن علي بن السنوسي الخطابي الإدريسي الحسني صاحب جغبوب، لقيه بأحد الحرمين الشريفين عام حج ١٢٦٧هـ، وأجازه إجازة مطلقة عامة كتابةً وشفاهاً، وتوفي بعدها سنة ١٢٧٦هـ في ٩ صفر رحمه الله، وكان من أعلام السُّنّة والورع والهدى والإرشاد يروي عن محمد بن عبدالسلام الناصري وحمدون ابن الحاج إجازة، ومن المشارقة الأمير الصغير، وحسن العطار وغيرهم، وأسانيدهم معروفة، وله فهارس في مشيخته وأسانيده.

وممن أجازه أيضاً مفتي الجزائر مصطفى بن محمد المدعو الكبابيطي لقيه بالإسكندرية عام ١٢٦٨هـ، وقرأ عليه بعضه وأجازه بالباقي عن شيخه علي بن عبدالقادر عرف بابن الأمير العلوي النسب الجزائري الدار والوفاة سنة ١٢٣٦هـ، عن علي بن مكرم الصعيدي المتوفى سنة ١١٨٩هـ، عن أبي عبدالله محمد عقيلة المكي[1] المتوفى ١١٥٠هـ، عن عالم الحجاز حسن بن علي العجيمي المتوفى بالطائف سنة ١١١٣هـ، عن أبي الوفاء

= التسهيل لعلي باشا، وفي المنطق شرح القطب على الشمسية.
وأخذ عن أعلام منهم محمود بن سعيد مقديش، ومحمد بيرم الأول شيخ الإسلام وغيرهما، توفي سنة (١١٦٩هـ) (**شجرة النور الزكية ٣٤٦**)، (**تراجم المؤلفين التونسيين ٣٦٨/٤**).

(١) هو محمد بن أحمد بن سعيد، الشهير بابن عقيلة، ولد بمكة ونشأ بها، وأخذ في طلب العلم، فأخذ عن عبدالله بن سالم البصري، وحسن بن علي العجيمي، والملا إلياس بن إبراهيم الكوراني وغيرهم.
امتدحه الشيخ عبدالحي الكتاني في (**فهرس الفهارس ٦٠٧/٢**)، فقال: (المحدث الصوفي المسند، الشمس محمد بن أحمد بن سعيد المشتهر والده بابن عقيلة الحنفي المكي، محدث الحجاز، ومسنده في عصره، الحافظ، صاحب المصنفات، ثم ذكر مصنفاته، وأنه روى عنه بواسطة مشايخه).
من مؤلفاته الشهيرة (**الفوائد الجليلة في مسلسلات ابن عقيلة**) حققه الدكتور محمد رضا القهوجي، طبعة دار البشائر الإسلامية، توفي (١١٥٠هـ)، انظر: (**مختصر نشر النور والزهر في تراجم علماء مكة ٤٠٩/٢**)، و(**فهرس الفهارس ٦٠٧/٢**).

أحمد بن علي العجل[1] اليمني المتوفى سنة ١٠٧٤هـ، عن يحيى بن مكرم الطبري عن البرهان محمد بن صدقة الدمشقي وغيره عن عبدالرحمٰن بن عبدالأول الفرغاني وكان عمره ١٤٠ سنة عن أبي عبدالرحمٰن محمد بن شاذ بخت الفارسي الفرغاني عن أبي لقمان يحيى بن عمار بن مقبل بن شاهان الختلاني، وكان عمره ١٤٣ عن الفربري عن البخاري.

قال شيخنا ابن سودة في كناشته: ولا أظنه يوجد بمغربنا سند أعلى من هذا للبخاري ولله الحمد وله المنّة، وقيّده يوم السبت ٣ رجب سنة ١٣١٤هـ.

قلت: فبيني وبين البخاري من هذه الطريق ثلاث عشرة واسطة وأعلى ما أدركه السيوطي والسخاوي ثمان وسائط، فكأنه ليس بيني وبينهما سوى خمس وسائط، وبيني وبين النبيّ ﷺ في ثلاثيات البخاري ست عشرة، وقد صرح القصار في فهرسته بأن أعلى ما حصل عليه في ثلاثيات البخاري، وثنائيات الموطأ أربعة عشر رجلاً، كانت وفاته سنة ١٠١٢هـ، فلم يسبقني القصار إلا بواسطتين مع أنه سبقني في الزمان بنحو ثلاثة قرون ونصف.

ولشيخنا ابن سودة سند آخر أعلى من هذا لم ينتبه إليه[2] مع نشاطه

---

(١) بوزن (فرح) بن عجيل بالتصغير ـ وشاذ بخت بذال معجمة ـ والختلاني: ضبطه بعض شيوخنا بكسر التاء المشددة (المؤلف).

(٢) علق الشيخ عبدالفتاح أبو غدة على كلام الحجوي في كتابه (**تراجم ستة من فقهاء العالم الإسلامي**) ص١٥٢ «قال عبدالفتاح: والظاهر أن الشيخ ابن سودة رحمه الله تعالى لم يكن يرى صحة هذه الإجازة العامة المبهمة المسيبة، فلم يعبأ بها، فلم يكن إغفاله لها من باب عدم الانتباه، بل من باب عدم صحتها عنده، فهو كما قيل:

ما كل نطق له جواب جوابُ ما يُكره السكوت

وقال أيضاً: «قول الحجوي عن شيخه ابن سودة: (لم ينتبه...) تحميل لا دليل عليه، ولماذا وصفه بهذا؟ وقد يكون انتبه إليه وعلمه ووقف عليه وأعرض عنه لأن مثل هذا التحمل (الهوائي) لا يتعلق به المحدثون المتقنون النبهاء، ولا يفرحون به، فكلام الحجوي عن شيخه ابن سودة مردود.

في العلم والتاريخ وبحثه المدقق، وذلك من طريق محمد عابد السندي[1] المدني صاحب حواشي الكتب الستة المتوفى لسبع عشرة خلون من ربيع الأول سنة ١٢٥٧هـ، فإنه ذكر في ثَبته المسمى حصر الشارد[2]، آخره، أنه أجاز كل من أدرك حياته، وشيخنا المذكور كان موجوداً بلا شك، لأنه ولد سنة ١٢٤١هـ، فيكون مجازاً منه، وكذلك شيخنا سيدي جعفر الكتاني، ومجيزانا سيدي أحمد الشريف التونسي، والشيخ سالم بو حاجب التونسي، وشيخنا مولاي عبدالملك العلوي الضرير وغيرهم.

١ ـ والشيخ السندي يروي البخاري والموطأ وغيرهما عن:

٢ ـ الشيخ صالح الفلاني[3].

---

(١) هو محمد عابد بن أحمد بن علي بن محمد مراد بن محمد يعقوب الأيوبي الأنصاري السندي أخذ العلم عن الشيخ أحمد بن إدريس العرايشي الحسني المغربي والشيخ صالح بن محمد بن نوح بن عبدالله العمري الفلاني، والشيخ عبدالرزاق البكاري وغيرهم. أثنى على علمه ومعرفته العديد من العلماء منهم الشيخ لطف الله بن أحمد جحاف، فقال: (الشيخ الهمام، أوحد الأعلام، بقية السلف، وغرة الخلف العلاَّمة الأوحد الولي محمد عابد بن أحمد بن علي السندي) وأثنى عليه العلاَّمة المفسر الآلوسي فقال: (ومنهم البحر الرائق، وكنز الدقائق، ومن كلامه تنوير الأبصار، والدر المختار، ذو التآليف الشريفة، وقرة عين الإمام الأعظم أبي حنيفة العالم الزاهد الشيخ محمد عابد...).
ولمزيد التوسع في ترجمته انظر الدراسة الجادة والمفيدة التي قام بها الأستاذ سائد بكداش استوعب فيها حياته ونشاطه العلمي وتآليفه، وذلك في كتابه (الإمام الفقيه المحدث الشيخ محمد عابد السندي الأنصاري رئيس علماء المدينة المنورة في عصره) ونشرته دار البشائر الإسلامية.

(٢) اسم الكتاب (حصر الشارد من أسانيد محمد عابد) وهو ثبت في مجلد ضخم، جمع في أسانيده في غالب الكتب المعتبرة، حيث افتتحه بذكر أسانيده في القراءات السبع التي قرأ بها القرآن الكريم ثم ذكر أسانيد غالب الكتب المعتبرة التفسيرية والحديثية والفقهية والصرفية والنحوية والبيانية والمنطقية والطبية وغيرها، مجملاً ومفصلاً، مرتباً أسماء الكتب على حروف المعجم.

(٣) نسبة إلى فلان بضم الفاء وتشديد اللام قبيلة سودانية أو قطر منه وهو صالح العمري نسبة إلى عمر بن الخطاب ترجمته في تكملة ابن الأبار توفي سنة ٩٦٦ بالمدينة=

٣ ـ عن محمد بن سنة الفلاني.

٤ ـ عن أحمد بن العجل اليمني، عن القطب النهروالي.

٥ ـ عن الطاوسي.

٦ ـ عن بابا يوسف الهروي.

٧ ـ عن عبدالرحمٰن الفرغاني.

٨ ـ عن الختلاني.

٩ ـ عن الفربري.

١٠ ـ عن البخاري.

❋ ❋ ❋

إجازة العلامة أحمد ابن الطالب ابن سودة للعلامة المهدي الوزاني[1]

حمداً لله جلَّ إحسانه، وعظُم امتنانه، به كل فضل يستجاز، ولحقيقة القبول مجاز.

نحمده تعالى حمداً يوصل ما انقطع إليه بصحيح الاعتقاد إلى جنة المعارف، ويُوصل حبلَ من اعتمدَ عليه بِمَن بِمَنِّه ظهرت جميع الشرائع والتكاليف، ونشهد أن الله الذي أرسل نبيه دخرة لمن آمن وصدق، وعمدة كافية في نيل الأسرار التي من نور ذاته تتفتق، سيدنا ومولانا محمد المنتخب، المقرب، المصطفى، المهذب.

= المنورة ومولده بالسودان له ثَبت كبير (**الثمار اليانع**) وصغير (**قطف الثمر**) وغيرهما.
وسِنة: بكسر أوله وفتح ثانيه المشدد، والنهروالي: باللام بعدها ياء نسب وبابا يوسف قيل إنه عاش ثلاثمئة سنة ونيفاً، ويأتي لنا ما فيه، وأما محمد بن سنة فقال تلميذه صالح في ثبته الكبير: إنه عمَّر طويلاً وتوفي سنة ١١٨٦ كما في النفس اليماني للأهدل، وهذا السند إنما يذكر ولا يعتمد، والاعتماد في كتب الحديث وسائر الكتب العلمية على تواتر نسخها وعلى الأسانيد التي لا لمز فيها (المؤلف).

(١) هذه الإجازة ضمنها المهدي الوزاني في فهرسته.

وأصلّي وأسلّم على هذا الرسول الأعظم، والنبيّ الأكرم، الذي هو العروة الوثقى، فمن اعتصم بهديه لا يضل ولا يشقى، وعلى آله الذين فازوا باتصال سند شرفهم إليه، وأصحابه الذين عُدِّلوا في الأخذ والإجازة عليه.

وبعد، لما كان العلم أنفع حالاً ومآلاً، وأرفع منقبة وكمالاً، يتنافس في اقتنائه المحصلون، ويتباهى بتحصيل فوائده الراغبون، الذين اختارهم الله ووفقهم لخدمة هذه الشريعة الغراء، وأمدَّهم بثواقب الأفهام، فإذا أظلم ليل الشبهة أطلع من سماء فكرهم بدراً فصارت بذلك محفوظة عن التغيير والتبديل، وتناولها الأفاضل جيلاً بعد جيل، وإن ممن انتظم في سلك هذه العصابة الموفقة، ورام اللحوق بالسلف الماضيين، بما تلقاه، وحققه بذهن وقاد، وطبع منفاد، وفكر ثاقب، وإسْعَاف وإسعَاد، الفاضل اللَّبيب، والكامل الأريب، الدقيق فهمه، الكثير علمه، الراسخ في تحقيق الفنون عند تصادم الآراء والظنون، فرع آل بيت الرسول، وأبناء فاطمة البتول، أبا عيسى سيدي المهدي ابن سيدي محمد ابن سيدي الخضر العمراني الحسني، جعله الله من أهل دار التهاني، دام سموه، وسمى علوه، لازمني في عدة فنون، وأخذ عني جملة كُتب من شرح ومتون، حتى تنوعت معارفه، وتعددت عوارفه، وعرف بذلك حقيقته ومجازه.

اقترح عليَّ إتحافه بإجازة ينخرط في سلك من استجاز شيخه فأجازه، فأسعفته وأنا معترف بالتقصير، عارف بفضل الطويل على القصير، ولم يعذرني لكوني لست في هذا الأمر من هذا القبيل، ولا ممن يجترئ بسلوك قارعة هذه السبيل، ولما لم تنظر عين رضاه مني هذا الخلل، قلت: مُكرهٌ أخاك لا بطل.

قد أجزته في جميع مقروءاتي ومروياتي، بما تجوز روايته من منقول ومعقول، وما تنصرف إليه هِمَمُ أرباب العقول، مما أخذته عن أشياخي العظام، السادات الأعلام، وعليه بتقوى الله فإنها نور البصائر والقلوب، ولا ينساني من دعواته فإني عبد كثير المساوئ والعيوب، وأسأل الله أن يوفقني

وإياه لصالح الأعمال، ويدخلنا الجنة مع نبيّه الأكرم عليه الصلاة والسلام، وآله الكرام، ما تعاقبت الليالي والأيام، والسلام.

في سادس وعشرين جمادى الأولى عام
أربعة وثلاثمئة وألف
أحمد بن الطالب ابن سودة
الله وليّه ومولاه

وأَذِن لي أن أكتب رضي الله عنه ما نصه:

«الحمد لله، لما قفلتُ من الحج، وحللت بتونس المحروسة بالله، وهي إذ ذاك بالعلماء سماء تجلت غيومها فأشرقت نجومها. وروضة فاضت أنوارها ففاحت أزهارها، وتحركت من دوالبها أوثارها فجاوبَها قمريُّها وهزارُهَا، وجامعها ميدان تتسابق فيه فرسان البحث والنظر، وسوق تنفق فيه بضائع الألسن والفكر. والناس ناس، والزمان زمان، والوقت صفو بسطة وأمان، أخذت في لقاء الشيوخ، والكرع من مناهل ذوي التضلع منهم والرسوخ. حتى مثلت بين يدي عالمها وطودها الشامخ، بل عالم الدنيا، والإمام الراسخ مفتي المالكية، والمقدم على جهابذة حضرته من الحنفية، محقق الدنيا ونحريرها، من إليه لا إلى غيره تسند المهمات بتحريرها، عالم ما رأت عيني مثله، فما أعز نظيره، وأوفر فضله، سلالة المصطفى، وعين بيت المجد والوفا، سيدي محمد بن أحمد النيفر، فاستجزته فأجازني قائلاً بعد صدر من إجازته: قد أجزت لذلك الفاضل جميع ما تصح روايته عني من الحديث الشريف وغيره، إجازة مطلقة عامة كما أجازني كذلك شيخي العلامة الفهامة، المحقق الحجة، سيدي محمد ابن سيدي محمد بن سيدي محمد بيرم الحنفي قال كما أجازني جدي المذكور كذلك. وكما أجاز لجدي شيخه العلامة الدراكة سيدي أحمد المكودي، وكما أجاز له ذلك شيخه الفاضل العلامة المتبحر المحقق سيدي أحمد بن المبارك السجلماسي تغمدهم الله برحماته ورضي عنا وعنهم، إلى أن قال في الحادي عشر من شوال عام ثمانية وستين ومئتين وألف.

ولما عثر على تلك الإجازة صاحبنا العلامة سيدي محمد بن مصطفى ابن مالك العلمي المشيشي الجزائري ولادة، التونسي داراً، أنشد ارتجالاً:

هَنيئاً أبا العباس نجمُكَ طالِعُ ... بأوجِ علومٍ بَدرُها لك ساطِعُ
هو النِّيفرُ المشهورُ بَدرُ زَمَانِهِ ... فَمَا لَهُ في الدنيا نظيرٌ يُنَازِعُ
إجَازتُه إياكَ أكبرُ شَاهِدٍ ... بِأَنَّكَ ذُو عِلْمٍ وَفَضْلُكَ وَاسِعُ
وَلِمَ لاَ؟ وأنتَ وارثُ العلم والتُّقَى ... فَلاَ فَاضِلٌ إلاَّ لِفَضْلِكَ خَاضِعُ
أَلَسْتَ سَلِيلَ المَجْدِ مِنْ آلِ سَوْدَةَ ... هُم سَادَاتُ الدُّنْيَا فَفَخْرُكَ شَائِعُ

ويروي أيضاً شيخنا هذا سيدي أحمد المذكور جميع التآليف، والطرق والمذاهب الأربعة عن سيدي محمد بن علي بن السنوسي الخطابي الحسني الإدريسي المجاور بالحرمين الشريفين حسبما كتب له ذلك بخط يده، وألبسه الخرقة، وأذنه في إعطاء الأوراد.

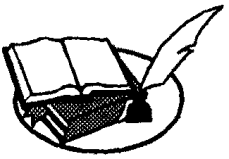

عون الباري
على فهم آخر تراجم صحيح الإمام البخاري

للعلامة أحمد ابن الطالب ابن سودة
(المتوفى سنة ١٣٢١هـ)

تقديم

١ ـ تميز المغاربة بفن تأليف ختمات صحيح الإمام البخاري:

يقول الدكتور يوسف الكتاني في كتابه (مدرسة الإمام البخاري في المغرب)[١]:

هذا فن من فنون الحديث ولون طريف من ألوان التأليف فيه يكاد يتميز به المحدثون المغاربة على الخصوص فإذا كانت الختمات عرفت في العالم الإسلامي كله بالنسبة لسائر العلوم الأخرى فإن ختمات البخاري لم تشتهر كما اشتهرت بالمغرب كمظهر فريد ومتميز على مدى العناية الفائقة والأهمية الكبيرة التي أولاها المغاربة لصحيح الإمام البخاري.

هذا ولا يعرف لختمات البخاري تاريخ معين لأنها فن من فنون الحديث لم يؤلف فيه ولم يؤرخ له خاصة وأن أكثر الختمات لم تكن

---

(١) (٦٣٦/٢).

مكتوبة ولا مدونة، وإنما كانت تعقد مجالس الختم عند انتهاء الشيخ من دراسة الصحيح فيلقي ختمته ويبرز فيها ويحتفل بها ولكن أحداً لا يسجل شيئاً عنها خاصة وأن وسائل الإعلام والتسجيل كانت قليلة، وذلك ما يقف في وجه الدارس والمؤرخ عندما يبحث عن أقدم الختمات أو عن أول ختمة للبخاري ليمكنه التاريخ لهذا الفن تأريخاً علمياً وهو ما أحاول في هذا المبحث الوصول إليه إذ لم يسبقني أحد ـ فيما أعلم ـ لتخصيص بحث خاص للتعريف بالختمات عامة وختمات البخاري خاصة.

كذلك لا يعرف أول من بدأ هذا اللون من الحديث حتى يمكن ذكره في صف الرواد من أصحاب الختمات ولذلك يعود الاعتبار والتقدير إلى أول ختمة موجودة لدينا حسب حياة صاحبها وتاريخ إلقائها وتحريرها في انتظار الكشف عن ختمات أخرى فيما بعد بحول الله، وهذا ما يجعلنا نتعدى الحجم عن الجزم بأحكام قاطعة في الموضوع مما يجعل الباب مفتوحاً أمام الأجيال المقبلة من الباحثين.

إن ختمات البخاري لم تكن مشهورة لدى المشارقة ولم تكن سنَّة مألوفة كما هو الشأن عندنا بالمغرب وخاصة بالنسبة للجامع الصحيح إذ جرت العادة الحميدة أن يعقد الشيوخ والمحدثون مجالس ختمية عند الانتهاء من سرد الصحيح أو تدريسه وإقرائه وشرحه يكون موضوع المجلس شرح آخر حديث من أحاديث الصحيح فيقدم لموضوعه بمدخل يذكر فيه أهمية العلوم الشرعية وفي مقدمتها الكتاب والسنَّة، وقد يؤرخ لتدوينها ثم يتحدث عن صاحب الصحيح ترجمته وحياته ويعرف بالجامع الصحيح وكيفية تأليفه، ثم يتحدث عن مناسبة الحديث عن الجامع وعن سنده ومتنه شرحاً مستفيضاً ويتخلص إلى ذكر مروياته وسنده الفريد أو المتعدد للجامع الصحيح وقد يختم المجلس بنوادر وأدعية وأشعار.

ويشبه صنيع المغاربة في مجلس الختمات بمجالس الإملاء الحديثية التي عرفها الشرق وبرز فيها المحدثون وعقدوا لها أبواباً في كتب المصطلح وأدرجوه في آداب المحدث كما هو الشأن في تدريب الراوي للسيوطي.

غير أن المشارقة لم يكونوا يتقيدون في مجالس الإملاء بكتاب خاص كما هو شأن المغاربة في ختمات البخاري إذ يعقد المحدث مجلساً يملي فيه بعض مروياته من حفظه ثم يختم المجلس بحكايات وأشعار ونوادر ونكت تناسب المقام، ومن أشهر أصحاب مجالس الإملاء عند المشارقة نذكر الحافظ ابن حجر الذي أملى أكثر من ألف مجلس، وقبله شيخه الحافظ العراقي ٧٦٢ الذي أملى أكثر من ٤٠٠٠ مجلس، وزين الدين بن عبدالرحيم الحسني العراقي المصري، وبعده ولي الدين أبو الفضل أحمد بن عبدالرحيم العراقي المتوفى سنة ٨٢٨ الذي أملى أكثر من ستمائة مجلس، والحافظ السيوطي أبو الفضل عبدالرحمٰن بن أبي بكر السيوطي ت٩١٩ الذي عقد أكثر من مائة مجلس، ثم الحافظ شمس الدين أبو الخير محمد بن عبدالرحمٰن السخاوي ت٩٠٢ والذي بلغت مجالسه أكثر من ستمائة مجلس كما ذكر هو نفسه، والحافظ ابن الصلاح الذي سار على سنن شيوخه في ذلك.

وقد جمعت أمالي المحدثين في كتب عرفت بكتب الأمالي والإملاء: «كان من وظائف العلماء قديماً خصوصاً الحفاظ من أهل الحديث في يوم من أيام الأسبوع يوم الثلاثاء أو يوم الجمعة، وهو المستحب أن يكون في المسجد لشرفهما وطريقهم فيه أن يكتب المستملي في أول القائمة:

هذا مجلس أملاه شيخنا فلان بجامع كذا في يوم كذا، ويذكر التاريخ ثم يورد المملي بأسانيده أحاديثاً وآثاراً ثم يفسر غريبها ويورد من الفوائد المتعلقة بها بإسناد أو بدونه ما يختاره ويتيسر له، وقد كان هذا في الصدر الأول فاشياً كثيراً، ثم ماتت الحفاظ وقل الإملاء وقد شرع الحافظ السيوطي في الإملاء بمصر سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة وجدده بعد انقطاعه عشرين سنة من سنة موت الحافظ ابن حجر على ما قاله في المزهر وكتبه كثيرة».

وأول ما نعرف من الختمات ما جاء في فتح الباري لابن حجر أنه ختم البخاري واحتفل بذلك فيكون أقدم من تعلم ـ إلى الآن ـ ممن ختم البخاري هو الحافظ ابن حجر المتوفى سنة ٨٥٢ ولا نعرف أن ختمته هذه دونت أو كتبت.

غير أن أول ختمة مدونة ومطبوعة نعرفها والتي توجد بين أيدينا هي ختمة الإمام القسطلاني شارح البخاري والمسماة «تحفة السامع والقارئ بختم صحيح البخاري» عثرت عليها مخطوطة بالخزانة الملكية تحت رقم ١١٧٣.

كما نجد في ترجمة الحافظ أبي الخير السخاوي أن له عدة ختمات: إحداها في صحيح البخاري سماها «عمدة القارئ والسامع في ختم الصحيح الجامع» وله غيرها حول صحيح مسلم والشفا للقاضي عياض».

٢ ـ أنواع الختم:

وقد عرف نوعان من الختم:

أحدهما وهو **ختم القراءة** ويقصد به ختم سرده وإسماعه وهذا كثير يكاد لا يخلو منه مسجد أو مركز ثقافي حيث يتعبد الناس بسماع الصحيح وإسماعه دائماً، وخاصة في الأشهر الثلاثة رجب وشعبان ورمضان وكما هو جار إلى الآن بالضريح الإدريسي بزرهون منذ سن قراءته القاضي محمد بن إدريس العلوي، وما زالت تختم قراءته في محفل رائق عصر السادس والعشرين من رمضان من كل سنة بمحضر العلماء وممثلي السلطة وعامة الناس وتنقل الإذاعة حفل الختم في كل سنة.

ونذكر من هذا النوع وهو كثير بعض العلماء الذين اشتهروا بقراءة الصحيح والمداومة على إسماعه وإقرائه مثل الشيخ جعفر الكتاني الذي ختمه[١] ما بين سماع وإسماع بالزاوية الكتانية أكثر من عشرين مرة، والشيخ عبدالكبير الكتاني[٢] الذي ذكر ولده الشيخ عبدالحي الكتاني أنه ختمه خمسين مرة ما بين سماع وإسماع وإقراء وما ذكره ابن الأبار في تكملته من أن ابن عطية ختم البخاري وحده سبعمائة مرة[٣].

والنوع الثاني من الختم وهو **ختم الإقراء** وهو عبارة عن المجلس الحافل الذي يعقده العالم أو الشيخ بمناسبة انتهاء دراسته مع طلبته وإقرائه

---

(١) طبعت هذه الختمة بدار الكتب العلمية.

(٢) طبعت على الحجر بفاس.

(٣) راجع كتابي (سرعة القراءة والصبر على السماع).

للجامع الصحيح قراءة استيعاب وتمحيص ودراية حيث يتهيأ لمجلس الختم ويجتهد في الإعداد له لما يحاط به من هالة، وبمحضر العلماء والشيوخ فيكون مناسبة لتبريز المحدث وإظهار علمه وتفننه واطلاعه وهذا النوع الثاني هو المقصود بالختمات من بحثنا، ومثل هذه الختمات العلمية هي التي كتبت ودونت وبقيت علامة واضحة في تاريخ الفكر المغربي وشاهداً ودليلاً قوياً على مدى عناية المغاربة وتفانيهم في الاهتمام بالجامع الصحيح.

ونجد من عيون هذه الختمات العلمية المدونة، ختمة العلامة أحمد ابن الطالب ابن سودة ـ المسماة: **(عون الباري على فهم آخر تراجم صحيح الإمام البخاري)**.

٣ ـ قصيدة في ختم البخاري للإمام العارف بالله ابن أبي جمرة رضي الله عنه:

مع تقريظ العلماء لختمة أحمد ابن الطالب ابن سودة:

هذا البخاري بحمد الله قد ختما ... وليس فيه حديث واحد كتما
لكن قرأناه أبواباً مهذبة ... مملوءة أدباً موفورة حكما
وقد قرعنا به الأسماع فانفتحت ... من بعدما ملئت من قبله صمما
وأصبحت كل عين من بصائرنا ... للحق مبصرة ليست تخاف عما
هذا الكتاب الذي قد شاب قوته ... ضعف وصحته ما تعرف السقما
هذا الكتاب الذي قد جاء جوهرة ... غلت له قيمة لما علت قيما
هذا الكتاب الذي نرجو الشفاء به ... هذا الكتاب به نستدفع الألما
هذا الكتاب الذي فيه الدواء لنا ... هذا الكتاب الذي للداء قد حطما
في روضة كان فيها الشيخ ألفه ... هبت له نسمة قد أحيت النسما
لا يستلذ به إلا الخبير ولا ... يحلو مكرره إلا لمن فهما
كم كشفنا به من كربة عظمت ... وكم طردنا به من حادث هجما
كأن أسطره من عنبر رقمت ... وأن ألفاظه زهر قد ابتسما
ما للبخاري نظير في جلالته ... ومثله حافظ قد أمسك القلما

قد كان وهو صغير السن مجتهدا ... وكان ذا همة قد فاقت الهمما
كأنما صدره بحر يموج ذكا ... كأنما ذهنه غيث قد ابتسما
شرقاً وغرباً على حفظ الحديث سرى ... دهراً ولا عرباً أبقى ولا عجما
وألف شيخ له في الأرض وهو علا ... تلك المشايخ في علم الحديث سما
كم قلبوا من أسانيد الحديث له ... بالأمس واقتسموها بينهم قسما
فردها مثلما كانت وصححها ... وصار في علمه قدامهم علما
وما أضر به المكر الذي مكروا ... لكن أقر له بالفضل من علما
وكل حفاظ بغداد له اعترفوا ... لما زكا بالزكا محفوظة ونما
ومسلم قام في عينيه قبله ... ولم يدعه البخاري يلثم القدما
هما الإمامان في علم ومعرفة ... كالبحر حين طما والغيث حين هما
لو قيل من فاق أهل الأرض قاطبة ... في النقل والنقد والتحرير قيل هما
فالله يجزيهما خيراً بما فعلا ... والله يجمعنا يوم اللقا بهما
يا سيدي يا رسول الله يا سندي ... يا من بحب له تستوجب النعما
يا من لطيبة منه طيب رائحة ... وحرمة لم تفارق ذلك الحرما
أنت الحبيب الذي طاب الحديث به ... أنت الذي تسقى من بحرك العلما
أنت الذي للعلا فوق السماء علا ... أنت الذي قد سما من فوق كل سما
أنت الذي بك في دنيا وآخرة ... من ربنا نرتجي الأفضال والكرما
أنت الذي لم يخب من أنت شافعه ... أنت الذي بك كل الناس قد رحما
وأنت أفضل من صلى وصام ومن ... سعى وطاف ومس الركن واستلما
يا من صحابته نالوا بصحبته ... فضلاً وأمته قد فاقت الأُمما
أنت الشفيع ونحن المذنبون وما ... في جمعنا مذنب إلا وقد قدما
وما ذكرنا الذي قد كان من زلل ... إلا نشرنا دموعاً خولطت بدما
وقد ختمنا حديثاً أنت قائله ... يا من به ربه للرسل قد ختما
فاشفع لنا ولكل المسلمين فما ... شفعت في مسلم إلا وقد سلما
صلى عليه إله العرش ما عبست ... سحابة ورآها البرق فابتسما

يقول علي بن عبدالقادر بن سودة في تقريظه لكتاب عون الباري

حمداً لمن وضع الموازين القسط ليوم القيامة، وأحصى أعمال عباده، وما خفي عليه منها قلامه، فلا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، وما لعبد من أعمال صالحة إلا جازاه عليها ووفاها. وأصلي وأسلم على سيدنا محمد لبنة التمام، ومسك الختام، صلى الله عليه وسلم وعلى آله ما انتظمت جواهر جمل في سلك إكسيرها، وتزينت العقول بحلا المعاني من تحريرها، واكتحلت الأعين بإثمد مبانيها، وسرت النفوس بعجيب صنعها وبانيها.

وبعد؛ فإن مما استنارت به دار الطباعة، وتسارعت إليه فرسان اليراعة، وتسابقت لالتماس فضله، واغتنام وصله، تأليف الشيخ البارع، والبدر الساطع اللامع، شيخ الشيوخ، وينبوع الفضل والرسوخ، من جارى في كل فن أسوده، العلامة المتقن المشارك أبو العباس سيدي أحمد ابن سودة، أبقى الله طالع وجوده، محفوفاً بالحفظ في سعُوده وصعوده، مَا ضحِكت الطروس ببكاء الأقلام، وسعدت بفهم ما فيها الأذهان والأفهام، المسمى بـ«عون الباري على فهم آخر ترجمة صحيح الإمام البخاري» ـ فلعمري ما له فيه من محاك ولا مجاري، وما سلك على منواله سالك، وبالوقوف عليه تعلم ما هنالك، فقد أودعه من تحقيقات شريفة، وتدقيقات ونكت منيفة، غاص على استطلاع الدرر والجمان، وكشف عن مخدرات حسان، مؤلف تتشوف إليه النفوس، وتمتلئ من فيوضاته الكؤوس، ينابيع الحكمة من جوانبه، وجداول العرفان من مشاربه، فيا حبذا نوره الزاهر، وجماله الباهر، ينبه من النوم في ليالي الحوادث، ويفوق عند السماع رنات المثاني والمثالث فليهنأ مطالعه بكل أمنية، عند تصحيح القصد والنية، تحت ظل من قام بالعدل سلطانه، وتوالى على رعيته بذله وإحسانه، الحامي بيضة الإسلام، المهتم بأمرها أي اهتمام، مولانا السلطان الأعظم، والبدر المنير الأفخم، سلالة أماجيد خلاصة الإبريز مولانا عبدالعزيز، أبَّد الله مُلكَه، وأعزَّ

جنوده، وبلّغه من كل أمنية مراده، وبعدما ختم الشيخ المذكور البخاري عند درسه، ولمعت علينا من تأليفه المذكور أطراف طرسه، دعاني داعي الإنشا فقلت:

اغنم كؤوساً من رحيق غواني ... أهدى الصباح دهاقها بمغان
تسقيك من صهبا الوداد صفاءها ... فكأنها من خندَرٍ بين جنان
في ظل ما ألهى وحالكة اللهى ... فياضة الإملاء والإحسان
برياضِ نَوْر يستطاب نسيمه ... متنوع الأصناف والأفنان
والطير تطرب والغصون تناثرت ... أزهارها مع منشد الألحان
فلطالما أرجو أو أءمل وصلها ... حتى استقل الشيب بي وعَلان
مهج الورى في حبها مرهونة ... ولها بإذعان فكاك رهان
لولا هواها في الفؤاد وحبها ... ما انفك جسم عن شقا وهوان
ما غرني من بينها نار الجوا ... وتزلع الأكباد حشو كنان
ونحول جسمي في السقام مقامه ... كادت لذلك قيامتي بعيان
فتملقي نحو الحما متردداً ... بين الوشاة علامة الأخدان
خسر الحسود وضل سعيه خاسئاً ... وكفاه مقتاً خيبة الحرمان
رام التجارة في صنيع فعاله ... فغدا مُسَام رذيلة الخسران
لو قد رأى ذاك العدول سفاهة ... ما سمته من ساطع العرفان
لرمى الملام ورام رومى عاشقاً ... ولهام في وجدي وما عنان
فالصبر أجمل حلية لبس الفتا ... لبلوغ مغناه ونيل حسان
واليوم قد عاد الزمان مواصلاً ... بعرائس تجلى وكشف معان
فتحيرت أفكارنا طرباً بها ... وتبشرت فوراً بغير توان
وإذا السعادة أقبلت نحو امرئ ... بلغ المنى وبدا كوجه زمان
يا مسمعي أنصت لشرح حديثها ... من مبسم بلألإ وجمان
فاضت بأسرار العلوم متُونُه ... فارتع بروض من رياض جنان
عن متقن سند الحديث وعارف ... فحوى الخطاب مهذب الإتقان

بعبارة تفنن عن شنب أضا ... قد حررت بلطائف التبيان
راقت فرق لسمعها مهج الورى ... واستَعْبدت في النصح كل جَنَان
لا تهتدي في ذا الغرام لطالع ... غير ابن سودة مفرق التيجان
سجدت لصوب الفهم منه غوامض ... ورمى العويص بثاقب الأذهان
وأزال عن فكر صدا ذاك الصَّدا ... ولَهَيْفةَ الصديان واللهفان
وإذا بمعترك العقول تحيرت ... أبطاله زحفاً وطعن سِقان
داس النضال وجال جولة سالب ... وحوى غنيمتها بسيف لسان
حفته في نثر الجمان شمائل ... تحلو لدى الأسماع والأعيان
فاجنح إليه لكي تفوز بدرسه ... درس حمى من غفلة الولهان
واشدد على غرز الرشاد بطرفه ... واعضض أخي بنواجذ الأسنان
قد جاد في درس البخاري مانحاً ... فهم المريد قلائد العقيان
يعطيك من رقم التراجم حكمها ... مستنبطات من متون مثَان
ويبين منها ما لمذهب مالك ... حججاً أتت من واضح البرهان
ويوشح التقرير منه بآية ... وقواعد تجنى بعلم بيان
وأصول فقه قد تأيَّد فرعها ... بوضوح أحكام بدت لعنَان
وينيل أغراضاً خفت في صنعه ... لا يهتدي في سبلها بعنان
وطوى حديث الإفك خوف إشاعة ... لأدلة قامت بأي بيان
وإذا شكت من مشكلات مفاهم ... أشكى بما لم يبده القمران
وإذا مواعد قد أتت من شارح ... أوفى بها فوراً بلا نكران
قد غاص في بحر المعاني فأنتنت ... أفكاره بمحاسن الإيمان
عطفاً أبا العباس إنك لامرؤٌ ... تنهل منك سحائب الرضوان
فلقد أجرت من الخفاء مسائلا ... كانت له كمجار أم الهان
أوصلتها من حبل ودك فاهتدت ... أسكنتها بحُلاك دار تهان
مدت إليك خطامها كي لا ترى ... بين الوشاة مصابة الأحزان
يا سيدي ماذا أقول لوصف من ... جمع المحاسن وهو فرد زمان

ملأت فرائده الطروس فأقصرت ... عن عدٍّ وابلها يراع بَنَان
سمحاً لذي التقصير إنه عاجز ... يا ذا الوفا يا إثمدَ الأجفان
أبقى الإله وجود وجهك مشرقاً ... بين الورى يا غرة الأزمان
وجزى البخاري من وداد ترحم ... وسقا ثراه بوابل الغفران
وأحله الرب الكريم بفضله ... والمسلمين مُبوءَ الرضوان
بعظيم جاه الرسل قدر محمد ... فخر الأنام ومنقد الجيران
حفته تكرمة الصلاة وآله ... ما دار في فلك السما القمران
وأتت تغنينا وتطرب سمعنا ... اغنم كؤوساً من رحيق غوان

❋ ❋ ❋

قصيدة أحمد بن عبدالمولى العلمي

أسرد أحاديث الصبا وواس ... برخيم صوت مطرب الجلاس
واشرب صفا زلالها من منهل ... عجبت له الساقون من فم كاس
فلقد بدا الإصباح منك بمربع ... بأريض روض زاهر الأغراس
واطلب معالي واستفق من غفلة ... فلطال ما أرداك جفن نعاس
وارحم بذكر الريم صحبة مغرم ... دنى الهوى متصاعد الأنفاس
ممطول وعد قد براه غرامه ... لم يبق منه بقية للآس
فالوصل إن منت به حصل المنا ... وغدوت في طهر من الأنجاس
وانشد بألحان لك متعطفاً ... بقريض شعر ما به من باس
حاشا شمائلك اللطيفة أن ترى ... عوناً علي مع الزمان القاسي
أو ثغرك الصافي يريد حشاشة ... تشكو لهيباً من لظى أنفاس
وانثر مآثر حسنها في مجلس ... سلب الكرى من غافل منتاس
ترمي النبال شفارها عن قوسها ... فأدت بها قلب الرهين الآس
نشرت على الوجنات أسود حالك ... يحكيه في الأزمان ليل غاس
تنهل أزهار الربى من عطفها ... يتمايل كرطيب غصن الآس

وإذا بدا وجه الصباح مبشراً ... أهدت نفيساً عالي الأنفاس
أو أظهرت من يومها طرف المسا ... هالتك حوراء بقد مياس
عذبت شمائلها اللطيفة وقتما ... أبدت محيا من أبي العباس
ذا الشامخ الطود العلا بحر الندا ... قمر الدجا أجلى من النبراس
سهل العريكة لين أخلاقه ... حسناء منخفض لدا الأقباس
يكسو من العرفان أجمل حلة ... يا حسن مكسو وحسن الكاس
بلغت بلاغته ودقة فهمه ... ودهاؤه الوقاد كل حواس
بلغ الثناء ببابه سمك السما ... فتخاله الفرد الفريد بفاس
فكأنما تلك الأفاضل قد بنت ... لعلاه على منابر وكراس
وكأنما أهل الزمان لأجله ... حفتهم الأفراح في الأعراس
تهواك منه مباحث في درسه ... بدقيق فهم صانها وحراس
خضعت لذاك الورس منه أيمة ... وأقر منهم جملة الأكياس
لله من حسن الكمال بمبسم ... تنهل منه جواهر الأنفاس
فإذا كساك شمائلاً من لطفه ... أصبحت تحت عناية الأطراس
وهاك من تحريره عجباً بما ... لم يستفد من وجنة الأطراس
وجلوت في عز الكمال وقد بدت ... نجواك في حفظ من الوسواس
تحكيه في المستنبطات أمامها ... الترجمان ابن العلا عباس
تنقاد أسرار البلاغة مذ بدا ... بخطابي موجزه وحسن جناس
وإذا الشواهد قد تضعضع ركنها ... يأتي لها من محكم بأساس
أو جيء في سند الحديث بهفوة ... من مخطئ نمى بها أو ناس
أخذت يد التحقيق منه منارها ... حتى استقلت في الورى كرواس
وإذا المسائل من تعسعس ليلها ... واستشكلت في الفهم بين الناس
يفتض تلك المشكلات بثاقب ... من ذهنه وقواعد وقياس
حتى ترى من بينهم مجلوة ... مسلوبة من ليلها العسعاس
مكسوة الإيضاح أشرق صبحها ... معلومة الأنواع والأجناس

أو أنك استسمنت ذا ورم بدا ... للطرف منك بوجنة القرطاس
رد العليل مبيناً وجه الخطا ... وأباد ما أبدت يد الكراس
وأفاد ما أخفته من درر خفت ... وكسا المريد بحلة الإيناس
فغدا أنيس فؤاده في علمه ... وأزال عنه رذيلة الأدناس
لله من شنب أغر سناؤه ... يجلو عرائس لم تشب بنفاس
عرباً وأتراباً تكعب نهدها ... زفت مع الإصباح والإغلاس
دع عنك قول الحاسدين وما خلت ... نعماء من متمرد خنداس
لعبت بهم أهواؤهم فلأجلها ... لبسوا الردى وعمامة الإفلاس
ماتت قلوبهم ومات علاجها ... أو يستوي الأحيا وذو الأرماس
أو يستوي ذهب النضار وزائف ... كم بينَ إبريز وبين نحاس
يا ليتهم باتوا وقد ضربت عقو ... لهم يد الأخماس بالأسداس
يا سيدي دامت علاك تزيدني ... من ودها شرباً من الأغساس
فيصير قلبي من محاسن ظنه ... روضاً أنيقاً مثمر الأغراس
ويروج في الأفراح زاهر غصنه ... وموشح التقوى وخير لباس
ويخيم الإسعاد وفق مراده ... فينال منه دعاك كل حراس
فلأجل ذاك توسلي بمحمد ... خير البرية أطهر الأنفاس
فعليه من رب الصلاة وآله ... والصحب والحسنين والعباس
ما شنف الأسماع منا منشد ... اسرد أحاديث الصبا وواس

❋ ❋ ❋

ثم قال:

«وبعد أن أضاء بدر تمام طبعه، واستقام الأمر لنفعه، أنشد لسان المقال:

رم للنجاح أخي من أجله عمل ... مؤلف طرزه للخير قد شَمِل
تفز وتحضى بما ترجو وتأمله ... فكل صيد لدى جوف الفرا جُعِل

وافى به الطبع إذ أتى يورخه حمداً بطبع لعون الباري إذ كمل

❋ ❋ ❋

قصيدة
أحمد بن المأمون البلغيثي الحسني

الحمد لله على ما هدى إليه من البيان، والشكر له على ما أسدى من نعمة الإبانة والتبيان، ونصلي ونسلم على سيدنا محمد الفاتح الخاتم المبعوث بجوامع الكلم إعجازاً، والمرسل بالقرآن المبين المتحدى به بلاغة وإيجازاً، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الأعلام، ما جرت في ميادين الطروس جياد الأقلام.

أما بعد، فيقول الفقير إلى الله الغني، أحمد بن المأمون البلغيثي الحسني، إنه لما أن مَنَّ الله بنعمة قراءة صحيح البخاري على الشيخ الإمام الذي ليس له في مضمار التحقيق مجاري، العلامة المحقق المدقق النقادة من أضحت أعنّة أنواع العلوم بيده منقادة، شيخ الجماعة، المفيد النفاعة، صدر أهل الحديث بالحضرة السلطانية، وخطيب الحرم الإدريسي الذي هو مركز قطب دائرة القطبانية، أعني القاضي أبا العباس سيدي أحمد بن سودة، أكمد الله باغضه وحسوده، رأيت من تحقيقاته البديعة ما حيَّر العقول، من نفس عالي في النقول وإحداث أبحاث بديعة في المعقول، فصرت أكثر الحمد على وجود أمثاله، وأضرع إلى الله في حفظه في سائر أوقاته وأحواله.

إن أقل يا رب سلمه لنا قال آمين جميع العالمين

وكنت هممت بمدحه بقصيد، خدمة لذلك الوصيد، لكن اعترفت من نفسي بالقصور عن الإتيان على بعض مزاياه الفخيمة، وتحققت بالعجز عن وصف علومه وأخلاقه الكريمة.

وما أراني بمستوف مناقبهم ولو نظمت لهم زُهر النجوم حلا

ثم إنه حفظه الله لمحبته البالغة في العلماء والصالحين، واتخاذ الثناء عليهم شنشنة في كل حين، أمر من يحضر مجلسه من الزمرة بأن يعدُّوا قصيدة العارف أبي محمد بن أبي جمرة التي أنشأها في الإعلام بختم الكتاب المذكور، المحتوية على بعض فضله المشهور، وأن تقرأ على صوت واحد ممن حضر، أداءً لبعض حق الإمام، واغتناماً لمدح سيد البشر، فحرصت إذا ذاك على كتبها، وتسطيرها، وتقت لكسبها وتشطيرها، رغبة في الدخول تحت قول من كان تضله الغمامة: «**من مدحني بيت شعر كنت له شفيعاً يوم القيامة**» قال بعض العلماء: الظاهر أنه لا فرق في هذا الحديث بين منشئ أو منشد أو مستمع.

وما عجب إكرام ألف لواحد ... لعين تفدي ألف عين وتكرم

فقلت بالله مستعيناً، وكفى به ناصراً ومعيناً:

هذا البخاري بحمد الله قد ختما ... ختماً به الفتح للآمال قد ختما
كل الأحاديث من فحواه قد تليت ... وليس فيه حديث واحد كتما
لكن قرأناه أبواباً مهذبة ... كأنها عقد دراق منتظما
من ضمن ألفاظه تنال أوعية ... مملوءة أدباً موفورة حكما
وقد قرعنا به الأسماع فانفتحت ... إلى سماع هدى بحر النوى كرما
فصارت الأذن تستملي تلاوته ... من بعدما ملئت من قبله صمما
وأصبحت كل عين من بصائرنا ... ترنو إلى الحق إذ أضحى لها علما
بشرى لها ببلوغ القصد ما برحت ... مفسرة للحق ليست تخاف عما
هذا الكتاب الذي ما شاب قوته ... شيء يشين ولا طعن به علما
ما خالط المتن منه لا ولا سندا ... ضعف وصحته ما تعرف السقما
هذا الكتاب الذي قد جاء جوهرة ... فريدة لم تنلها أيدي من وصما
قد تم تشبيه علياه بها فلذا ... علت له قيمة لما علت قيما
هذا الكتاب الذي نرجو الشفاء به ... هذا الكتاب الذي أسدى لنا نعما
هذا الكتاب الذي شاعت فضائله ... هذا الكتاب الذي به نستدفع الألما

هذا الكتاب الذي فيه الدواء لنا ... هذا الكتاب الذي بالسر قد وسما
هذا الكتاب الذي عمت منافعه ... هذا الكتاب الذي للداء قد حسما
من روضة كان فيها الشيخ ألفه ... عادت عليه بها الأسرار إذ رسما
يا حسنها روضة من طيب ساكنها ... هبت له نسمة قد أحيت النسما
لا يستلذ به إلا الخبير ولا ... يغوص في بحره من لم ينل قدما
فلا تعبه بتكرار حواه فلا ... يحلو مكرره إلا لمن فهما
كم قد كشفنا به من كربة عظمت ... وكم نفينا به هولاً إذا دهما
وكم جلبنا به من نعمة رجيت ... وكم طردنا به من حادث هجما
كأن أسطره من عنبر رقمت ... من فوق كافور طرس فيه قد رقما
تخاله روضة مخضلة بهرت ... وأن ألفاظه زهر قد انتما
ما للبخاري نظير في جلالته ... إذ صار في ذروة التمييز مستنما
وما سواه بإتقان الحديث جرى ... ومثله حافظ قد أمسك القلما
وقد كان وهو صغير السن مجتهدا ... وفي المبادئ دليل المنتهى وسما
فكان يعنى بجمع العلم منتخبا ... وكان ذا همة قد قامت الهمما
كأنما صدره بحر يموج ذكا ... على الورى فاض إحساناً بنا وطما
فإنما قلبه الأنوار إذ ظهرت ... وإنما ذهنه غيث قد ابتسما
شرقاً وغرباً على حفظ الحديث سرى ... بالعزم والحزم ما أخطا ولا وهما
أفنى على جمع أقوال الرسول له ... دهراً ولا عرباً أبقى ولا عجما
وألف شيخ له في الأرض وهو على ... أبوابهم دائر بالحرص متسما
حتى غدا وهو فرد في العلا وعلى ... تلك المشايخ في علم الحديث سما
كم قلبوا من أسانيد الحديث له ... ليخبروا علمه إذ جاء مكتتما
فخلطوها أسانيد كذا متنا ... بالأمس واقتسموها بينهم قسما
فردها مثل ما كانت وصحح ... ورتب الخلط منها فاجتلى التهما
فعند ذا عربد للحفظ موقعه ... وصار في علمه قدامهم علما
وما أضر به المكر الذي مكروا ... بل جاءهم بالحق يبهر الفهما

فما أضروا على جحد يسؤهم لكن ... قر له بالفضل من علما
وكل حفاظ بغداد له اعترفوا ... بأنه فرد حفظ مثله عرفا
وكلهم أخذوا عنه مآثره ... لما زكى بالزكا محفوظه ونما
ومسلم قام في عينيه قبله ... من حسن إنصاف للحق ما كتما
من بعدما رام تقبيلاً لأخمصه ... ولم يدعه البخاري يلثم القدما
هما الإمامان في علم ومعرفة ... وتوأما ثقة أعظم أخي بهما
جدواهما لم تزل في الخلق جارية ... كالبحر حين طما والغيث حين هما
لو قيل من فاق أهل الأرض قاطبة ... لم نرض من عنهما يعدل بنا حكما
أو قيل من واحد الدنيا بأجمعها ... في النقل والنقد والتحرير قيل هما
الله يجزيهما خيراً بما فعلا ... في جنة عرضها كأرضنا وسما
والله يشكر بالإفضال سعيهما ... والله يجمعنا يوم اللقا بهما
يا سيدي يا رسول الله يا سندي ... لولاك يا حيرتي كان الورى عدما
قلبي يحبك لا تخبر لواعجه ... يا من بحب له نستوجب النعما
يا من لطيبة منه طيب رائحة ... سرى العبير بها حتى عدا أمما
يا من لروضته الحسنا جميل بها ... وحرمة لم تفارق ذلك الحرما
أنت الحبيب الذي طاب الحديث به ... بطيب ذكرك نستحلي له نغما
أنت الرسول الذي جلت معارفه ... أنت الذي تسقي من بحرك العلما
أنت الذي للعلا فوق السما علا ... ونال من روية ما شأنه عظما
أنت الشفيع الذي أرضاه خالقه ... أنت الذي قد سما من فوق كل سما
أنت الذي بك في الدنيا وآخرة ... من عز جاهك لسنا نختشي نقما
ففي جمالك أمان الملتجي وبه ... من ربنا نرتجي الإفضال والكرما
أنت الذي لم يخب من أنت شافعه ... وأنت أوفى الورى يا مصطفى أمما
أنت المؤمل للخيرات أجمعها ... أنت الذي بك كل الناس قد رحما
وأنت أفضل من صلى وصام ومن ... لكل خصلة خير حن والتزما
وأنت أكمل من أم المقام ومن ... سعى ومس الركن واستلما

يا من صحابته نالوا بصحبته ... عزاً مكيناً تسامى قدره عظما
وبالذي وآله حازوا بنسبته ... فضلاً وأمته قد فاقت الأمما
أنت الشفيع ونحن المذنبون وما ... لنا ملاذ سواك يرتجى وحما
نرجو بك الله في عفو فليس يرى ... في جمعنا مذنب إلا وقد ندما
وما ذكرنا الذي قد كان من زلل ... إلا عرتنا هموم عبئها لزما
وما نظرنا إلى التقصير في عمل ... إلا نثرنا دموعاً خولطت بدما
وقد ختمنا حديثاً أنت قائله ... بحسن تقرير حبر راق إذ نعما
عناية منك نرجوها له ولنا ... يا من به ربه للرسل قد ختما
فاشفع لنا ولكل المسلمين فما ... غير سواك نرجوه معتصما
حاشا وكلا يخيب القصد منك وما ... شفعت في مسلم إلاَّ قدْ رحما
صلى عليه إله العرش ما عبست ... غمامة وأسالت وابلا حما
كذا عليك سلام الله ما قطبت ... سحابة ورآها البرق فابتسما

الحمد لله على ما هدى إليه من السداد، والشكر له على ما أسدى من نعمة الإبانة والتبيان. ونصلي ونسلم على سيدنا محمد البادئ الخاتم المبعوث بجوامع الكلم إعجازاً وإرسال بالقرآن المبين المتحدى به بلاغة وإحرازاً صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الأعلام ما جرت بأيدي الكرى الأقلام أما بعد فيقول العبيد إلى الله الغني أحمد بن المأمون البلغيثي الحسني إنه لما من الله علي بنعمة فؤاد الصحيح البصار على الشيخ الإمام الذي ليس له في مضمار التحقيق جاري العلامة المحقق المدقق النقاد من أضحت أئمة أنواع العلوم بسكك مقاله وسقاطة شيخ الجماعة المعتمد النقاعة صدر أهل التحريب بالحضرة السلطانية. وخطيب الحرم الإدريسي المعمور كرسي خطابة الفضائلية أعني القاضي أبا العباس سيدنا أحمد بن مسعود أكمل الله بالغض وعهوده رأيت من تحقيقاته الرفيعة ما حير العقول من نفيس علومه في المنقول والمعقول ما جرت أكثر الحمد على يسير أفضاله والضراعة إلى الله في محض بره بمزيد فوائده وأحواله.

أن أقل يا رب سلمك لنا ... مثالاً ليس جميع العالمين

وكنت همت بمدحه بقصيدة خدمة لذلك الوصيد لكن استعرقت من نفسي بالقصور عن أن أنيل على بعض مزاياه العظيمة وتحققت بالعجز عن وصف علومه وأخلاقه الكريمة

أما

صورة خطية لقصيدة أحمد بن المأمون البلغيثي

وما أراه بمستوعب منه فهم ولو تكلف لهم زهر النجوم علما
ثم إنه حبب الله لحبيبه البالغة إلى العلماء والصالحين واتخاذه له
السناء عليهم تنشئة كل حين أو من يحضر مجلسه من الزمن
بأن يحضروا فصيحة العارف بالله عمر بن أبي جمرة التي أنشأها بالإعلام
بختم الكتاب المذكور المتسربة على بعض فضله المشهور وأن
تقرأ على صوت واحد من حضر أداء البعض حق الإدام واعتقادا
لمدح سيد البشر فجرت إذ ذاك على كتبها وتسكينها وتفتح
لكسرها وتسكينها صار عنده الدخول تحت قول من كان تشمله
العمامة من مدحي ببيت شعر كنت له شفيعا يوم الفيصل منه
قال بعض العلماء الظاهر أنه لا يرجى به هذا الحديث بعينه
أو منشدا أو مستمع منشد

وما عجب أكرام الله لواحد ليعين تعدى العالمين وتكرم

فبذلت بالله مستعينا وكفى به ناصرا ومعينا.

هذا البخاري محمد الله فد ختما ختما به الفتح للأمال فد فتحا
كل الأماديث من محرى فد تليت وليس فيه حديث واحد كتما
لكن فد أنالها أبوابا معجبة كأنها عند رواها مسكما
من ضمن الجائحة تناله أو عيبة مملوءة أدبا معبرة حكما
وفد قرعنا به لاسماع فد نبهت إلى سماع صحاح الذكر كم صما
فصارت الأذن تستحلي تلاوته من بعد ما ملئت من قبله صمما
وأصبحت كل عين من بصائرنا قد نرى الحق إذ أصحى لنا علما

بشرى

تبصرة لما يلوح للفقير ما برحت ... للحق مبصرة ليست تخاف عمى

هذا الكتاب الذي ما كتاب مثله ... تبيان وتفصيل وكل ضعف به علما

ما خالطه المتن منه كلا ولا سندا ... ضعيف وحقه ما قهر السقما

هذا الكتاب الذي فرجاء جوهرة ... من يتكلم تناهى السير في وجل

فترجمة تشهد عليك بها بلغا ... علت له قيمة لما علت قيما

هذا الكتاب الذي فرح الشعراء به ... هذا الكتاب الذي أصبح عالما فهما

هذا الكتاب الذي ضاعت بضائله ... هذا الكتاب به نستدبع الأمما

هذا الكتاب الذي بهد الدواء لنا ... هذا الكتاب الذي بالشر فرصما

هذا الكتاب الذي عمت مذاهبه ... هذا الكتاب الذي للدواء فرجما

من روضة كان يهدا الشيخ أيده ... عادت عليه بهذا الأمر إذ رتما

بأحسنها روضة من كل ما التقطا ... هيأت له نسمة فراحت النسما

لا يستفز به لا الخير ولا ... يشوش به بحر من لم ينل فدما

فلا تعب بتكرار مواده فلا ... يخلو مكرر إلا من بهما

كم قد كشفنا به من كربة عظمت ... وكم أبنا به معوله إذا دهما

وكم جلبنا به من نعمة رحبت ... وكم كشفنا به من حادث عجما

كان الشكر من عني رفعت ... من عرف كل بمورد من قد رفما

فخالد روضة مخضلة بهرت ... وان البلاغة زهر فراقت النسما

ما البخار نكير جل قائله ... إذ هاز ذرى التمييز مستنما

وما سواه بكا تغلو الحديث حمى ... وقله حاز بحق قد أسكر الفطما

قد كان وهو صغير السن مجتهدا ... وفي المبادي دليل الشهم رسما

بكان

وكان يعني بجمع العلم منتخبا ... وكان ذا همة قد فاقت الهمما

كأنه صرح ممرد ذكا ... على الورى ساطع احسانا بنا وكما

كأنه قلبه للانوار اذ كشفت ... وانه ذهنه غيث قد ابتسما

كم فاز غر باعلى جنة الحرمين سرى ... بالعزم والجزم والاقدام كادهما

اقبل على جمع اقوال الرسول له ... دهرا وكان بها لا يبتغي بدلا

والله يعينه في الارض وهو على ... ابواب بعض دائر بالخير قد قسما

حتى غدا وهو بدر في العلا وبلى ... تلك المشايخ في علم الحرمين سما

كم طلبوا من اساطين الحرمين له ... ليخبر واعلمه اذ جاء وكتبما

بخلوهما اذ اساطين كذا قننا ... بالامر والتمسوا انهم فعلما

وزادها قبل ما كاتب وصحبها ... ورتب الخلك منها واجتلى النعما

بعشر ذا عربوا للحبك موقعه ... وصار في علمه قد اتقن علما

وما اخر به المكر الذي مكروا ... بل جاء هم بيبان يعرف العلما

بما اخر اعلى مجد يسوء هم ... لكن اقر لله بالعجز في علما

وكل حبانه بعد اذ له اعترفوا ... بانه فرد حبك قد له عدما

وكلهم اخذوا عنه مشاركي ... لما زكى بالذكا محبوكه وفما

ومسلم فاز في عينيه قبلته ... من حسن اخلاقه للحق ما كتما

من بعد ما راح تفهما اخمصه ... ولم يزعه البخل يلثم القدما

هما اللذان به علم ومعرفة ... وتوأما كنفت اعلى اخي بهما

جمع وما لم تزل في الخلق جارية ... يا البحر حيي كما والغيث جس هما

لو فيك من باق اهل الارض فاكتفت ... لم تزهق من عنهما يعيد لبنا حكما

اربد

او فيلق من واحد الفرد فيلقا باجمعها ... في النقل والنقد والتجر فيلقيما

فالله يجزي بعدها خير ايلا بعكما ... في جنة عرضها كارضنا وسما

والله يبكي بلا وصال سعيدها ... والله يجمعنا يوم اللقا بهما

يا سيدي يا رسول الله يا سندي ... لولاك يا جبتي كان الورى عدما

قلبي يحبك لا تحبو لو اعجبه ... يا من يحب له نشتو جب النعما

يا من لكينة منه كيب راحة ... سرى بعطا العبر حتى عدا الرما

يا من لمرضته الحسنا جميل جما ... وحرمة لي تباري ذل الحرما

انت الحبيب الذي جاب الحديث به ... انت الرسول الذي جلت معاجزه

انت الذي للملا بوعا السما عكما ... ونال من رؤيته ما تمنوه عكما

انت الشفيع الذي ارضا لخالقه ... انت الذي بك في الدنيا وفي امم

يبغي حماك اولوا الملتجى وبه ... انت الذي لم يخب من انت كفا بعه

انت المؤمل للخيرات اجمعها ... والله ارضاك من صلى طوى وسمى

والله اكرم من اوى الضعاف ومن ... يا من صحابته نالوا بصحبته

وسا الذي الدهاز وا بنسبته ... انت الشفيع ونحن المذنبون وما

انت الشفيع ونحن المذنبون وما ... وما الذي مكاذ سواك يرتجى حما

نرجو بك الله يا عمر وليس لنا ... يا جعفنا مذنب الا وقد نرما

وما ذكرنا من الاسلام قد كملا ... الا عرفنا لكم حقا لزما

وما نكرنا من التقصير في عمل ... كما نكرنا دموعا خونكت بدما

وقد خشينا عن قيدك فائلة ... نحس تغزين جبر ران اذهما

عنايتك منك نرجوها لنا ولنا ... يا من بدر به للاهل قد حتما

واتسع لنا ولكل المسلمين معا ... غير يسر اكتنا نرجو معيتكم

ما تملأ وكل يخيب النصر ذكرنا ... تشبعت بسلم الاوقد نرحما

صلى عليك الله العرش ما بعثت ... غمامة واصالت زاكيا نسما

كذا عليك سلام الله ما نكبت ... بعلة وزراها البرق ما ابتسما

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

نماذج من صور الطبعة الحجرية للكتاب

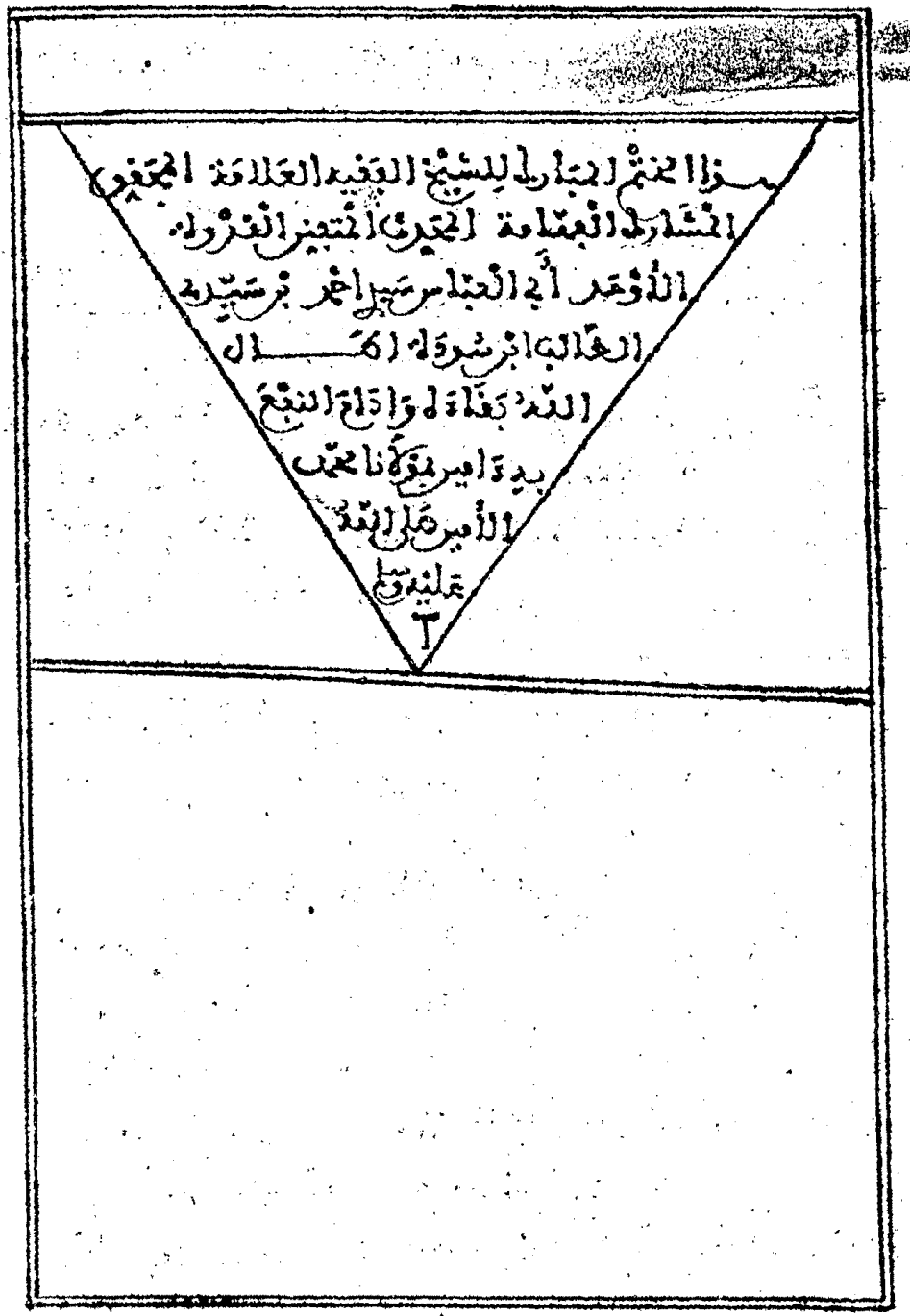

عنوان الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

الحمد لله على إفضاله وتعميم نواله والصلاة والسلام
على سيدنا ومولانا محمد خاتم الأرسال وقطب دائرة أهل الكمال
وعلى آله مرقى رتب وزال وما كملت شمس وغرب هلال وبعد
فيقول الفقير الغفير المعترف بالتقصير المتنزل بين يدي مولاه العلي الكبير
أحمد بن محمد الطالب ابن سودة له دام الله مراحب تنزله عليه مدرار
هذا وإني قد كنت مرة لقراءة أبيات الأعلام وسماع
الإسلام فسر الله أزواجهم بدار السلام وجعلهم مرجوا رتبة
تحليه الصلاة والسلام خرقت بنا عربة كلما رحبت بنا إلى
الرفيق المنتظم بين البخل وتعظيم الجناب وتمنى شيمانه
استمر العز والتأبيد والتنوير والتسرير فإنه شيمانه
لا يخيب مرسالة وأن يفعم أمسانة عمر الله ولا تزحزح عنه
ولا خير إلا خيره وتمميته بغرائه جمعته عمور البابة
على مر الدهر وآخر قراءة صحيح الإمام البخاري رضي الله عنه
وأرضاه وصلى الله على روحه ورضاه ونعماه وبالسند إليه رضي الله
عنه قال قال الله تعالى وضع
المؤمن الفسطل ليوم القيامة
أعتر رحمه الله فاتحة جميعه من لفظ باب بدء الخلق كذا بخطه

قول الشيخ ميارة
إلخ تصحيح لما
وقع في بعض
النسخ

الورقة الأولى

وعرج البلاد منهم بجميع الضجيج من جميع بلادها فما استراحت نفس
زهدته خرابها وما اكتسف بالها فلم يلفها ثابتا اللهم
ان كنت لا تقبل الا من المتقين فلمن يلجأ المقصرون وان كنت
لا ترحم الا المحسنين فلمن يلجأ المسيئون بتغمد اللهم جميع
منا برحمتك واشبع عليلنا جميعا راقيتك ورحمتك يا ارحم الراحمين
يا رب العالمين اللهم ان عفوك اعظم من عفونا ورحمتك
اوسع من رحمتنا فتقبل اللهم من محسننا وهما بنا وتجاوز
عن مسيئنا بمنن خزائنك ولا ترد نا عن رحمتك فكم رددت ولا من باب
اجابتك مردود يا رب اللهم انك اخبرتنا اخبرتنا من كتابك الذي
عظمتك منه وشرفت منزلته اللهم عابنا من اتباع الهوى
وشغله بنا وارزقنا ان نكون ابدا لك ولا تشغلنا بما نزل الجليس
رحمتك ولا تحرمنا بما بيده من فضلك وكرامتك انك على كل شيء قدير
اللهم اجعل كلمة الاسلام واجعل عملك اليد العليا وانصرنا
على عبدة الاوثان يا ذا الجلال والاكرام اللهم انصر
اميرنا المسلمين ووسع له في ارضك اوسع التمكين واشدد وطأته
على المعتدين واصلح بسلامتك امر الرئيس والمرؤس انك انت
الغفور الرحيم وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين
وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد المبعوث
الى الثقلين وخاتم النبيين
والمرسلين والحمد لله
رب العالمين

الورقة الأخيرة

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

النص المحقق

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

مقدمة

الحمد لله على إفضاله وعظيم نواله، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد خاتم الأرسال، وقطب دائرة أهل الكمال، وعلى كل مَن له مِن صحب وآل، ما طلعت شمس، وغرب هلال.

وبعد، فيقول العبد الفقير الحقير، المتذلل بين يدي مولاه، العلي الكبير، أحمد بن الطالب ابن سودة، لا زالت مواهب مولاه عليه ممدودة، هذه دُرَرٌ اقتطفتها من مؤلفات أئمتنا الأعلام، ومشايخ الإسلام، قدس الله أرواحهم في دار السلام، وجعلهم من جوار نبيِّه عليه الصلاة والسلام، خَدَمْتُ بها حديث: «**كلمتان حبيبتان إلى الرحمٰن**»، المتضمن لجزيل الفضل، وعظيم الإحسان، ومنه سبحانه أستمد العون والتأييد، والتوفيق والتسديد، فإنه سبحانه لا يخيب من سأله، ولا يقطع إحسانه عمَّن أمَّله، ولا مَرجُوَّ غيره، ولا خير إلا خيره. وسميته بعد إذ جمعته: «عون الباري على فهم آخر تراجم صحيح الإمام البخاري» رضي الله عنه وأرضاه، ووالى على روحه رضاه ونعماه، وبالسند إليه رضي الله عنه قال:

باب قول الله تعالى ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾

أعرى[1] رحمه الله فاتحة صحيحه من لفظ باب فقال: كيف كان بدء الوحي لأن كل ما يأتي بعدها عنها يتفرع، فهي أم الأبواب، فلا يكون قسيماً لها، ولما كان أصل عصمة المكلف أولاً وآخراً هو توحيد الله تعالى، ابتدأ صحيحه بكتاب الإيمان، وختمه بكتاب التوحيد، وابتدأ أحاديث صحيحه بحديث: «**إنما الأعمال بالنيات**» وختمها بأن أعمال بني آدم وقولهم يوزن، إيماءً إلى أنه إنما يقبل الله من الأعمال ما كان بنية خالصة لله تعالى، وهو معنى حديث: «**كلمتان حبيبتان إلى الرحمٰن**»، ولما كان آخر ما يظهر به المفلح من الخاسر هو ثقل الموازين وخفتها جعل ذلك آخر أبواب صحيحه، وساق الآية المذكورة مترجماً بها لمناسبة وهي أنها آخر خطابات قريش في سورة الأنبياء عليهم السلام كما قاله الشيخ الصاوي مُحشِّي المحلي، فللَّه درُّه ما أدق نظره، وأغزر علمه، والآية سيقت في النظم الكريم لبيان ما سيقع عند إتيان ما أنذروه، أي: ونحضر الموازين، والموازين جمع ميزان، ويأتي في الحديث ثقيلتان في الميزان بالإفراد وهو المشهور وقول الجمهور، وأجابوا بأن الجمع في الآية لإظهار جلالة الأمر، وعظمة المقام.

قال الحافظ: «يحتمل أن الجمع للتفخيم كما في قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الشعراء: ١٠٥] مع أنه لم يُرْسَل إليهم إلا واحد، والذي يترجح أنه ميزان واحد، ولا يشكل بكثرة من يوزن عمله، لأن أحوال القيامة لا تكيف بأحوال الدنيا».

والقِسط: بكسر القاف بمعنى العدل اسم مصدر أقسط قال في «المصباح»: «قسط قسطاً من باب ضرب، جَارَ وعدَل فهو من الأضداد،

---

(١) قول الشيخ هنا (أعرى) فاتحة صحيحه من لفظ (باب) فقال: (كيف) هذا على رواية أبي ذر والأصيلي لصحيح البخاري وأما على رواية غيرهما له فلفظ (باب) ثابت قبل قوله: (كيف) ما بيَّنه الحافظ وغيره، ثم وجدت ما ذكره الشيخ هنا قاله الحافظ في ترجمة مناسبة ترتيب تراجم البخاري من مقدمة (الفتح) ـ مؤلف ـ.

قاله ابن القطاع، وأقسط بالألف عدل والاسم القسط بالكسر، ثم قال: والقُسط بالضم بخور معروف. قال ابن فارس عربي» فانظره مع ظاهر عبارتهم من أنه في الآية مصدر وصف به للمبالغة، قال في «الخلاصة»: ونعتوا بمصدر كثيراً، البيت، والمعنى: ونحضر الموازين العادلة، أو ذوات العدل، ولك أن تجيب بحمل كلامهم على التجوُّز.

ويؤخذ من «المصباح» أن القسط مثلث الفاء وقد نظمه الفاضل أفندي في نظمه المسمى «نيل الأرب» فقال:

والجَورُ والتفْرِيقُ ذاك قَسْطُ ... عَدلٌ ومقْدَارُ ووَزْنٌ قِسْطُ
لِرُكَبٍ غَلِيظَةٍ قُل قُسْطُ ... واسْم إلى عود بخور عِطْرُ

واللام في ليوم القيامة بمعنى في، كما في المحلي، واختاره غير واحد، وهي تفيد الاختصاص، أي: اختصاص الفعل بالزمان، والفعل هنا هو الوضع بمعنى الإحضار.

قال الرَّضي: والاختصاص أضرب ثلاثة:

١ ـ اختصاص الفعل بالزمان لوقوعه فيه نحو: كتبته لغرة كذا.

٢ ـ واختصاصه به لوقوعه بعده، نحو: قدمت لخمس خلون منه.

٣ ـ واختصاصه به لوقوعه قبله، نحو: سافرت لخمس بقين منه.

وعند الإطلاق تنصرف للأول، وعند القرينة لما دلت عليه القرينة، وهذه اللام هي المسماة بلام التأقيت ومعنى التأقيت أنها حَدٌّ لما تعلقت به لا لأنها وقت كذا.

❋ ❋ ❋

وأن أعمال بني آدم وقولهم يوزن

وفي رواية (وأقوالهم) والهمزة في أن بالفتح، فالواو عاطفة على مدخول باب الذي هو المضاف إليه، ويجوز كسرها فالواو للاستئناف،

وعَطف القول على الأعمال من عطف المغاير، إذا قلنا: إن مورد الأعمال غير اللسان، ومورد القول اللسان، أو من عطف الأخص على الأعم، إذا قلنا بعموم مورد الأعمال الصادق باللسان وبقية الجوارح، وجاء بالقول لمزيد الاهتمام به، من حيثُ شموله للتلاوة وهي المسألة[1] التي كان

---

(١) (مسألةُ اللفظ) أو (مسألةُ خلق القرآن) ـ وقد سُمّيت في التاريخ باسم (المِحنة) أيضاً ـ يكثر ذكرُها والتعليلُ بها والإحالةُ إليها، في كتب الجرح والتعديل وكتب الرجال والرواة والضعفاء والتاريخ. وهي بالنظر لتقادم عهدها يَغمُض المرادُ منها، ويخفى تاريخها على كثير من طلبة العلم في عصرنا فضلاً عن غيرهم.

وقد ذكر العلامة الشيخ عبدالفتاح أبو غدة رحمه الله تعالى كلمة موجزة عن منشئها وتاريخها فقال:

اتفقت كتب التاريخ والنِّحَل على أن أوّل من قال بخلق القرآن هو (الجَعْد بن درهم)، ثم (جهم بن صفوان)، ثم تبعهما (بِشْر ابن غِياث المَرِيسي)، كما يظهر ذلك من كتاب «شرح السنَّة» للحافظ اللالكائي، ومن كتاب «الردّ على الجهمية» لابن أبي حاتم الرازي، وغيرِهما.

وقد قُتلَ (الجعد بن درهم) على الزندقة والإلحاد نحو سنة ١١٨ من الهجرة، في أواخر عهد الدولة الأموية، وقُتل (جهم بن صفوان) في سنة ١٢٨، لخروجه بالسيف مع الحارث بن سُرَيج على أُمراء خراسان، وأما (بِشر بن غياث المريسي) فمات في بغداد سنة ٢١٨ عن نحو ٧٠ سنة.

قال الحافظ الذهبي في «العِبَر» ١: ٣٧٣ «وفي سنة ٢١٨ توفي بِشْر المريسي الفقيه المتكلّم، وكان داعيةً إلى القول بخلق القرآن، هلك في آخر السنة، ولم يشيّعه أحد من العلماء، وحَكَمَ بكفره طائفةٌ من الأئمة». وقال في «ميزان الاعتدال» ١: ٣٢٢ «ولم يُدرِك بِشْر: الجهمَ بن صفوان، وإنما أخَذ مقالته، واحتج لها، ودعا إليها، وكان والد بِشْر يهودياً قصّاباً صبّاغاً في سُويقة نصر بن مالك، وأُخذ في دولة الرشيد، وأُوذي لأجل مقالته». انتهى. وخلافة الرشيد كانت سنة ١٧٠، إلى وفاته سنة ١٩٣.

وقد ظهرت هذه الفتنة بعضَ الظهور في زمن الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى ـ ولد سنة ٨٠ وتوفي سنة ١٥٠ـ فقال فيها قولاً فصلاً، ورَدّ على ناشريها، فأسكتهم إلى حين. كما رواه ابن أبي العوّام الحافظ، ونقَلَه عنه شيخنا العلامة الكوثري في «تأنيب الخطيب» ص٥٥، وكما أشار إليه ابن قتيبة مع التقدير والاستحسان لذلك الموقف من أبي حنيفة في كتاب «الاختلاف في اللفظ» ص٥٦.

وقال شيخنا الكوثري رحمه الله تعالى في «تأنيب الخطيب» ص٥٣: «ولم يَحُل قتلُ جهم دون ذيوع رأيه في القرآن، فافتَتَن به أُناس فشايعه مشايعون، ونافره منافرون، =

امتحانه فيها لأنه ابتلي في عصره بمن يقول إنها قديمة كالمتلُوّ، وهذه الترجمة من نمط ما قبلها فيَ الرد على القدرية والجبرية.

= فحصلت الحَيْدةُ عن العدل إلى إفراط وتفريط، من غير معرفة كثيرٍ منهم لمغزى هذا المبتدع؛ أُناسٌ جاروه في نفي الكلام النفسي، وأناسٌ قالوا في معاكستِه بقِدَم الكلام اللفظي.

ولما رأى أبو حنيفة ذلك، تدارك الأمر وأبان الحق فقال: ما قام بالله غيرُ مخلوق، وما قام بالخلق مخلوق. يريد أن كلام الله باعتبار قيامه بالله صفةٌ له كباقي صفاته في القِدَم، وأما ما في ألسنة التالين، وأذهان الحفاظ، والمصاحف، من الأَصوات، والصُّوَر الذهنية، والنقوش فمخلوق كخَلْق حامليها. فاستقرت آراءُ أهل العلم والفَهْم على ذلك بعده». انتهى.

ولكن مع هذا لم تنطفئ هذه الفتنة، فاستمرت تظهر وتختفي إلى عهد الخليفة المأمون العباسي، فأخذَت في عهده مأخذَها من الظهور والتمكّن، واعتقدها المأمون اعتقاداً، وتبنّى القول بخلق القرآن مقتنعاً برأي المعتزلة في هذه المسألة أتمّ اقتناع. وأخذ يدعو العلماء والقضاة والمحدّثين والرواة إلى القول بخلق القرآن، ويضطهدهم على ذلك، وكان ذلك في السنة الأخيرة من حياته وخلافته سنة ٢١٨.

واستمرت هذه الفتنة من بعد عهد المأمون سنة ٢١٨، إلى عهد المعتصم، ثم إلى عهد الواثق، ثم إلى أول عهد المتوكل سنة ٢٣٢، فلمّا تولى المتوكل الخلافة لم يتحمّس للقول بخلق القرآن، كما كان عليه أسلافُه الخلفاء الثلاثة، بل قد نهى عن القول بخلق القرآن في سنة وكتَب بذلك إلى الآفاق، فانطفأت الفتنة التي أقلقت الدولة والناس.

ولقي العلماءُ والمحدّثون صُنوفَ الإرهاق طول هذه المدة ـ ١٥ سنة ـ، فمنهم من أجاب خوفاً من السيف، ومنهم من أجاب مرغماً من غير أن يَعقل المعنى، ومنهم من تورّع عن الخوض فيما لم يخض فيه السلف، ومنهم من أبى أن يجيب وصرّح بأن القرآن غير مخلوق، وصبروا على ما نالهم من العذاب والموت في سبيل ذلك.

قال: «وجُرح بسببها الإمام البخاري رضي الله عنه»!

قال الإمام تاج الدين السبكي في «قاعدة في الجرح والتعديل» ص١٢: «ومما ينبغي أن يُتَفَقّد عند الجرح: حالُ العقائد واختلافُها بالنسبة إلى الجارح والمجروح، فربما خالف الجارحُ المجروحَ في العقيدة، فجرحه لذلك.

ومن أمثلة ذلك قولُ بعضهم في البخاري: تركه أبو زرعة وأبو حاتم من أجل مسألة اللفظ. فيا لله والمسلمين أيجوز لأحد أن يقول: البخاريّ متروك؟! وهو حاملُ لواء الصناعة، ومقدّمُ أهل السنّة والجماعة. ثم يا لله والمسلمين أتُجعَلُ مَمادحُه مَذامّ؟! فإن الحق في (مسألة اللفظ) معه، إذ لا يستريب عاقل من المخلوقين في أن تلفظه من=

فائدة: قال في «القاموس»: «والجبر خلاف القدر ثم قال: والجبرية بالتحريك خلاف القدَرية والتسكين لَحْن أو هو الصواب، والتحريك للأزواج».

قال شارحه: «وهو الظاهر الجاري على القياس». ومن ثَم اقتصر عليه الحافظ، ووجه الرد عليهما أنه بعدما بطل فيما تقدم قول القدرية أن العبد يخلق أفعاله الاختيارية بحسب قصده وإرادته، بيَّن هنا أن إضافة الأعمال والأقوال إلى العبد ليست إضافة إيجاد واختراع كما يقول القدري وإنما هي إضافة كسب واكتساب تُضاف إلى العبد شرعاً لا حقيقة، وأنها توزن لهم

= أفعاله الحادثة التي هي مخلوقة لله تعالى، وإنما أنكرها الإمام أحمد رضي الله عنه لبشاعة لفظها».

قال شيخنا المحقّق الكوثري رحمه الله تعالى في تعليقه على «شروط الأئمة الخمسة» للحازمي ص٢١ ـ ٢٢: «قال الذهبي في «تذكرة الحفّاظ» ص٨٩٥ عند ترجمة الحافظ أبي الوليد حسان بن محمد النيسابوري: قال الحاكم: سمعت أبا الوليد يقول: قال أبي: أيَّ كتاب تجمع؟ قلتُ: أُخَرِّجُ على «كتاب» البخاري، قال: عليك بـ«كتاب» مسلم، فإنه أكثر بركة، فإن البخاري كان يُنسَبُ إلى اللفظ. قال ابنُ الذّهبي: ومسلمٌ أيضاً منسوب إلى اللفظ، والمسألة مشكلة. اهـ.

يُشير إلى ما وقع بين البخاري وشيخه محمد بن يحيى الذُّهلي، حين قَدِمَ البخاري نيسابور وسألوه عن اللفظ، فقال: القرآنُ كلامُ الله: غيرُ مخلوق، وأعمالُنا مخلوقة. قال أبو حامد بن الشَّرْقي: سمعتُ الذهلي يقول: القرآنُ كلام الله غيرُ مخلوق، ومن زعم لفظي بالقرآن مخلوق، فهو مبتدِع، لا يجلس إلينا. ولا نُكلِّمُ بعد هذا من يَذهَبُ إلى محمد بن إسماعيل البخاري.

فانقطع الناس عن البخاري إلا مسلم بن الحجاج وأحمد بن سلمة، وبَعث مسلم إلى الذهلي جميعَ ما كانَ كتَبَ عنه على ظهر حَمَّال. وقال الذهلي: لا يُساكنني محمد بن إسماعيل في البلد، فخشي البخاري على نفسه وسافر منها.

ومسلم لم يُخرِج بعد ذلك لا عن الذهلي ولا عن البخاري. وأما البخاري فأخرج حديث الذهلي في «صحيحه»، ـ في مقدار ثلاثين موضعاً قاله ابن خلكان في ترجمة مسلم ـ مع ما جرى بينهما، إلا أنه كان يقول: حدّثنا محمد، أو: حدّثنا محمد بن خالد، ينسبه إلى جدّه، أخذاً بعلمه، ودفعاً لما يُتوهَّمُ من أنّ شيخَه محقٌ في طعنه لو صَرّح باسمه. (مسألة خلق القرآن) ص: ١٨ ـ ١٩.

فيثاب المحسن، ويعاقب المسيء، فتوسط رحمه الله بين مذهب القدرية والجبرية، سالكاً في ذلك مسلك أهل السنَّة الذين نسبوا الأفعال إلى الله خلقاً وإيجاداً، وإلى العباد كسباً وشرعاً، ورد بذلك على الجبرية الذين فرطوا وقالوا: بالجبر والاضطرار إلى العمل وإنما ينسب الفعل إلى العبد مجازاً غير أن يكون مستصيغاً لشيء، وعلى القدرية الذين فرطوا وقالوا: العبد يستقل بخلق أفعاله على حسب قضده وإرادته، وإن نسبتها إليه نسبة إيجاد واختراع، فخرج مذهب أهل السنة من بين فرْثِ الجبر، ونجاسة ذي الشرك لبناً خالصاً سائغاً للشاربين.

قيل لسيدنا جعفر الصادق رضي الله عنه: هل يجبر الله خلقه على أفعالهم؟ أي: كما يقول الجبرية.

فقال: الله أعدل من ذلك.

فقيل له: وهو يفوض لهم في أفعالهم، أي: كما يقول القدرية.

فقال: الله أعزّ من ذلك، ولو فوَّض لهم لما كان في يده الأمر والنهي، ولو جبرهم لما ترتب لهم الثواب والعقاب.

فقيل له: فماذا العلم إذن؟

فقال: هناك دقيقة وهو ما بين السماء والأرض».

وقال أبو جعفر الفرغاني: «من قرأ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ فقد برئ من الجبر والقدر، لأن الآية رادة عليهم».

لأن إسناد العبادة إلى العبد يرد على الجبرية، وطلب العبد العون من الله يرد على القدرية.

وقال العارف بالله ابن أبي جمرة: «أفعال العباد خلق للرب سبحانه، وكسب للعبد، ولا التفات إلى الكيفية، وتعليق الثواب على الطاعة.

والعقاب على المخالفات علة شرعية لا عقلية، ولما كان سبحانه لا يدرك بالعقل ولا يصور بالوهم، بل السبيل إلى معرفته العجز عن معرفته،

كما أشار إليه الصدّيق رضي الله عنه، صح مذهب أهل السنَّة بلا شك ولا ريب».

وأشار رضي الله عنه بقوله: (ولا التفات) إلخ، إلى العجز عن الوصول إلى معنى الكسب الذي قال به الأشعري، فإن جميع ما فسروه به لا يخلو عن استشكال، حتى قيل: أخفى من كسب الأشعري.

قال في «المواقف» ممزوجاً بكلام شارحه الشريف الجرجاني: «جميع ما جاء به الشرع الكريم من الصراط، والميزان، والحساب، وقراءة الكتب، والحوض، وشهادة الأعضاء كله حق بلا تأويل عند أكثر الأمة، والعمدة في إثباتها، إمكانها في نفسها إذ لا يلزم من فرض وقوعها محال لذاته مع أخبار الصادق عنها.

وأجمع عليها المسلمون قبل ظهور المخالف، ونطق به الكتاب، وكتب الأحاديث ممتلئة بذلك جدّاً، بحيث تواتر القدر المشترك ولم يبق لمنصف فيه اشتباه، ثم قال: وأما الميزان فأنكره المعتزلة عن آخرهم إلا أن منهم من أحاله عقلاً، ومنهم من جوزه ولم يحكم بثبوته، وقال: يجب أن يحمل ما ورد في القرآن على رعاية العدل والإنصاف بحيث لا يقع فيه تفاوت أصلاً، لا على آلة الوزن الحقيقي، ثم أجاب عن شبهتهم بما تقدم».

قال السعد: «والعقل قاصر عن إدراك هيئة الميزان».

وقال اللقاني: «والحمل على الحقيقة ممكن، لكن نمسك عن تعيين جوهره، وعدَّ العارف بالله ابن عباد في «رسائله الكبرى»[1] «من التكلف الذي نهينا عنه تطلب الكيفيات للأمور الأخروية» ووجهه أن المسألة من باب الاعتقاد لا من باب العمل حتى يكفي في ثبوته خبر الآحاد.

قال الموَّاق نقلاً عن ابن حبيب: «أن الأمير كتب إلى زياد يسأله عن كفتي الميزان، فأجابه: حدثني مالك عن ابن شهاب أن رسول الله ﷺ نهانا عن تكلف ما لا يعنينا وسترد فتعلم والسلام».

---

(١) وتسمى (نزهة الناظر المتأمل وقيد السائر المستعجل) وهي قيد الطبع بتحقيقنا.

قال السعد: «والحكمة في هذه المحاسبات والأهوال، مع أن المحاسب خبير، والناقد بصير، ظهور مراتب أرباب الكمال، وفضائح أرباب النقصان على رؤوس الأشهاد، زيادة في لذات هؤلاء ومسرَّاتهم، وآلام أولئك وأحزانهم، ثم هذا ترغيب في الحسنات، وزجر عن السيِّئات، وهل يظهر أثر هذه الأحوال في الأنبياء والصلحاء والأتقياء تَرَدُّدٌ، والظاهر السلامة لقوله تعالى: ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟﴾ [فصلت: ٣٠]. ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يونس: ٦٢].

وقال شارح «دلائل الخيرات» عند قوله: «فاجعل محمداً في الأصدقين قيلاً، والأحسنين عملاً» نقلاً عن غيره أن الأنبياء لا حساب عليهم، وكذلك أطفال المؤمنين، والعشرة المبشَّرين بالجنة، هذا في حساب المناقشة. أما حساب العرض فللأنبياء والصحابة، وأخرج أحمد وابن جرير والحاكم بسند صحيح عن عائشة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول في بعض صلاته: «**اللهم حاسبني حساباً يسيراً**» فلما انصرف قلت: يا رسول الله ما الحساب اليسير؟ قال: «**أن ينظر في كتابه فيتجاوز له عنه إنه من نوقش الحساب يا عائشة هلك**» ثم قال: ودعاؤه في هذا الحديث يحتمل أنه على ظاهره، ويحتمل أنه لتشريع الدعاء بذلك، فانظره إن شئت.

وقد قالوا: إن الوزن فرع الحساب فحرز ما أرادوا بالحساب هل مطلقاً أو حساب المناقشة فقط؟ وسكت شارح الدليل عن الوزن في شرحه الصغير عند قول «الدّليل»: «وثقل ميزانه وأبلج حجته».

وقال الحافظ ابن حجر: «وظاهر قوله بني آدم التعميم لكن خص منه طائفتان: فمن الكفار من لا ذنب له إلا الكفر ولم يعمل حسنة فإنه يقع في النار من غير حساب ولا ميزان، ومن المؤمنين من لا سيئة له، وله حسنات كثيرة زائدة على محض الإيمان، فهذا يدخل الجنة بغير حساب، كما في قصة السبعين ألفاً ومن شاء الله أن يلحقهم بهم، وهم الذين يمرون على الصراط كالبرق الخاطف، وكالريح، وكأجاويد الخيل، ومن عدى هذين من الكفار والمؤمنين يحاسبون، وتعرض أعمالهم على الموازين».

وأما قوله تعالى: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥] ففيه تأويلات منها: قول المحلي: «أي لا نجعل لهم مَدْراً» أي: أنه يُزدرى بهم ويُستذَلُّون، فلا ينافي أن الكفار على التحقيق توزن أعمالهم.

أما الملائكة فصرح الحليمي وغيره بأنه لا حساب عليهم، قال ابن حجر الهيتمي: «وهو يقتضي أنه لا تزن أعمالهم لأن الوزن فرع الحساب».

وأما الجن فكافرهم في النار اتفاقاً، وأما مؤمنهم فالصحيح أنهم يثابون على الطاعة، وأنهم يدخلون الجنة، هذا ما وقفت عليه الآن، وسكتوا عن حسابهم ووزن أعمالهم.

قال بعض المحققين: المشهور أنه يحضر الميزان جميع الأمم، وتوضع فيه جميع الأعمال التي توزن، وأن الله تعالى يخلق علماً ضرورياً في صاحب العلْم يعلم به مقدار أعماله، وأن وقت الوزن بعد الحساب، ثم إن ظاهر قول الإمام البخاري رضي الله عنه وأن أعمال بني آدم وقولهم يُوزن، إن الأعمال نفسها توزن وهو ظاهر حديث الباب أيضاً. وقد أبى المتكلمون من إبقاء ذلك وأمثاله، على ظاهره، وقالوا: إن الأعمال أعراض يستحيل عقلاً وزنها، لأنها لا تقوم بنفسها، ولا توصف بخفة ولا ثقل، ومن ثمَّ ذهب القرطبي وغيره إلى أن الذي يوزن هو صحف الأعمال واستدل له بحديث البطاقة الآتي، ورد استدلاله بالصحيفة الملا إبراهيم الكوراني كما في «شرح المراصد» بأن الصحف ليست محسوسة في الدنيا بالضرورة، ويوضحه ما ذكره الجلال السيوطي في «الدر المنثور» عند قوله تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ﴾ [ق: ١٧] الآيتين، من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه مرفوعاً: «**إن الله كلف الملكين الحافظين حتى أجلسهما على الناجذين وجعل لسانه قلمهما وريقه مدادهما**»، ولا شك أن الإنسان ليس في وسط فمه صحيفة محسوسة، وإنما هي صحيفة معنوية أي غير محسوسة في الدنيا، فإن قال بتجسدها في الآخرة، وتظهر في صورة الأجساد، فقد لزِمَه القول بتجسد المعاني، وجعل غير المحسوس محسوساً، ومن لا يقول به في الأعمال لا يقول به في الصحف أيضاً بلا شبهة، فالإشكال باق عنده، ومن قال به في الأعمال فلا يحتاج إلى هذا والله أعلم».

قال العارف بالله الفاسي: «الصحيح أن المعاني تتمثل في عالم الملكوت، ويقرب ذلك النوم فإنه يظهر فيه أمور تدل على ذلك».

وقال العلامة ابن زكري في «حواشيه على البخاري»: «للمعاني في علم الله صور وأشكال، فللطاعات صور نورانية، وللمعاصي صور ظلمانية، على الصحيح، وبه تفهم آيات وأحاديث كحديث: «**ثم جاء بطست من ذهب فامتلئ حكمة وإيماناً**»».

وقال الشيخ عبدالغفار في كتاب التوحيد: «المعاني تتشكل ولا يمتنع ذلك، ثم قال: وجنود الله المعنوية لا تدخل تحت العبارة، ولا يشهد صورها إلا صاحب معجزة أو كرامة، وكل ما يقع لأولياء الله مما هو خرق للعادة في هذه الدار فإنه عادة في عالم البرزخ وعالم الآخرة».

وللحافظ الجلال السيوطي رسالة فيها سماها: «**المعاني الدقيقة في إدراك الحقيقة**» قال فيها: «إن أرباب الحقيقة عدُّوا من وجوه الكشف الاطلاع على صور المعاني المعقولة في هيئة الأجسام المشخصة» ثم ذكر أن رؤيا المنام من ذلك. إلى آخر كلامه النفيس، وقد نقله شارح الدليل، وشارح المراصد بالتسليم والقبول، وراجع العارف ابن أبي جمرة عند حديث شق صدره الشريف، وفذلكة الكلام أن الذي عليه أهل الكشف وأهل الحديث هو خلاف ما عليه المتكلمون.

قال الفاسي في «شرح الدليل»: «والصلاة معنى من المعاني وهذه الأمور إنما تعقل من صفات الذوات دون المعاني ولكن وردت نظائرها كثيراً في القرآن والأحاديث الصحيحة وغيرها صريحاً وظاهراً. وذلك شهير لا نطيل به، وهو يدل على جوهرية المعاني في حقيقتها، أو تجسمها فيما بعد، وقيامها بأنفسها على كِلاَ الأمرين والمتكلمون يأبون من ذلك، ويحيلونه ويأولونه، وغيرهم من أهل الحديث والتصوف يجيز ذلك ويُسَلمه ويبقيه على ظاهره».

وقال في «شرح المراصد» بعد أن أطال النفس في ذلك ما نصه:

«وعلى هذا فقوله تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ [النجم: ٣٩، ٤٠] ونحو ذلك من الآيات.

وقوله ﷺ: «**كلمتان حبيبتان إلى الرحمٰن، خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم**» ونحوه من الأحاديث كلها على ظاهرها والله أعلم.

وحديث البطاقة أخرجه الترمذي وحسَّنه وهو حديث مشهور عند المحدثين في المسلسلات عن عبدالله بن عمرو بن العاص، وقد ترجم عليه الإمام الترمذي بقوله: باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله، ثم ذكر سنده إلى عبدالله مرفوعاً إلى النبي ﷺ: «**سيخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً، كل سجل مثل مد البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئاً، أظلمك كتبتي الحافظون، فيقول: لا يا رب، فيقول: أفلك عذر، فيقول: لا يا رب، فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة فإنه لا ظلم عليك اليوم، فتخرج بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله فيقول: أحضر وزنك، فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات، فيقال: إنك لا تظلم، قال: فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات، وثقلت البطاقة، فلا يثقل مع اسم الله شيء**».

قال أبو القاسم الحراني: لما أملى علينا أبو القاسم الكناني هذا الحديث، وكان في الحلقة رجل غريب صاح صيحة فاضت معها نفسه وأنا من حضر جنازته، وصلى الناس عليه رحمه الله.

قال العارف بالله في «حواشيه على السنوسية» والحافظ السيوطي في «قوت المغتذي» ما ملخصه: «إن هذه الشهادة هي غير التي يخرج بها من الكفر، فتكون صدرت منه بعد شهادة الإيمان على وجه الذكر لله تعالى والتعظيم، طاعةً منه أراد بها وجه الله تعالى، ولو كانت شهادة الإيمان لكان هذا في كل مؤمن ولو كان كذلك لم يدخل مؤمن النار، وهو خلاف الواقع من أنه لا بد من نفوذ الوعيد في طائفة من المؤمنين».

زاد السيوطي في «قوت المغتذي»: «ويدل على هذا قوله في الحديث: «**بلى إن لك عندنا حسنة**» ولم يقل إن لك عندنا إيماناً. وسئل رسول الله ﷺ عن لا إله إلا الله، أَمِنَ الحسنات هي؟ قال: **هي من أعظم الحسنات**».

تنبيه وإيقاظ: قال ابن زكري في «شرح الحكم» عند قوله: (لا تترك الذكر) ما نصه: «قال الشيخ عبدالرزاق العثماني رحمه الله تعالى لما تكلم على ذكر لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ، وليستحضر عند تكميلها بمحمد رسول الله بين عينيه ذاته الكريمة بشرية من نور في ثياب من نور مراعاة لحقيقة بشريته، وتبعية ثيابه لكمال معجزته، فإن لم يرزق تشخص صورته فيرى كأنه جالس عند قبره المبارك يشير إليه متى ذكره، فإن القلب وعاء متى شغله شيء امتنع من قبول غيره في الوقت، فإن لم يرزق ذلك كله، فليشتغل قلبه بالإنصات إلى ما يتكلم به لسانه عما تحدث به نفسه، فإن كانت نفسه فياضة الحديث، ولم يستطع مراجعة حديثها عن قلبه بوجه ولا بحال، فحكم علل العوالم الباطنة في الأذكار، كحكم علل الجوارح الظاهرة في الأعذار، فيكون حكم كحكم صاحب السَّلِس فإن عذره لا يمنعه من عبادة الله، ولا ينقص من أجره عند الله» قف عليه.

❋ ❋ ❋

معنى القسطاس

وقال مجاهد: القسطاس العدل بالرومية، قرأه حفص والأخوان بكسر القاف في الإسراء، والشعراء، وقوَّاه بالضم الباقون في الموضعين، وهما لغتان، وليس مأخوذاً من القسط خلافاً لمن وهم، لأن القسط لم يقل أحد أنه معرب، وبقول مجاهد قال ابن دريد من أنه معرب من الرومية. وقال في «جمع الجوامع»: المعرب ليس في القرآن.

قال الجلال المحلي: أجيب بأن هذه الألفاظ ونحوها اتفق فيها لغة

العرب ولغة غيرهم، وقد أشبع الكلام على المسألة السيوطي في «الإتقان» في النوع الثامن والثلاثين منه فانظره تستفيد[1].

---

(١) قال السيوطي في (الإتقان): ١٠٥ ـ ١٠٧.

«قد أفردت في هذا النوع كتاباً سمّيته: «المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب»، وها أنا ألخّص هنا فوائده؛ فأقول: اختلف الأئمة في وقوع المعرّب في القرآن؛ فالأكثرون، ومنهم الإمام الشافعيّ وابن جَرير وأبو عبيدة والقاضي أبو بكر وابن فارس على عَدَم وقوعه فيه لقوله تعالى: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ﴾، وقد شدّد الشافعيُّ النكير على القائل بذلك.

وقال أبو عبيدة: إنّما أنزل القرآن بلسان عربي مبين، فمَنْ زعم أنّ فيه غير العربيَّة فقد أعظم القولَ، ومَنْ زعم أن كذا بالنَّبطيّة، فقد أكبر القول.

وقال ابن فارس: لو كان فيه من لغة غير العرب شيء لتوهّم متوهِّم أنّ العرب إنما عجزت عن الإتيان بمثله، لأنه أتى بلغات لا يعرفونها.

وقال ابن جرير: ما ورد عن ابن عباس وغيره من تفسير ألفاظٍ من القرآن إنها بالفارسية أو الحبشية أو النَّبَطية أو نحو ذلك، إنما اتفق فيها توارد اللغات، فتكلّفت بها العرب والفرس والحبشة بلفظ واحد.

وقال غيره: بل كان للعرب العاربة الّتي نزل القرآن بلغتهم بعضُ مخالطةٍ لسائر الألسنة في أسفارهم، فعلِّقت من لغاتهم ألفاظاً غيَّرت بعضَها بالنّقص من حروفها، واستعملتها في أشعارها ومحاوراتها؛ حتى جرت مجرى العربيّ الفصيح، ووقع بها البيان، وعلى هذا الحدّ نزل بها القرآن.

وقال آخرون: كلّ هذه الألفاظ عربيّة صِرْفة، ولكن لغة العرب متّسعة جدًّا؛ ولا يبعد أن تخفى على الأكابرِ الجلّة، وقد خفي على ابن عباس معنى «فاطر» و«فاتح».

قال الشافعيّ في الرسالة: لا يحيط باللغة إلا نبيّ.

وقال أبو المعالي عُزَيزي بن عبدالملك: إنما وُجدت هذه الألفاظ في لغة العرب، لأنها أوسع اللغات، وأكثرها ألفاظاً، ويجوز أن يكونوا سُبقوا إلى هذه الألفاظ.

وذهب آخرون إلى وقوعه فيه، وأجابوا عن قوله تعالى: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾، بأن الكلمات اليسيرة بغير العربية لا تخرجه عن كونه عربيًّا، والقصيدة الفارسيّة لا تخرج عنها بلفظة فيها عربية، وعن قوله تعالى: ﴿ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ﴾ بأن المعنى من السياق: «أكلام أعجميٌّ ومخاطَب عربيّ!». واستدلّوا باتفاق النحاة على أنَّ منع صرف نحو «إبراهيم» للعلميّة والعجمة، ورُدّ هذا الاستدلال بأن الأعلام ليستْ محلَّ خلاف، فالكلام في غيرها موجَّه بأنه إذا اتفق على وقوع الأعلام فلا مانع من وقوع الأجناس، وأقوى ما رأيته للوقوع ـ وهو اختياري ـ ما أخرجه ابنُ جرير بسند صحيح عن أبي مَيْسرة التابعيّ=

ويقال: القسط مصدر المقسط، تقدم عن «المصباح» أن القسط بالكسر اسم مصدر أقسط، وكثيراً ما يتسامحون في إطلاق المصدر وإرادة اسم المصدر، وبالجملة الأقساط لا يكون إلا بمعنى العدل ضد الجور، واختلف في قسط الثلاثي بل لا يكون إلا بمعنى الجور، استشهد بعضهم بقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨٢] لأن أفعل التفضيل يساغ من المجرد لا من المزيد، وعليه فهمزة أقسط الرباعي ليست لسلب الجور وإزالته إن قلنا أنه مشتق من قسط بمعنى عدل، وإلا فلا.

وأجيب بأن أقسط مأخوذ من أقسط الرباعي على غير قياس. وهو العادل. قال تعالى: ﴿وَأَقْسِطُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩] وأما القاسط فهو الجائر. قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾﴾ [الجن: ١٥] قال في «المختار»: القسوط الجور في العدول عن الحق وبابه جلس، وعليه فهو من باب جلس ومن باب ضرب، كما تقدم عن «المصباح».

وبالسند إلى الإمام البخاري رضي الله عنه قال: (حدثنا أحمد بن إشكاب) ـ بكسر الهمزة ممنوع من الصرف للعلَمية والعجمة، وقيل: إنه عربي منصرف، وولد أحمد شيخ الإمام البخاري هو الصفار الحِضرمي نزيل

= الجليل قال: في القرآن من كلّ لسان.

وروى مثله عن سعيد بن جبير ووهب بن منبّه.

فهذه إشارة إلى أن حكمة وقوع هذه الألفاظ في القرآن أنه حوى علوم الأوّلين والآخرين، وَنَبأ كلّ شيء، فلا بدّ أن تقع فيه الإشارة إلى أنواع اللغات والألسن ليتمّ إحاطته بكلّ شيء، فاختير له من كلّ لغة أعذبُها وأخفها وأكثرها استعمالاً للعرب. ثم رأيت ابن النقيب صرّح بذلك، فقال: من خصائص القرآن على سائر كتب الله تعالى المنزّلة أنها نزلت بلغة القوم الّذين أنزلت عليهم، ولم ينزل فيها شيء بلغة غيرهم، والقرآن احتوى على جميع لغات العرب، وأنزِل فيه بلغات غيرهم من الرُّوم والفرس والحبشة شيء كثير. انتهى.

وأيضاً النبيّ ﷺ مرسَلٌ إلى كل أمة، وقد قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ﴾، فلا بدّ وأن يكون في الكتاب المبعوث به من لسان كلّ قوم، وإن كان أصله بلغة قومه هو.

مصر، وهو آخر من لقيه بمصر سنة سبع عشرة ومئتين وفيها توفي وقيل في السنة بعدها.

(حدثنا محمد بن فضيل) بالتصغير الضبي، قال الحافظ: لم أر هذا الحديث إلا من طريقه، ومن ثم وصفه الترمذي بأنه حديث حسن صحيح غريب تفرد ابن فضيل وشيخه وشيخ شيخه وصحابيه بهذا المتن، فيكون المصنف افتتح صحيحه بحديث غريب وهو حديث: «**إنما الأعمال بالنيات**» وختمه بحديث غريب إشارة إلى حال الدين كما في الحديث: «**بدأ الدين غريباً وسيعود غريباً**» (عن عمارة بن القعقاع) الضبي، قال ابن المديني: له نحو ثلاثين حديثاً، ومن اصطلاح المصنف رضي الله عنه أن عن من غير المدلس بمنزلة السماع، وقد تقدمت رواية حدثنا عمارة.

(عن أبي زرعة) قيل: اسمه هرم وهو ابن عمرو بن جرير البجلي الكوفي من علماء المحدثين، عن أبي هريرة رضي الله عنه هو عبدالرحمٰن على الأشهر من الخلاف في اسمه ابن صخر الدوسي أحد المكثرين من الصحابة رضوان الله عليهم، له في الصحيح أربع مئة وستة وأربعون حديثاً قال النبيّ ﷺ.

❋ ❋ ❋

كلمتان

تثنية كلمة بمعنى كلام من إطلاق اسم الجزء وإرادة الكل، مجازاً مرسلاً، وهو خبر مقدم على مبتدئه وهو: (سبحان الله...) إلخ. وما بينهما صفات للخبر، ولا يخفى أن حسن أوصاف الخبر، مما يزيد السامعَ شوقاً إلى المبتدأ المؤخر، وأن المنساق بعد الطلب أعز وأحلى من المنساق بلا تعب، كما في قوله:

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها شمس الضحى وأبو إسحاق والقمر

وزعم ابن الهمام كما في «الأشباه والنظائر» أن الراجح جعل كلمتان

مبتدأ خبره سبحان الله، ووجهه بما لا يُسَلم له، كما أومأ إليه شيخ الإسلام زكرياء، وبسطه شيخ شيوخنا سيدي عبدالقادر الكوهن في ختمه[1] رحمه الله وجزاه خيراً.

❋ ❋ ❋

حبيبتان إلى الرحمٰن

فعيل بمعنى مفعول، إذا تبع موصوفه جرد من التاء غالباً ومن غير الغالب لحوقها هاهنا، وحسَّنه لحوق التاء فيما بعده، والمشاكلة من المحسنات البديعية، والإسناد إلى ضمير الموصوف إما حقيقي أي أنها في أنفسها محبوبتان إلى الله، وذلك لدلالتهما على التنزيه عن جميع ما لا يليق بجانب مولانا سبحانه، والثناء عليه سبحانه بما يستحقه، وفي الحديث: «**لا أحد أحب إليه المدح من الله**».

وإما مجازي أي محبوب قائلها لدلالتهما على حسن اعتقاده، وصحة معرفته، ولأنهما من النوافل التي لا يزال العبد يتقرب بها إلى مولاه حتى يحبه، ومحبة الله سبحانه لعبده سابقة على محبة العبد لمولاه، قال تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤].

وفي الحديث: «**اللهم لولا أنت ما اهتدينا**» وقال البسطامي رضي الله عنه: «تبت في بدايتي في ثلاثة أشياء: كنت أظن أني أحببته وطلبته وذكرته فرأيت ذكره لي قد سبق ذكري له، وطلبه لي قد سبق طلبي له، وحبه لي قد سبق حبي له، فالكل به وبفضله، ثم إنه لا نزاع في أن محبة الله للعبد هي إرادته الهدى والتوفيق للعبد في الدنيا، وحسن الثواب في الآخرة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣].

---

(١) وتسمى هذه الختمة بـ«نوافح الورد والعنبر والمسك الداري لشرح آخر ترجمة صحيح الإمام البخاري». توجد بالخزانة الحسنية تحت عدد: ٨٩٢.

قال أبو السعود في قوله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ﴾ «أي: يريد بهم خيري الدنيا والآخرة».

وإنما النزاع في محبة العبد لمولاه سبحانه، فذهب بعضهم إلى أنها مجاز من باب إطلاق السبب الذي هو المحبة، وإرادة المسبب الذي هو الطاعة، والرغبة فيما يقرب المحب من المحبوب، وأنشد الوراق:

تعصي الإله وأنت تُظهر حُبَّه ... هذا لعمري في القياس بديع
لو كان حبك صادقاً لأطعتَه ... إن المحب لمن يحب مطيع

وهو قول مبني على أنها لا تتعلق حقيقة إلا بالمعاني والمنافع ويستحيل تعلقها بذات مولانا سبحانه وصفاته. وذهب الصوفية رضي الله عنهم إلى خلافه، وقالوا: إن اللذة الباعثة على المحبة إما حسية وهي ظاهرة، وإما عقلية كلذة الجاه، ولذة العلوم، قال بعض المحققين: لذة العلم لذة قلبية لا يوازيها غيرها، ولا يقوم مقامها، هذا في العلوم المأخوذة من الأوراق المكتسبة بالنظر والتعلم. وقد قال الزمخشري وصدق - من بحر الكامل -:

سهري لتحصيل العلوم ألذ لي ... من لثم غانية وطول عناق
وتمايلي طرباً لحل عويصةٍ ... أشهى إلي من مدامة ساق
وألذ من نقر الفتاة لعودها ... نقري لألقي الرمل على أوراق[1]

---

(١) ذكر هذه الأبيات العلامة الشيخ عبدالفتاح أبو غدة في كتابه (صفحات من صبر العلماء على شدائد العلم والتحصيل) ص١٣٩، مع اختلاف في بعض الألفاظ فقال:
«وما أجمل قولَ علامةِ العربية ورئيسِ أهل اللسان فيها أبي القاسم الزمخشري، يحكي تلذُّذَ العلماء بإيقاظِ ليلِهم وطولِ سَهَرِهم:

سَهَري لتنقيح العلوم ألذُّ لي ... مِن وَصْلِ غانِيَةٍ وطِيبِ عِناقِ
وتمايُلي طَرَباً لِحَلِّ عَويصَةٍ ... أشْهَى وأحْلَى من مُدامَةِ سَاقِ
وصَريرُ أقلامي على أوراقِها ... أحْلَى من الدُّوكَاهِ والعُشّاقِ
وألَذُّ مِن نَقْرِ الفَتَاةِ لِدُفِّها ... نَقْرِي لأُلْقِي الرَّمْلَ عن أوراقي
يا مَنْ يُحاوِلُ بالأمَانِي رُتْبَتي ... كم بَيْنَ مُسْتَفِلٍ وآخَرَ راقي=

فكيف بالعلوم الوهبية، والمعاني الذوقية، وحاصل الأمر أن لذة العلم تابعة لشرف المعلوم، ومولانا تعالى وجلَّ صفاته أشرف المعلومات وأكملها وأجملها وأنفسها وأعظمها، وانظر قول سيدنا إبراهيم بن أدهم: «والله لو عرف الملوك ما نحن عليه لجالدونا بالسيوف، وهذه اللذة هي التي تضيق العبارة عنها، وتدق الإشارة إليها».

وبالجملة: فالمحبة المنبعثة هي محبة حقيقية تتفاوت بحسب تفاوت المعارف والمقامات، والدليل على أنها ليست هي الطاعة والخدمة حديث السائل عن الساعة، فقال له النبيّ ﷺ: «**ما أعددت لها؟**» فقال السائل: ما أعددت لها كثيرَ عمل ولكن أحب الله ورسوله، فقال له: «**أنت مع من أحببت**». وقال الإمام الغزالي: «لا معنى للحب إلا الميل إلى ما فيه إدراك لذة، ولا ينكر حب الله إلا من قيده القصور في مرابط البهائم».

وقال أيضاً: «المحبون لله يقولون لمن أنكر عليهم ذلك: ﴿إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ [هود: ٣٨]».

والكلام على اسمه سبحانه الرحمٰن شهير إلا أنه أورد هاهنا بعض

= أأبيتُ سهرانَ الدُّجَى وتَبِيتُهُ نَوْماً وتَبغِي بَعْدَ ذاك لَحَاقِي؟!»

ثم قال: «هذه الأبيات وجدتها معزوَّةً للزمخشري، في الترجمة المذكورة له في آخر تفسيره «الكَشَّاف» التي كتبها الشيخ إبراهيم بن عبدالغفار الدُّسُوقي رئيس المصححين بدار الطباعة المِيرية (البولاقية) في مصر، المتوفى سنة ١٣٠٠ رحمه الله تعالى، في طبعة «الكَشَّاف» البولاقية سنة ١٢٨١، ثم نُقِلَتْ عنه في الطبعات التي تَلَتْها، ولم أقف عليها في مصادر ترجمته التي رجعتُ إليها.

وذَكَر هذه الأبيات العلامة الآلوسي المفسِّر المتوفى سنة ١٢٧٠ في كتابه «غرائب الاغتراب» ص٦١، في سياق كلام له قائلاً: «...يَحقُّ لي أن أقولَ...» ثم أوردَها وجاء فيها عنده البيتُ الخامس، ولم يَرِد في سِياقةِ الترجمةِ المذكورة. ولا شكَّ أنه تمثَّل بها، فقد ذكَرَ العلامة الفقيه أحمد الطَّحْطَاوِي الحنفي المتوفى سنة ١٢٣١، في حاشيته على «الدر المختار» ١: ٢٢، الأبيات الأربعة الأولى، وعزاها إلى التَّاج السبكي، وتابعه العلامة الفقيه ابن عابدين في حاشيته «رد المحتار على الدر المختار» ١: ٢٣، ولعل التاج السبكي تمثَّل بها، فهي بشعر الزمخشري وأُسلوبِهِ أشبَهُ، والله تعالى أعلم».

المتعنتين الجاهلين سؤالاً فقال: إن الله سبحانه موصوف بأنه رحمٰن رحيم، وأرحم الراحمين، ومن شأن مَن اتصف بذلك أن لا يرى مُبتلاً وهو يقدر على إزالة ذلك ومولانا سبحانه لم يفعل.

وجوابه: إن الرحيم يريد الخير للمرحوم لا محالة، وقد تقرر أنه ليس في الوجود شر إلا وفي ضمنه خير، فلو رفع الشر لبطل الخير الذي في ضمن ذلك الشر، ولحصل ببطلانه شرٌّ أعظم من ذلك الشر مثلاً اليد المتآكلة قطعها شر في الظاهر وفي ضمنه خير جزيل وهو سلامة البدن، ولو ترك قطعها لحصل بسببه هلاك البدن، وهذا شر أعظم من القطع، ولو لم يكن في ضمن ما يصيب العبد المؤمن من وَصب ونصب وهَم وحزن فما فوقها إلا أنه تكفر به خطاياه وترفع به درجاته لكفى، وهو سبحانه في جميع الحالات أرحم الراحمين بعبده. وفي «الحكم العطائية»: «من ظن انفكاك لطفه عن قدره فذلك لقصور نظره»[1].

---

(١) يقول الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي في (شرح الحكم العطائية) ٣/٢٣٦:

«إن هذا الذي يقرره ابن عطاء الله، من عدم انفكاك ألطاف الله عن أقداره على اختلافها، إنما هو في حق من عدا المستكبرين والجاحدين من عباده. إذ الحديث في هذه الحِكَم كلها، موجه إلى المؤمنين بالله والذين عافاهم الله من آفة الاستكبار والجحود.

فأما هذا الفريق الثاني، فقد قضت سنّة الله فيهم أن يعاملوا بنقيض هذا الذي يقوله ابن عطاء الله، ييسر الله لهم السبيل المعبدة إلى رغائبهم كما يشتهون، ويحقق لهم أحلامهم كما يرغبون، ولكنها ترتدّ إليهم أخيراً بعاقبة مؤلمة، بل مفجعة.

وكتاب الله تعالى يفيض بالآيات التي تعلن عن هذه السنّة الربانية، ألا ترى إلى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾﴾ [القلم: ٤٤، ٤٥] وقوله تعالى: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾﴾ [الحجر: ٣].

وإنك لتلاحظ هذه السنّة الإلٰهية بتفصيل أكثر وبيان أشمل في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٦﴾﴾ [الأنعام: ٦].

فإذا علمت، من كل هذا الذي تم بيانه، كيف يعامل مولى العباد عباده في هذه الحياة=

ثم إنه لما كان المقصود هاهنا بيان سعة رحمته سبحانه حيث يجازي على العمل القليل بالثواب الجزيل ناسب التعبير باسم الرحمٰن وقال الورتجيبي: جميع الخلائق مغرقون في بحار الرحمة لأن إيجاد الخلق على أي وصف كانوا عين رحمته بهم حيث دخلوا تحت نظره وربوبيته ومباشرة قدرته فيهم، وفي «الحكم العطائية»: «نعمتان ما خلا موجود عنهما نعمة الإيجاد ونعمة الإمداد».

❋ ❋ ❋

خفيفتان على اللسان

الخفة من عوارض الأجسام، فالمراد بها هنا السهولة إما على جهة الاستعارة إن كانت العلاقة هي المشابهة في ملائمة كل منهما للطبع، وعدم لحوق التعب، وإما مجاز مرسل إن كانت العلاقة اللا زمنية والملزومية فافهم.

❋ ❋ ❋

ثقيلتان في الميزان

هذا شاهد الترجمة، وقد تقدم ما يتعلق بذلك، وفي هذه الألفاظ الثلاثة سجع مستعذب، وقد تقدم في كتاب الدعوات الفرق بين الجائز منه، والمنهي عنه بما إيضاحه أن ما كان متكلفاً أو متضمناً لإبطال حق منهي عنه، وأن ما جاء عفواً من غير تكلف كما هنا فهو جائز.

= الدنيا، فلا تأمن مكره إن رأيت النعم تترى متسابقة إليك، وتوجس خيفة من العواقب التي لا علم لك بها؛ ولا تسئ الظن به إن رأيت ابتلاءات أو شدائد تتناوشك أو تطوف بك، واجزم بأنها ألطاف إلٰهية سيقت إليك مساق العلاج يوضع على الداء.
فإن أنت استقمت في تعاملك مع الله على هذا النهج، فاعلم أنك قد تبصرت الطريق الذي يرقى بك إلى سدّة العباد الربانيين، الذين يعيشون في نعمة ويتقلبون في نعمة، ويرحلون عن الدنيا إلى الله في نعمة...».

والسجع يأتي على أحد أوجه أربعة منها: المرصع كما هنا وتعريفه في اصطلاحهم مقابلة كل لفظة من صدر بيت، أو فقرة بلفظة على وزنها ورَويها كما هنا، وكما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾ [الانفطار: ١٣، ١٤].

وفي الحديث أيضاً من أنواع البديع، المقابلة وهي الجمع بين الضدين كالخفة والثقل، وإنما كانتا ثقيلتين في الميزان لكثرة الأجور المدخرة لقائلهما، وتضعيف الحسنات لذاكرهما، فالوصف الأول للترغيب والحث عليهما، والثاني لبيان قلة العمل وسهولته، والثالث: لإظهار ثوابهما عند الله تعالى.

❋ ❋ ❋

سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم

أي: وسبحان الله العظيم لأنه لا يصح عربية زيد عمرو قائمان، والجملتان محكيتان قُصد لفظهما مبتدأ مؤخر لما مرَّ في توجيه ذلك، وسبحان مصدر لسَبَحَ مخففاً، قال المفضل: إذا رفع صوته بالدعاء والذكر وأنشد:

قبَّح الإله وجوه تغلب كُلَّما ... سَبَّح الحجيج وكبروا إهلالا

ودعوى أن فعله أماتته العرب لا تسمع إلا أنه سماعي، نحو: شكر شكراناً، وغفر غفراناً، وقيل: إنه مصدر سبَّح مشدَّداً بمعنى نزَّه تنزيهاً، وبحث فيه بأن سبَّح مشدداً لم يذكره في «القاموس» إلا بمعنى قال: سبحان الله، ومن ثَمَّ ظن بعضهم أنه لم يرد في كلام العرب بمعنى نزه تنزيهاً، وهو قصور، فإنهم انتقدوا على المجد الفيروزآبادي تسمية تأليفه بالقاموس أي: البحر المحيط إذ فاته من كلام العرب ما يسع أضعاف قاموسه. ثم إن سبحان ذهب الزمخشري إلى أنه علم جنس أضيف أو لم يُضف، وذهب الجمهور إلى أنه علَم إذا لم يضف، وذهب المحقق الرّضي

إلى أنه غير علَم مطلقاً، هذا ملخص ما لهم، وقد استشكل الناس إضافته وهو علَم جنس على قول الزمخشري بأن علم الشخص لا يضاف إلا شذوذاً، وما سمع منه فمؤوّل بنكرة، وقالوا: إن إضافة علم الجنس لم تعهد في كلام العرب، ولأن شرط تنكير العلم عند إضافته أن يوجد اشتراك فيه، ولا اشتراك في علم الجنس لأنه موضوع للماهية لا للأفراد.

قال في «خزانة الأدب»: والقول بعلميته دائماً صعب جداً، وهذا لُبُّ الكلام.

قال المحقق الفاضل عبدالحكيم السلكوتي: سبحان منصوب على المصدرية بمعنى التنزيه، والتبعيد من السوء أي: أسبح الله سبحاناً حذف الفعل لقصد الدوام والثبات كما صرح به الرَّضي وأقيم المصدر مقامه، وأضيف إلى المفعول، وحذف الفعل واجباً قياساً، وهو مصدر من المجرد يستعمل بمعنى المزيد كما في: أنبت الله نباتاً، ويجوز أن يكون مصدر سبح كمنع في الأرض والماء إذا ذهب فيهما وأبعد أي: أبعدَ من السوء إبعاداً، أو من إدراك العقول وإحاطتها.

وقيل معناه السُّرعة والخفة في الطاعة، ولا يجوز أن يكون من سبح كمنع أو من سبَّح تسبيحاً بمعنى قال سبحان الله للزوم الدور، وهذا تحرير لا تشوف لما وراءه، وهل جملة سبحان الله خبرية قصد بها إظهار العبودية قولاً واعتقاداً.

وقال القاضي: «في قوله تعالى: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ﴾ [الروم: ١٧] الآية، إنه إخبار في معنى الأمر بتنزيه الله تعالى، والثناء عليه في هذه الأوقات» وإنما لم يجعله أمراً ابتداءً لأن سبحان على ما بين في علم النحو لزم طريقة واحدة لا ينصبه فعل الأمر وجوز أبو شامة الخبرية والإنشائية في قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ١].

وقال الجلال المحلي: «في قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٦] هو للتعجب هنا».

وقال أبو السعود: «سبحانك أصله أن يذكر عند معاينة العجيب من

صنائعه تعالى تنزيهاً له من أن يصعب عليه أمثاله. ثم كثر حتى استعمل في كل متعجب منه» أي: بدون ملاحظة التنزيه وإذا علمت هذا فهمت قول طاووس: كنت عند محمد بن يوسف فأبلغه رجل عن بعض أعدائه كلاماً، فقال بعض الحاضرين سبحان الله. قال طاووس: «ما ظننت أن قول سبحان الله معصية حتى اليوم» لأنه تعجب واستعظام قصد به إغراء محمد بن يوسف على ذلك البعض.

فإن قلت: إن الطاعة لا تنقلب معصية.

والجواب: أنها إذا استلزمت معصية تنقلب معصية وإلا فلا، بأن قارنتها من غير استلزام فإنها لا تنقلب معصية.

قال مولانا جل اسمه: ﴿وَلَا تَسُبُّوا ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١٠٨] الآية.

قال الخازن: «فظاهرها وإن كان نهياً عن سبِّ الأصنام فحقيقتها النهي عن سب الله تعالى، لأن سب الأصنام سبب لذلك». فسَبُّ الأصنام وإن كان طاعة لكنه لما استلزم وكان سبباً في معصية نهينا عنه.

وبهذا الذي قررنا يظهر لك مطمح نظر الحسن البصري رضي الله عنه حين تبع جنازة ومعه محمد بن سيرين فرأيا نساء معها. فرجع ابن سيرين من أجل حضور النساء، فقال له الحسن: لو تركنا الطاعة لأجل المعصية لأسرع ذلك في ديننا، تنبيهاً على أن محل ترك الطاعة إذا استلزمت المعصية، وكانت سبباً فيها ومن ثم شرطوا في تغيير المنكر أن لا يفضي إلى منكر.

قوله: (وبحمده) جوز صاحب «المغنى» في الواو فيه أن تكون زائدة، وهو أنسب بالمقام لأن الخبر مثنى، فلو جعلت عاطفة لكان المبتدأ جملاً ثلاثاً لا جملتين، والتطابق بين المبتدأ والخبر في الإفراد والتثنية والجمع واجب صناعة. والباء يحتمل أنها للمصاحبة، والحمد مضاف للمفعول حال والمعنى أسبح الله سبحاناً حال كوني حامداً له تعالى، فتفيد الجملة الثناء على الله سبحانه، يسلب ما لا يليق بجلاله، وثبوت ما يليق بكبريائه، ثم إن

قلنا إن مورد الحمد والتسبيح هو اللسان، فالحال مقارنة تنزيلاً بجعل المتعاقبين من غير ثوان ولا مهلة بمنزلة المصطحبين حقيقة، وإن قلنا مورد الحمد أعم فهي مقارنة حقيقة، ويحتمل أنها للاستعانة، والحمد مضاف للفاعل والمعنى أسبحه سبحاناً حال كوني مستعيناً على ذلك بما حمد به نفسه، أي نستعين على تسبيحه الكامل المطابق لما في نفس الأمر بحمده الذي حمد به نفسه لأنه المثبت للكمالات كلها اللائقة بعلى جنابه المستلزم لنفي جميع ما لا يليق به، اللهم لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك.

وقرره الخطابي بأن الحمد مرادٌ به سَبَبُه الذي هو المعونة والمعنى وبمعونتك التي هي نعمة توجب عليَّ حمدك سبحانك لا بحولي وقوتي، فهو من إطلاق اسم المسبب وإرادة سببه. وراجع ابن زكري في قول الحِكم: (إذا أردت أن تعرف قدرك عنده) فإن فيه كلاماً يناسب ما قرر به الخطابي.

قوله: (سبحان الله العظيم) أي: وسبحان الله العظيم كلمة حبيبة إلى الرحمٰن، كما أن سبحان الله وبحمده كذلك.

والعظيم من أسمائه سبحانه الحسنى هو الذي يصغر كل شيء عند ذكره، ولا يحيط به إدراك، ولا يعلم كُنْه حقيقته سواه، وفي الحديث: **«سبحان من لا يعلم قدرَه غيره ولا يبلغ الواصفون صفته»**.

فهو من الصفات الجامعة، وحظ العبد منه أن يستحقر نفسه، ويذللها للإقبال على الله تعالى بالانقياد لأوامره، واجتناب نواهيه، وراجعهم عند قول «الحِكم»: «كن بأوصاف ربوبيته متعلقاً وبأوصاف عبوديتك متحققاً» وفي الحديث: **«من تعلَّم وعلَّم فذلك في ملكوت السماء يدعى عظيماً»**.

قال الحافظ ابن حجر نقلاً عن الكرماني: «النظم الطبيعي يقتضي تقديم التخلية ـ بالخاء المعجمة ـ على التحلية. وذكر التسبيح متلبساً بالحمد ليعلم ثبوت الكمال له سبحانه نفياً وإثباتاً، وكرره تأكيداً، ولأن الاعتناء بشأن التنزيه أكثر من جهة كثرة المخالفين ولهذا جاء في القرآن بعبارات مختلفة

نحو سبحان الله، وسبح بلفظ الأمر، وسبح بلفظ الماضي، ويسبح بلفظ المضارع، ولأن التنزيهات تدرك بالعقل بخلاف الكمالات، فإنما تقصر العقول عن إدراك حقائقها كما قال بعض المحققين: «الحقائق الإلهية لا تعرف إلا بالسَّلب كما في العلم فإنه لا يدرك منه إلا أنه ليس بجاهل، وأما معرفة حقيقة علمه فلا سبيل إليه».

ونقل الحافظ أيضاً عن ابن بطال: أن الفضائل الواردة في فضل الأذكار إنما هي لأهل الشرف في الدين والكمال، فلا تظن أن من أدمن الذكر وأصر على ما شاء من شهواته. وانتهك دين الله أنه يلتحق بالمطهرين المقدسين بكلام أجراه على لسانه ليس معه تقوى ولا عمل صالح».

قال العارف بالله في «حواشي السنوسية»: «أجمع أهل السنَّة على أنه إنما يشترط في قبول الأعمال اتقاء الشرك، وإما اتقاء المعاصي فإنما هي لنيل الدرجات العليا» انتهى كلامه النفيس.

وقال شارح الحصن: «والحاصل أن كل ذكر واقع على وجه صحيح فإنه لازم الرحمة التي تشير إليها معية الله سبحانه في قوله: «**وأنا معه إذا ذكرني**».

وتتفاوت القسم في ذلك بحسب التفاوت في تحصيل شروط الكمال، وما يخل بالكمال لا يلزم أن يخل بالصحة.

وقال العلامة ابن زكري في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧] إن حمل على مطلق القبول فسرت التقوى بالمعنى الأعم أي: اتقاء الشرك، وبهذا فسرها الضحاك، وإن حمل على القبول الكامل الذي لا يكون معه عذاب أصلاً، فسرت التقوى بالمعنى الأخص أي: اجتناب كل ما يؤثم».

وقال أيضاً: ليس الجزاء مخصوص بأهل الخصوص بشهادة قوله ﷺ: «**لا يقبل الله من مُسمع ومُرَاء**» فإن مفهومه أنه يقبل من غيرهما وإن لم يصل إلى مقام الخصوص وهذا من البيِّن الواضح، فإن الحكم بأنه لا يقبل إلا عمل الخصوص ولا يجازى إلا هُم، فيه تضييق لرحمة الله الواسعة، كيف

وأفضل الطاعات الإيمان، وهو أعظم ما يجازى عليه الإنسان حتى أنه يخرج من النار من في قلبه منه قدر المثقال، وقدر الشعيرة، وقدر الذرة، وينال في الجنة من الملك العظيم، والنعيم المقيم ما وردت به الأخبار، ثم قال: إن مراتب القبول متفاوتة ثم قال: وكذلك مراتب الغفلة متفاوتة، وقد تكون غفلة نوم هي حضور آخرين، ويختلف ذلك على العبد الواحد باختلاف الأوقات، ثم استدل على ذلك بما في «صحيح مسلم» وأنه ﷺ قال لحنظلة: **«والذي نفسي بيده يا حنظلة لو تدومون على ما تكونون عليه عندي في الذكر لصافحتكم الملائكة في طرقكم، وعلى فروشكم ولكن ساعة وساعة»** أو كما قال.

فها أنت ترى أن النبي ﷺ لم يعتب على اختلاف أحواله، ولم يجعل ذلك نفاقاً».

ولما ذكر العارف ابن أبي جمرة أن ذكر الظالمين تعارضت فيه الأدلة بالقبول والرد، قال المواق: والصواب أن الأدلة الدالة على الرد مؤولة، فإن المراد بالظالمين الكافرون لما تقرر في مذهب أهل السنَّة أن كل مؤمن لا يهضم عمله، وأن له حسناته وعليه سيئاته. نعم إن كان الظالم منهمكاً في الفجور، غير مستقبح لحاله، ولا خائفاً من عاقبتها، مُصرًّا عليها، مُصمِّماً على البغاء، وهو مع ذلك يذكر الله. ويرى أن الذكر يكفيه، فهذا استخفاف بذكر الله تعالى، مؤذن بخلو القلب من التعظيم يخاف على صاحبه أشد الخوف، فهو معرض للهلاك، إلا أن يتداركه الله، ويؤيده قول ابن العربي: «من اقتحم الشهوة ولامَ نفسه، فهو خائف من وجه، مُسرف من وجه، وإذا عصى وظن أنه يغفر له، فهو مغرور» انتهى كلامه النفيس.

ومن ثم قالوا: الرجاء هو توقع حصول محبوب في المستقبل بشرط مقارنة العمل وإلا فهو أمنية.

قال في «الإحياء»: «وإن كان الانتظار أي التوقع مع انحرام الأسباب واضطرابها فاسم الغرور والحمق أصدق عليه من اسم الرجاء، وإن لم تكن

الأسماء معلومة الوجود ولا معلومة الانتفاء فاسم التمني أصدق على انتظاره».

ويؤخذ من حديث الباب الحث والترغيب في الذكر المذكور لمحبة الرحمٰن له، ومحبوب المحبوب محبوب.

وقد ورد في فضل التسبيح أحاديث كثيرة فانظرها في الحافظ وغيره.

❋ ❋ ❋

تتمة

قال القاضي أبو بكر بن العربي: إن الإدراك سارٍ في جميع الأجرام، ولذا ورد تسبيحها وتكليمها، ولمعرفة الجبل وإدراكه عظمة الله صار دكّاً، قال: ولكن الله تعالى أخذ على أبصار كثير من الناس فلم يدركوا تسبيحها فوصفوها بعدم الحياة، وعدم العلم، وليس الأمر كذلك.

وقال أبو حيان: «نسبة التسبيح للسمٰوات والأرض ومن فيهن من ملَك وإنس وجان حمله بعضهم على النطق بالتسبيح حقيقة وأن ما لا حياة له، ولا نمو يحدث الله تعالى له نطقاً، وهذا هو ظاهر اللفظ ويدل له: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤].

وقال الحافظ السيوطي في «أنموذج اللبيب» أنه ﷺ مبعوث إلى الجمادات والحجر والشجر، وقاله ابن حجر الهيثمي أيضاً، وذكر «أنها تخضع له ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: ٤٤] أي: بلسان المقال بدليل قوله: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ لا بلسان الحال فقط خلافاً لمن زعمه».

وقال محيي الدين ابن العربي: «إن الحياة حياتان، حياة مع وجود الروح وحياة في الجسم فقد الروح بها يسمع الميت، كما ورد في أهل القليب: «**ما أنتم بأسمع منهم**» وبما تنطق الشجرة إذا اختفى خلفها اليهودي إلا شجرة العوسج فإنها تستره».

وبالجملة: جمهور السلف على أن الآية على ظاهرها من أن كل شيء يسبح الله بلسان المقال، وقد استدل الخازن بأحاديث متعددة فلتنظر فيه، وقد تقدم للإمام البخاري في فضل التسبيح عن أبي هريرة: «**من قال سبحان الله وبحمده في يوم مئة مرة حطت عنه خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر**».

قال الحافظ: «وإذا ثبت هذا في قول سبحان الله وبحمده وحدها فإذا انضمت إليها الكلمة الثانية فالذي يظهر أنها تفيد تحصيل الثواب الجزيل المناسب لها، كما أن من قال الكلمة الأولى وليست له خطايا فإنه يحصل له من الثواب ما يوازن ذلك».

قال الشيخ ميارة في «معونة القاري»: «قلت: ولعل هذا الذي ذكر في فضل سبحان الله وبحمده هو وجه ما جرى به العمل من ذكر ذلك التسبيح مئة مرة عند ختم صحيح البخاري».

قال الحافظ: والتسبيح مشروع في الختام، فلذلك ختم به كتاب التوحيد، والحمد لله بعد التسبيح آخر دعوى أهل الجنة. قال الله تعالى: ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [يونس: ١٠].

وإنما كان مشروعاً في الاختتام لأنه كفارة المجلس. فعن أبي هريرة مرفوعاً: «**من جلس مجلساً وكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك: سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك إلا غفر له ما كان في مجلسه ذلك**». والإمام البخاري يراعي براعة الاختتام ويتحافظ عليها كثيراً كما عرف بالاستقراء من صنيعه فمن ثَمَّ ختم به كتاب التوحيد، وغاية الغايات في ذلك مقاطع الكتاب العزيز في خواتم السور الكريمة، فمن المعجزة ما ختم به سورة الصافات: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

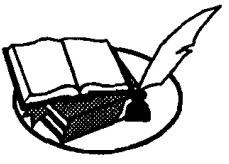

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

دعاء الختم

ختم العلامة أحمد بن الطالب ابن سودة كتابه بهذا الدعاء فقال:

بسم الله الرحمٰن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم. اللهم صلِّ على سيدنا محمد صلاة تنجينا بها من جميع الأهوال والآفات، وتقضي لنا بها جميع الحاجات، وتطهرنا بها من جميع السيئات، وترفعنا بها أعلى الدرجات، وتبلغنا بها أقصى الغايات من جميع الخيرات في الحياة وبعد الممات، اللهم إنَّا قد اجتمعنا اجتماع العبيد بباب المولى، وتضرعنا بجلالك العظيم قولاً وفعلاً، وأقررنا بأنا لا نملك لأنفسنا قوة ولا حولاً، فلا تردنا يا مولانا عن الإجابة واجعلنا ممن رفع لهم القبول حجابه، اللهم اجعلنا في هذا الشهر الكريم في عدد العتقاء من النار، وألحق أعمالنا بأعمال المخلصين الأبرار، واحشرنا في سلك المصطفين الأخيار، وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، اللهم اجعل صومنا هذا صوماً متقبلاً مبروراً، وسعينا سعياً مشكوراً، وذنبنا ذنباً مغفوراً، ولا تجعل عملنا فيه هباء منثوراً، اللهم إنا ندعوك دعاء المتضرعين الراغبين بالمسكنة إليك والافتقار إلى ما عندك والتوكل عليك، فإن رددتنا يا مولانا فإلى من تكلنا وإن أعرضت عنا فإلى من تسلمنا وإن قطعت أسبابنا فمن يصلها لنا، اللهم إليك يهرب الهاربون ومنك يرهب الراهبون وبين يديك يبتهل المبتهلون ونحن عبيدك الضعفاء لا نقوى بحسابك فكيف نقوى بعذابك، فإن كنا يا مولانا غير أهل لما نرجوه من رحمتك فأنت أهل أن تجود علينا بعميم عفوك ومغفرتك، اللهم سمع العابدون بجلال جمالك فخضعوا وسمع

الزاهدون بجزيل عطائك فزهدوا وطمعوا وسمع المذنبون بكثرة جودك فرجعوا حتى ازدحم ببابك عصائب العصاة من عبادك، وعرج إليك منهم عجيج الضجيج من جميع بلادك، فما أسوأ حال من رددته خائباً وما أكشف بال من لم يلقك تائباً، اللهم إن كنت لا تقبل إلا من المتجهدين فإلى من يلجأ المسيئون، فتغمد اللهم الجميع برحمتك وأسبغ علينا عميم رأفتك ورحمتك يا أرحم الراحمين يا رب العالمين، اللهم إن عفوك أعظم من عظائمنا ورحمتك أوسع من رجائنا فتقبل اللهم من مصلينا وصائمنا وتفضل علينا بحسن خواتمنا ولا تردنا عن رحمتك مطرودين، ولا من باب إجابتك مردودين اللهم إنك أحضرتنا ختم هذا الكتاب الذي عظمت حرمته وشرفت منزلته، اللهم عافنا من اقتحام المهالك وشفعه فينا وإن لم نكن أهلاً لذلك ولا تخيبنا في هذا المجلس من رحمتك ولا تحرمنا فيه من فضلك وكرامتك إنك على كل شيء قدير، اللهم أعل كلمة الإسلام وأجر الحق على أيدي الحكام وانصرنا على عبدة الأصنام يا ذا الجلال والإكرام، اللهم انصر أمير المؤمنين ووسع له في أرضك ووسع التمكين واشدد وطأته على المعتدين وأصلح بمساعيه أمر الدنيا والدين إنك أنت القوي المعين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد إمام المتقين وخاتم النبيئين والمرسلين والحمد لله رب العالمين.

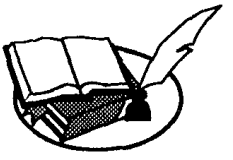

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفهارس

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

فهرس الآيات

الآية	السورة	رقمها	الصفحة
﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ...﴾	النحل	١٢٥	٩٧
﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ﴾	ق	١٧	٢١٢
﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾	يونس	٦٢	٢١١
﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم﴾	الأنعام	٦	٢٢٢
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾	الحج	٣٨	١٤٣
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾	الحج	١٤	١٤٣
﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾﴾	الانفطار	١٣	٢٢٤
﴿إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ﴾	هود	٣٨	٢٢١
﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ﴾	النساء	١٦٣	١٢٩
﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾	المائدة	٢٧	٢٢٨
﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾	فصلت	٣٠	٢١١
﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾	الأعراف	٤٣	٢١٩
﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ﴾	يونس	١٠	٢٣١
﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟﴾	الحجر	٣	٢٢٢
﴿ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾	البقرة	٢٨٢	٢١٧
﴿سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾	البقرة	٣٢	١٥٩
﴿سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾	النور	١٦	٢٢٥
﴿فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾	القلم	٤٤	٢٢٢

الآية	السورة	رقمها	الصفحة
﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ﴾	الروم	١٧	٢٢٥
﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾	الكهف	١٠٥	٢١١
﴿فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾	يوسف	٥٠	٦١
﴿وَأَقْسِطُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾	الحجرات	٩	٢١٧
﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾﴾	الجن	١٥	٢١٧
﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾﴾	النجم	٣٩	٢١٤
﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾	الإسراء	٢٩	١٥١
﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾	الأنعام	١٠٨	٢٢٦
﴿وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾	الإسراء	٤٤	٢٣٠
﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾	المائدة	٥٤	٢١٩

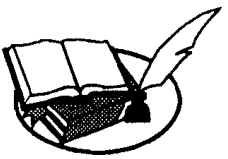

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

فهرس الأحاديث

طرف الحديث	الصفحة
«إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث»	١٢٧
«إن الله إذا أحب عبداً»	١٥٠
«إن الله كلف الملكين الحافظين»	٢١٢
«إن الناس لكم تبع»	١٢٨
«إنما الأعمال بالنيات»	٢٠٤
«سيخلص رجلاً من أمتي»	٢١٤
«كلمتان حبيبتان إلى الرحمٰن»	٢٠٣
«اللهم حاسبني حساباً يسيراً»	٢١١
«اللهم لولا أنت ما اهتدينا»	٢١٩
«لا يقبل الله من مسمع»	٢٢٨
«من تعلم وعلم فذلك في ملكوت السماء...»	٢٢٧
«من جلس مجلساً وكثر فيه لغطه»	٢٣١
«والذي نفسي بيده يا حنظلة»	٢٢٩

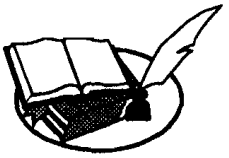

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

فهرس المصادر والمراجع

١ ـ **إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس**: لابن زيدان عبدالرحمٰن العلوي (ت١٣٦٥هـ)، المطبعة الوطنية، الرباط ١٣٤٨.

٢ ـ **إتحاف أهل الدراية بما لي من الأسانيد والرواية**: لمحمد بن قاسم القادري (ت١٣٣١هـ) تحقيق الدكتور محمد بن عزوز، ط١، دار ابن حزم ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

٣ ـ **إتحاف المطالع بوفيات رجال القرن الثالث عشر والرابع**: لعبدالسلام بن سودة، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٩٧م.

٤ ـ **الإحاطة في أخبار غرناطة**: لابن الخطيب لسان الدين (ت٧٧٦هـ) تحقيق: محمد عبدالله عنان، منشورات مكتبة الخانجي، القاهرة ١٣٩٣هـ.

٥ ـ **أزهار البستان في طبقات الأعيان**: لأحمد بن عجيبة (ت١٢٠٩هـ) (مخطوط).

٦ ـ **الإشراف على بعض من بفاس من الأشراف**: لابن الحاج محمد الطالب بن حمدون (ت١٢٧٣هـ)، مخطوط، (الخزانة العامة)، رقم: ٦٥٣د.

٧ ـ **إعلام أئمة الأعلام وأساتيذها بما لنا من المرويات وأسانيدها**: (فهرسة) لجعفر بن إدريس الكتاني (ت١٣٢٣هـ) تحقيق الدكتور محمد بن عزوز، ط١، دار ابن حزم ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

٨ ـ **الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام**: للعباس بن إبراهيم التعارجي، المطبعة الملكية، الرباط ١٩٧٤م.

٩ ـ **الإعلام بمن غبر من أهل القرن الحادي عشر**: لعبدالله بن محمد بن عبدالرحمٰن الفاسي الفهري، تحقيق فاطمة بو نافع، ط١، دار ابن حزم، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

١٠ ـ **الإكليل والتاج في تذييل كفاية المحتاج**: لمحمد بن الطيب القادري (ت١١٨٧هـ)، تحقيق مارية دادي، ط١، الجمعية المغربية للتأليف والنشر، الرباط ١٤٣٨هـ/٢٠٠٩م.

١١ ـ **ألفية السند**: لمحمد مرتضى الحسيني الزبيدي (ت١٢٠٥هـ)، تحقيق الدكتور محمد بن عزوز، ط.دار ابن حزم ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

١٢ ـ **الأنباء المنشودة من شمائل رجال بيت بني سودة**: لمحمد العابد ابن سودة (مخطوط خاص).

١٣ ـ **التعليل برسوم الإسناد بعد انتقال أهل المنزل والناد**: لابن غازي (ت٩١٩هـ)، تحقيق محمد الزاهي، دار المغرب ١٩٧٩م.

١٤ ـ **التكملة لكتاب الصلة**: لابن الأبار، مجريط سنة ١٨٨٦م.

١٥ ـ **تنبيه الصغير من الولدان على ما وقع في مسألة الهارب والهاربة من الهذيان لمدعي استحقاق الفتوى أجليان**: لإبراهيم بن عبدالرحمٰن الكلالي (ت١٠٤٧هـ)، مخطوط الخزانة العامة رقم: ٥٧١ك.

١٦ ـ **جامع القرويين**: للدكتور عبدالهادي التازي، ط١، دار الكتاب اللبناني ١٩٧٣م، بيروت.

١٧ ـ **جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس**: لابن القاضي أحمد بن محمد المكناسي، دار المنصور للطباعة ١٩٧٣م.

١٨ ـ **جمهرة أنساب العرب**: لابن حزم، تحقيق عبدالسلام هارون، ط.دار المعارف، القاهرة ١٩٦٢م.

١٩ ـ **الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين**: لمحمد حجي (ت٢٠٠٣هـ، مطبعة فضالة، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

٢٠ ـ **الدر السني في بعض من بفاس من أهل النسب الحسني**: لعبدالسلام القادري، ط.حجرية بفاس.

٢١ ـ **الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة**: لابن زيدان، المطبعة الاقتصادية، الرباط، ١٩٣٧م.

٢٢ ـ **دليل مؤرخ المغرب الأقصى**: لعبدالسلام ابن سودة، مطبعة دار الكتاب، الدار البيضاء ١٩٦٠م.

٢٣ ـ **دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر**: لابن عسكر محمد بن علي الحسني (ت٩٨٦هـ)، تحقيق محمد حجي، مراجعة عبدالمجيد خيالي، ط٣، مركز التراث الثقافي المغربي ٢٠٠٣م.

٢٤ ـ **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**: لابن فرحون إبراهيم بن علي اليعمري (٧٩٩هـ)، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث ١٩٧٢م.

٢٥ - **ذكريات مشاهير رجال المغرب في العلم والأدب والسياسة**: لعبدالله كنون، قدم له واعتنى به ورتب تراجمه إلى طبقات الدكتور محمد بن عزوز، ط.دار ابن حزم في بيروت (٣ أجزاء) ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

٢٦ - **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**: لابن عبدالملك المراكشي (ت٧٠٣هـ)، تحقيق الدكتور محمد بن شريفة، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط ١٩٨٤م.

٢٧ - **الروض العاطر الأنفاس في أخبار الصالحين من أهل فاس**: لابن عيشون محمد الشراط (١١٠٩)، تحقيق زهراء النظام.

٢٨ - **الروضة المقصودة والحلل الممدودة في مآثر بني سودة**: لأبي الربيع سليمان الحوات (ت١٢٣١هـ)، تحقيق عبدالعزيز تيلاني، مطبوعات مؤسسة أحمد ابن سودة ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

٢٩ - **الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون**: لابن غازي (ت٩١٩هـ)، المطبعة الملكية ١٩٦٤م.

٣٠ - **سل النصال للنضال بالأشياخ وأهل الكمال**: لعبدالسلام ابن سودة، ط.دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٧م.

٣١ - **سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس**: لمحمد بن جعفر الكتاني (ت١٣٤٥هـ) (٣ أجزاء)، تحقيق: محمد حمزة بن علي الكتاني وعبدالله الكامل الكتاني وحمزة بن محمد الطيب الكتاني، ط.دار الثقافة، الدار البيضاء ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

٣٢ - **شجرة النور الزكية**: لمحمد بن محمد مخلوف، بيروت ١٣٤٩هـ.

٣٣ - **صفحات من صبر العلماء على شدائد العلم والتحصيل**: لعبدالفتاح أبي غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب، ط٤.

٣٤ - **صفوة ما انتشر من صلحاء القرن الحادي عشر**: للإفراني محمد الصغير، تحقيق عبدالمجيد خيالي، مركز التراث الثقافي المغربي ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

٣٥ - **طبقات الحضيكي**: لأحمد السوسي الحضيكي (ت١١٨٩هـ)، المطبعة العربية بالدار البيضاء.

٣٦ - **الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي**: لمحمد بن الحسن الحجوي (ت١٣٧٦هـ)، المكتبة العلمية بالمدينة المنورة ١٣٩٦هـ.

٣٧ - **فهرس الفهارس**: لعبدالحي الكتاني (ت١٣٨٢هـ)، ط.دار الغرب الإسلامي، بيروت، من تحقيق د.إحسان عباس، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٣٨ ـ **فهرست القصار**: لأبي عبدالله محمد بن قاسم القصار الغرناطي (ت١٠١٢هـ)، تحقيق عمر أعميري، إعداد: عمر أعميري، دراسة مرقونة بدار الحديث الحسنية ٢٠٠٧م.

٣٩ ـ **الفهرسة الكبرى والصغرى**: لأحمد بن الخياط الزكاري الفاسي، تحقيق: الدكتور محمد بن عزوز، ط.دار ابن حزم.

٤٠ ـ **الفهرسة الصغرى والكبرى**: لأبي عبدالله محمد التاودي ابن سودة، تحقيق: عبدالمجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

٤١ ـ **الفوائد الجمة في إسناد علوم الأمة**: للتمنارتي عبدالرحمٰن (ت١٠٦٠هـ) تحقيق: اليزيد الراضي، تقديم محمد المنوني، مطبوعات السنتيسي، الدار البيضاء ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

٤٢ ـ **مختصر العروة الوثقى في مشيخة أهل العلم والتقى**: لمحمد بن الحسن الحجوي، تحقيق: الدكتور محمد بن عزوز، ط.دار ابن حزم ٢٠٠٣م.

٤٣ ـ **مدرسة الإمام البخاري في المغرب**: للدكتور يوسف الكتاني، دار لسان العرب، بيروت.

٤٤ ـ **المصادر العربية لتاريخ المغرب**: لمحمد المنوني، منشورات كلية الآداب، الرباط ١٩٨٣م.

٤٥ ـ **نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني**: لمحمد بن الطيب القادري (ت١١٨٧هـ)، تحقيق: محمد حجي وأحمد التوفيق، مطبوعات دار المغرب للتأليف والنشر ١٩٨٦م.

٤٦ ـ **نفح الطيب**: لأحمد المقري، تحقيق: إحسان عباس، ط.دار صادر ١٩٩٧م.

٤٧ ـ **نفحة المسك الداري لقارئ صحيح البخاري**: لحمدون ابن الحاج السلمي (ت١٢٣٢)، تحقيق: الدكتور محمد بن عزوز، ط١، دار ابن حزم ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

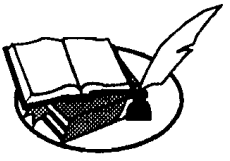

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
قيل في كرسي صحيح الإمام البخاري بجامع القرويين بفاس	٥
بين يدي الكتاب	٧
مدخل كراسي الأساتذة بجامِعَة القرويين	١٣
مقدمة	١٣
في عصر بني مرين	١٧
في عصر بني وطاس	١٩
في جامع القرويين	٢٢
كراسي الأساتذة بجامعة القرويين	٢٩
العصر العلوي	٢٩
جامع القرويين	٣٠
جامع الأشراف	٣٦
المساجد الصغار	٣٩
أوقاف بدون كرسي	٤٢
على مَواضِع معينة بجامعي القرويين وَالأندلس	٤٢
في جامع القرويين	٤٣
في جامع الأندلس	٤٧
توطئة	٥١
موقعه	٥١

الموضوع	الصفحة

تنافس العلماء على التدريس بهذا الكرسي ٥١
الأوقاف المحبسة على هذا الكرسي ٥٢
١ ـ ابن غازي ٥٣
(المتوفى سنة ٩١٩هـ) ٥٣
مؤلفاته ٦٣
٢ ـ أبو عبدالله محمد بن عبدالواحد الغزال ٦٦
٣ ـ أحمد ابن جيدة (المتوفى سنة ٩٥١هـ) ٦٦
٤ ـ عبدالرحمٰن ابن إبراهيم الدكالي المشترائي (المتوفى سنة ٩٦٢هـ) ٦٧
٥ ـ أبو العباس أحمد المنجور (المتوفى سنة ٩٩٥هـ) ٦٨
٦ ـ عبدالواحد بن أحمد الحميدي (المتوفى سنة ١٠٠٣هـ) ٧٣
٧ ـ يحيى بن محمد السراج (المتوفى سنة ١٠٠٧هـ) ٧٥
٨ ـ أبو عبدالله محمد بن قاسم القصار (المتوفى سنة ١٠١٢هـ) ٧٦
١ ـ اسمه ونسبه وكنيته ولقبه ونسبته ٧٦
٢ ـ طلبه للعلم وشيوخه ٧٨
٣ ـ وظائفه وعلاقته بالسلطان المنصور ٨١
٤ ـ تدريسه بالقرويين ٨٥
٥ ـ مكانته وثناء العلماء عليه ٨٨
٦ ـ آثاره ٩١
سند الإمام القصار في صحيح الإمام البخاري من خلال (فهرسته) ٩٢
٩ ـ أبو القاسم بن محمد بن أبي النعيم الغساني الفاسي (المتوفى سنة ١٠٣٢هـ) ٩٣
١٠ ـ أبو عبدالله محمد بن أحمد القسنطيني الكمَّاد (المتوفى سنة ١١١٦هـ) ٩٤
١١ ـ أبو محمد عبدالله بن محمد بن يخلف الأنصاري الأندلسي الفاسي (المتوفى سنة ١١٦٢هـ) ٩٦
توطئة ١٠١
التعريف بأصل وسلف أسرة بني سودة ١٠١
هجرة بني سودة من دمشق إلى غرناطة ١٠٣

الموضوع	الصفحة

١٢ ـ أبو القاسم بن قاسم ابن سودة (المتوفى سنة ١٠٠٤هـ) ١١٢
١٣ ـ أبو عبدالله محمد بن القاسم بن أبي القاسم ابن سودة (المتوفى سنة ١٠١٥هـ) ١١٦
١٤ ـ محمد بن محمد بن أبي القاسم ابن سودة (المتوفى ١٠٧٦هـ) ١١٨
١٥ ـ محمد التاودي ابن سودة (ت ١٢٠٩هـ) ١٢٣
١ ـ في نشأته الأولى وما ظهر عليه من أثر كفالة المولى ١٢٣
٢ ـ طلبه للعلم ١٢٥
٣ ـ في علومه وما ظهر له من الفتح في فهومه ١٢٦
٤ ـ شيوخه ١٢٧
٥ ـ حرص التاودي ابن سودة على التعليم ١٢٧
٦ ـ سند الشيخ التاودي ابن سودة في صحيح البخاري ١٢٨
١٦ ـ ولده: أحمد ابن التاودي ابن سودة (المتوفى سنة ١٢٣٥هـ) ١٣٧
[وصية الشيخ التاودي ابن سودة لابنه أحمد] ١٤٠
المهدي ابن سودة (المتوفى سنة ١٢٩٤هـ) ١٤١
أبو العباس أحمد ابن سودة (المتوفى سنة ١٣٢١هـ) ١٤٦
ترجمة أحمد ابن الطالب ابن سودة ١٤٩
بقلم ولده العابد بن سودة ١٤٩
نشأته وشمائله ومآله ١٥٠
أداؤه لفريضة الحج ورحلته إلى تونس ١٥٦
ملاقاته لمحمد بن علي السنوسي ١٥٨
ما شاهده صاحب الترجمة من هذا الفاضل عند مقابلته وما سمعه منه ١٥٨
دخوله إلى مصر ١٦١
رجوعه إلى تونس ١٦١
رجوعه إلى فاس ١٦٢
تدريسه بالقرويين ١٦٣
ترجمته بقلم تلميذه العلامة محمد بن الحسن الحجوي ١٦٣
روايته لصحيح الإمام البخاري عن مغاربة ومشارقة ١٦٥

الموضوع	الصفحة

فمن المغاربة ١٦٥
ورواه عن مشارقة ١٦٧
إجازة العلامة أحمد ابن الطالب ابن سودة للعلامة المهدي الوزاني ١٧٠
عون الباري على فهم آخر تراجم صحيح الإمام البخاري ١٧٤
للعلامة أحمد ابن الطالب ابن سودة (المتوفى سنة ١٣٢١هـ) ١٧٤
تقديم ١٧٤
١ ـ تميز المغاربة بفن تأليف ختمات صحيح الإمام البخاري ١٧٤
٢ ـ أنواع الختم ١٧٧
٣ ـ قصيدة في ختم البخاري للإمام العارف بالله ابن أبي حمزة رضي الله عنه ١٧٨
يقول علي بن عبدالقادر بن سودة في تقريظه لكتاب عون الباري ١٨٠
قصيدة أحمد بن عبدالمولى العلمي ١٨٣
قصيدة أحمد بن المأمون البلغيثي الحسني ١٨٦
نماذج من صور الطبعة الحجرية للكتاب ١٩٧
النص المحقق ٢٠١
مقدمة ٢٠٣
باب قول الله تعالى ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ ٢٠٤
وأن أعمال بني آدم وقولهم يوزن ٢٠٥
معنى القسطاس ٢١٥
كلمتان ٢١٨
حبيبتان إلى الرحمٰن ٢١٩
خفيفتان على اللسان ٢٢٣
ثقيلتان في الميزان ٢٢٣
سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم ٢٢٤
تتمة ٢٣٠
دعاء الختم ٢٣٣
الفهارس ٢٣٥

الموضوع	الصفحة

فهرس الآيات ٢٣٧
فهرس الأحاديث ٢٣٩
فهرس المصادر والمراجع ٢٤٠
فهرس الموضوعات ٢٤٥

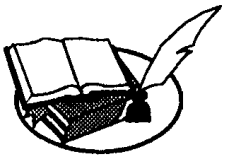

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com